جامعـــــة غردايـــــة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

دور المناضل غرافة ابراهيم (1890-1947) في الحركـــــة الوطنيـــــــة الجزائريـــــــة

مذكّرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:

الجعدي رضوان

بابا وموسى رستم

إشراف الأستاذ:

د. بن قايد عمر

اللجنة المناقشة:

أ. قريزة ربيعة: ..... رئيسًا

أ. د. بن قايد عمر: ..... مُشرفًا ومُقررًا

أ. الدهمة بكار: ..... عضوًا مناقشًا

الموسم الجامعي: 1438-1439 هـ/ 2017-2018 م

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾

سورة طه الآية: 114

رعى اللهُ عَيمَشَ في الخالدين ... وكحال في السابقين الكرام
ورابح تعبُقُ أنفاسه ... وغَرَّافةُ الوهنيُّ الهمام
وعسلة ينذُبُهُ صالب ... فيلحقه بعد مُرِّ السِّقام
هُم الثَّائرون الأُلى وَلَدوا ... نوفمبر من صُلبهم، فاستقام
متى نزلت ثورة من سماء ... نزول المسيح عليه السلام

إلياذة الجزائر

شاعر الثورة التحريرية مفدي زكريا

الإهداء

إلى روح المناضل ابراهيم غرافة الوطني الذي جاهد

في سبيل الأمة الجزائرية

إلى روح والدي رحمه الله

إلى والدتي العزيزة حفظها الله

إلى زوجتي الفاضلة وأبنائي و إخواني إدريس

وعبد الحميد، وإلى قريصي عبد الوهاب،

وإلى السيد الحاج محمد بولنعاش، وكل العائلة الكريمة

وإلى أصدقائي: رستم، رستم متليلي، عمر، باعزيز، صلاح الدين،

نصر الدين، سليمان، أحمد، خليل، حمو، مصطفى، ابراهيم،

محسن، محمد، نذير، والزميلات: رقية، منة.

إلى كل الأصدقاء ومعارفي

إلى كل من علمني حرفا

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع

رضوان

الإهداء

إلى روح المناضل ابراهيم غرافة الوطني الذي جاهد في سبيل
الأمة الجزائرية

إلى الوالدين قرة العين حفظهما الله ورعاهما، وبارك في
عمرهما وأمدهما بالصحة والعافية.

إلى زوجتي الفاضلة سهام، وابنتي الغالية إيناس.

إلى إخوتي موسى وزوجته وأبنائهما، وأختي فاطمة وزوجها
وأبنائهما، وأخي يحي وزوجته،
وأخي عبد العزيز

إلى جميع أفراد عائلة بابا وموسى صغيرا وكبيرا.

إلى كل من علمني حرفا وجعلني طالبا ناجحا من المرحلة
الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.

إلى كل الطاقم التربوي لمؤسسة الإمام جابر بن زيد – غرداية.

إلى زملائي في الدراسة والأصدقاء: رضوان، أحمد، كريم،
عيسى، عبدالوهاب، صالح، مصطفى، نزيم، عمر، داود،
رقية، حفصة، ...

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي لهم هذا البحث العلمي المتواضع.

رستم

شكر وعرفان

نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الكريم المشـــرف علـــى البحـــث الـــدكتور بن قايد عمر لقبوله الإشراف على مذكرتنا، وعلى توجيهاته القيمة.

والشكر الجزيل موصول إلى الدكتور بن دريسو صالح الذي يعود الفضل الكبير إليه في توفير المادة الوثائقية وفي اختيار الموضوع.

الشكر الجزيل لكل من قدم لنا يد العون، وأمدنا بالمراجع والمصادر التي استفدنا منها، ونخص بالذكر جمعية أبي إسحاق اطفيش بغرداية، والأستاذ الباحث الحاج سعيد محمد، والأستاذ المجاهد باباسي بلقاسم، وجمعية القصبة، والأستاذ الشيخ بلحاج نصر الدين، والدكتور بلحاج ناصر، وجمعية التراث بالقرارة، والسيد بكوش محمد، ومكتبة المرحوم عبد الرحمان حواش بواسطة ابنه نور الدين، والطالب في الدكتوراه محمد بوسعدة، والأستاذ بزملال، ومكتبة مفدي زكريا ببني يزقن، والأستاذ الفاضل تريعة موسى، والأستاذ الفاضل كواتي مسعود، ومكتبة متحف المجاهد بمتليلي، وأحفاد المناضل غرافة براهيم، معروف عمر، وصالح، وابراهيم، والسيد راس نعامة عبد الرحمان ومركز أبو طارق للطباعة والتجليد، والأستاذ نزيم.

والشكر الجزيل لكل أساتذتنا الكرام بجامعة غرداية دون استثناء.

دعاؤنا للجميع بالقبول، وجزاهم الله جزاء الحسن، ورفع درجاتهم لهم منا كل الامتنان

قائمة المختصرات :

العـــربـــــيـــــة:

تر	ترجمة
ج	الجزء
(ح إ ح د)	حركة انتصار الحريات الديمقراطية
(ح ش ج)	حزب الشعب الجزائري
د ر	دون رقم
ص	الصفحة
ط	الطبعة
غ م	غير مؤرخ
(ن ش إ)	نجم شمال إفريقيا

الأجنـــبـــــية :

ANOM	Archive National d'Outre-Mer
P	Page

مقـــدمـــــة

مقدمة:

أنجبت الجزائر في العهد الاستعماري الفرنسي الكثير من الرجال، الذين أحبوا وطنهم، وأيقنوا أن الاحتلال زائل لا محالة، وخاضوا في سبيل ذلك الملاحم، وقدّموا التضحيات الجسيمة، و لم تُخفهم وسائل الاستعمار القمعية، ومضوا قدما يشقّون طريق الحرية، التي نعيش اليوم تحت ظلالها الوارفة، ومن واجب المروءة والوفاء علينا، أن نعترف بجميلهم ونحفظ ذكراهم.

ومن بين المناضلين الأوائل في حزب نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب الجزائري، الذين أنجبتهم الجزائر، نجد المناضل غرافة ابراهيم، ابن مدينة غرداية، الذي تتمحور دراستنا حول إسهاماته النضالية في مسيرة التحرر الوطني، وهي تحمل عنوان:

"دور المناضل غرافة ابراهيم (1890-1947م) في الحركة الوطنية الجزائرية"

حدود الدراسة:

- **الإطار الموضوعي:** تحاول الدراسة كما يشير عنوانها، الكشف عن الدور النضالي لغرافة ابراهيم في الحركة الوطنية الجزائرية، وتتبع مسيرته النضالية، والمهام التي اطلع بها في حزب (ن ش إ)، ثم أحباب الأمة، و(ح ش ج)، وفي (ح إ ح د).

- **الإطار الزمني:** 1890-1947م: لقد شملت الدراسة حياة المناضل غرافة ابراهيم من ميلاده سنة 1890م إلى وفاته في 1947م، لكن المرحلة التي تم التسليط الضوء أكثر عليها كانت الفترة من سنة 1930 إلى سنة 1942م، والتي مثلت ذروة عمله السياسي والوطني.

- **الإطار المكاني:** لقد تنقل غرافة ابراهيم بين مختلف مناطق الجزائر مختارا ومكرها، والمناطق التي أخذت القسم الأعظم من حياته النضالية كانت الجزائر العاصمة، ثم غرداية، ثم جنين بورزق، التي قضى فيها سنة كاملة تحت الحراسة، وكانت له زيارات إلى البليدة وبوفاريك، وقضى سنتين في سجن البرواقية.

دوافع اختيار الموضوع:

اخترنا هذا الموضوع لدوافع ذاتية وأخرى موضوعية:

الذاتية:

- اهتمامنا الشخصي بموضوع الحركة الوطنية لأهميتها البالغة في تاريخ الجزائر المعاصر.
- كون المناضل غرافة ابراهيم ابن مدينتنا: غرداية.
- اهتمامنا بالنضال الذي خاضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ومعرفة صناعه، وظروف مقارعتهم للاحتلال الغاشم، المدعم بتنظيم استخباراتي وإداري محكم وقوي.

الموضوعية:

- الاهتمام بالحركة الوطنية، وبالتيار الاستقلالي بالذات.
- البحث عن وجوه إسهام منطقة غرداية في النضال الوطني، وفي النشاط السياسي في الفترة الاستعمارية.
- تسليط الضوء على شخصية وطنية مكافحة، لم تحظَ بالدراسة من قبل، وتُركت في زوايا النسيان، رغم بصمتها الواضحة في الكفاح السياسي، ومعاناتها في السجون والمعتقلات في سبيل حرية الوطن واستقلاله.

الإشكالية:

تتابعت على المسيرة النضالية للشعب الجزائري أجيال من الرجال المصممين على مواجهة الاحتلال، وشاركت كل مناطق الجزائر في هذا الجهد المقدس، ومن الصحراء الجزائرية أسهم مناضلون في هذه الملحمة الوطنية الخالدة، من بينهم غرافة ابراهيم:

- فما هو الدور الذي اضطلع به غرافة في الحركة الوطنية الجزائرية؟

- وما سرّ انضمام المناضل غرافة ابراهيم إلى التيّار الاستقلالي قبل زيارة مصالي للجزائر سنة 1936م، في ظلّ عزوف الكثير من الجزائريين عنه؟
- ما هي العوامل التي صقلت شخصيته الوطنية؟

- كيف كانت ظروف محاكمته وسجنه ضمن قيادة حزب الشعب؟
- ما هي المهام التي اضطلع بها في (ن ش إ) و(ح ش ج) و(ح إ ح د)؟
- ما هي ظروف اعتقاله لمدة سنة في جنين بورزق؟
- ما سر الاحتفاء الكبير به في جنازته الحاشدة والمشهودة، التي خطب فيها الزعيم مصالي الحاج، والمناضل مفدي زكريا؟

خطة البحث:

سنحاول الإجابة على الإشكالية المطروحة من خلال خطة، تتكون من مقدمة وثلاثة فصول، المقدمة تحتوي على تمهيد للموضوع وأهميته.

الفصل الأول عنوانه: أوضاع الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، ويتكون من ثلاثة مباحث: المبحث الأول يتناول أوضاع الجزائر من 1900 إلى 1918.

المبحث الثاني بعنوان: الجزائر من 1918 إلى 1939، والمبحث الثالث يدرس أوضاع الجزائر من 1939 إلى 1947.

الفصل الثاني تحت عنوان: غرافة ابراهيم مناضلا سياسيا في الحركة الوطنية، قسمناه إلى ثلاثة مباحث: الأول يحمل عنوان: خطواته الأولى في العمل السياسي، والمبحث الثاني اخترنا له عنوان: اللقاء الأول مع الزعيم الوطني مصالي، والمبحث الثالث جاء بعنوان: غرافة يؤكد الولاء للفكرة الوطنية.

أخيرا الفصل الثالث يحمل عنوان: نشاط المناضل غرافة ابراهيم من 1937 إلى 1947، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول عنوانه: غرافة في قفص الاتهام مع قياديي (ح ش ج)، والمبحث الثاني يحمل عنوان: غرافة في السجن، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان: غرافة في المرحلة الأخيرة من حياته.

وتوجنا البحث بخاتمة، تناولنا فيها نتائج الدراسة.

أهمية الموضوع:

– إن دراسة حياة هذا المناضل الوطني، تعتبر إضافة نوعية للدراسات الأكاديمية، التي تعنى بالحركة الوطنية الجزائرية، كونه قام بدور ريادي في النشاط الاستقلالي الوطني، وكان ضمن النواة الأولى لحزب الشعب الجزائري في الجزائر، خلال ثلاثينيات القرن العشرين.

– اطلاعنا على وثائق أرشيفية ذات قيمة معتبرة، وضعها تحت تصرفنا مشكورا الدكتور صالح بن دريسو، من مركز الأرشيف الفرنسي في "أكس آن بروفانس" (AIX EN PROVINCE)، المسمى "مركز أرشيف ما وراء البحار" (ANOM)، تتمثل هذه الوثائق في تقارير أمنية وسياسية حول نشاط حزب الشعب وأعضائه في فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وتوضح الكثير من غوامض الأحداث وخلفياتها، وترصد تحركات حزب الشعب، والمناضلين الوطنيين في تلك الفترة.

– إن الموضوع الذي اخترناه لم يسبق دراسته من قبل، حسب اطلاعنا، بسبب نقص الوثائق سابقا.

الهدف من الدّراسة:

– تسليط الضوء على شخصية ساهمت في النضال الوطني، ولم تلق الاهتمام والدراسة التي تليق بكفاحها وتضحياتها في سبيل الوطن.

– التعرف على شخصية وطنية تنتسب إلى النواة الأولى لحزب الشعب الجزائري في الجزائر، بعد انتشاره في صفوف المهاجرين الجزائريين في فرنسا.

– محاولة الاستفادة من الأرشيف الفرنسي الاستعماري، بهدف إعادة بناء الوقائع التاريخية لفترة حساسة ومهمة من تاريخ الجزائر المعاصر، وهي فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، التي شهدت التحول النوعي من المطالبة ببعض الحقوق إلى الدعوة للاستقلال.

– محاولة دراسة حيثيات المحاكمة وخباياها، التي تعرض لها قياديو حزب الشعب عند تأسيسه، بتهمة إعادة تأسيس جمعية منحلة.

المناهج المتبعة:

لقد تطلبت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج التاريخي، الذي يسترشد بالوثيقة التاريخية، ويحاول دراسة الواقعة التاريخية، ورسم صورة قريبة من حقيقة الحدث، والعمل على الوثائق الأرشيفية، بقدر ما هو شاق ومرهق، فهو مفيد ومشوق، لأنه نقلنا إلى أجواء تلك الفترة المهمة من تاريخ الجزائر المعاصر، بآمالها، وآلامها، وصراعاتها، ونجاحاتها، وإخفاقاتها.

واستخدمنا المنهج الوصفي، الذي تتبعنا من خلاله مسيرة المناضل، بالكشف عن تفاصيلها ومختلف محطاتها، ومحاولة بناء تصور للمشهد العام، الذي عاش فيه غرافة إبراهيم.

واستعملنا أيضا المنهج التحليلي، لفهم حيثيات بعض الأحداث التي مر بها المناضل غرافة ابراهيم في حياته النضالية.

صعوبات البحث:

إن أهم صعوبة اعترضت بحثنا، هي عدم عثورنا على أشخاص عرفوا غرافة ابراهيم عن قرب، أو حتى سمعوا ممن عايشه، رغم الجهود التي بذلناها في الجزائر العاصمة وغرداية.

إن وفاة ابنتيه الاثنتين، وأقرب الأصدقاء إليه؛ مثل مفدي زكريا، ولحول حسين، وبوجناح سليمان، وباقي قادة (ح ش ج) في الجزائر، كان أمرا تأسفنا له، لأنه حرمنا من شهادات تاريخية مهمة، ولذلك كانت الرواية الشفوية جزءًا ثانوياً في بحثنا. إضافة إلى ذلك، فإن مراحل من حياته بقيت في الظل؛ كشبابه، والمرحلة الأخيرة من حياته، و لم نعثر على وثائق تغطيها. ورغم ذلك قد سلّطنا الضوء على أهم مراحل حياته، التي كان عنوانها النضال الوطني، والإصرار على بلوغ الأهداف.

إن تقارير الأمن الفرنسي التي اعتمدنا عليها، بقدر ما فيها من فائدة جلية، فإنها لا تخلو من الدّس الاستعماري وتشويه الحقائق، وقد حاولنا التأكد من المعلومات قدر المستطاع قبل اعتمادها.

ومن العقبات أيضا، ضيق الوقت المتاح للدراسة، وجسامة المهمة المطلوب منا استيفاء حقها، وكون الدراسة جديدة في موضوعها، ما جعلنا نركّز على أهم الوثائق، ونستأنس بمراجع أخرى.

الدراسات السابقة:

حسب علمنا، لم يسبق أن تم تخصيص دراسة لمساهمة هذه الشخصية في النضال الوطني، سواء على المستوى الأكاديمي أو غيره، باستثناء بعض المعلومات العامة حوله، وردت في الدراسات والكتب التالية:

- رسالة دكتوراه باللغة الفرنسية للباحث صالح بن دريسو، بعنوان: **تمركز المزابيين في عمالة الجزائر بين الحربين الأولى والثانية**، نوقشت بباريس سنة 2000، أتبعها بملحق بيوغرافي، وردت فيه ترجمة مختصرة للمناضل غرافة ابراهيم، وكانت أفضل هذه الدراسات من ناحية توثيق المعلومات.

- كتاب للمؤرخ الفرنسي بينيامين ستورا يحمل عنوان: **القاموس البيوغرافي للمناضلين الوطنيين الجزائريين**، تناول مسيرة غرافة ابراهيم النضالية باختصار.

إضافة إلى تعريف مختصر جدّا في عدد من الكتب من بينها:

- كتاب لحمو عيسى النوري بعنوان: **دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، ج1.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع، ونكتفي بذكر أهمها، وهي:

- الوثائق الأرشيفية من مركز أرشيف ما وراء البحار بمرسيليا في فرنسا (ANOM)، أمدنا بها مشكورا الدكتور بن دريسو صالح، وكانت بمثابة العمود الفقري للدراسة، ولو لاها لما كان ممكنا لهذه الدراسة أن ترى النور، وهذه الوثائق تتكون من تقارير للأمن الاستعماري حول التحركات اليومية للمناضلين الأساسيين في (ن ش إ) و(ح ش ج)، ومن بينهم غرافة ابراهيم، وتتمحور حول نشاطات الحزب، ووقائع محاكمة غرافة ابراهيم وزملائه، وظروف سجنهم، ومعلومات شخصية عن قادة الحزب، وهذه الوثائق، رغم ما فيها من فوائد جلية لدراسة تلك الفترة المهمة من تاريخ الجزائر المعاصر، فإن على الباحث النزيه أن يتوخى الحذر من بعض ما فيها من تحوير للحقائق، ويُخضِع كل وثيقة للفحص والنقد الصارم، ويقارنها بمصادر أخرى، مثل المذكرات، والشهادات الشفوية، والصحف، والصور.

– مذكرة بن دريسو المعنونة: تمركز المزابيين في عمالة الجزائر ما بين الحربين.

Ben Drissou Salah: **IMPLANTATION DES MOZABITES DANS LE DEPARTEMENT D'ALGER ENTRE LES DEUX GUERRES**, Thèse de Doctorat en Histoire, Université de Paris VIII, 2000.

اتبعها بملحق بيوغرافي حول الشخصيات المهمة، التي تناولها في مذكرته، ومن بينها غرافة ابراهيم، وقدم تعريفا موجزا لحياته، وقد استفدنا منه في بعض الوثائق، التي استعملها في دراسته.

– كتاب حمودة مصطفى المعنون: **مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي إلى قيام الحرب العالمية الثانية**، ج1، مطبعة الآفاق، غرداية، الجزائر، 2012، واستعان حمودة بعدد معتبر من الوثائق الأرشيفية في دراسته حول حياة مفدي زكريا، مع العلم أن مسار نضال مفدي يتقاطع مع مسيرة صديقه غرافة ابراهيم، سيما في الفترة من 1936 إلى 1939، التي تمثل ذروة العمل النضالي لغرافة ابراهيم، وقد استطاع حمودة الحصول على وثائق أرشيفية مهمة لم تتوفر بين أيدينا، وهي تخص أعمال (ح ش ج) ومفدي وغرافة، واستفدنا من دراسته كثيرا لتغطية هذه الفترة. من بينها نشاط مصالي الحاج بعد عودته إلى الجزائر، بالإضافة إلى وقائع المحاكمة، وحياة قادة (ح ش ج) في السجن.

– كتاب بينيامين سطورا المعنون: **القاموس البيوغرافي للمناضلين الوطنيين الجزائريين**.

Binjamin Stora: **Dictionnaire Biographique de militants Nationalistes Algériens**, Editions L'Harmattan, Paris, 1985.

قدم سطورا بيوغرافيا حول المناضلين الوطنيين الجزائريين، من بينهم غرافة، وانفرد ببعض المعلومـــات ، مثل: تمثيـــل غرافة لـــ (ح ش ج) في المؤتمر الإسلامـــي سنة 1938، بعد خروجه من السجن، رغم بعض الأخطاء التي وقع فيها، مثل:

* سنة الميلاد: 1910، والصحيح (1890)
* مكان الميلاد: بني يزقن، والصحيح (غرداية).
* سنة الوفاة: 1950، والصحيح (1947).

الفصل الأول

أوضاع الجزائر في النصف الأول

من القرن العشرين

المبحث الأول: الجزائر من 1900 إلى 1918: المخاض الصعب

1- سياسة السلطة الاستعمارية في الجزائر: تجذر النظام الاستعماري

عانى الشعب الجزائري من التعسف الاستعماري من اليوم الأول الذي وطئت فيه أقدام الجيش الفرنسي أرض الجزائر الطاهرة، وانتهجت السلطة الاستعمارية سياسة قمعية وتمييزية ضد الجزائريين، مدعمة بترسانة من القوانين الاستثنائية، هدفت إلى إضعاف مقاومته، وتكبيله بأغلال التبعية والإذلال، ويعتبر قانون الأهالي أو الأندجينا[1]، الذي بدأ صدوره سنة 1871م، ثم زيدت إليه إضافات في السنوات اللاحقة، من أبرز شواهد السياسة القمعية الاستعمارية، وقد مُنحت بموجبه للإداريين الفرنسيين في الجزائر صلاحيات تطبيق الجنح على المخالفات المرتكبة من طرف الجزائريين، الذين سمتهم السلطة الاستعمارية "الأهالي"، تصغيرا لشأنهم، وكان الغرض منه مراقبة كل نشاطات حياة المسلمين الجزائريين، وإخضاعهم للطاعة الصارمة[2]، وتسخيرهم لخدمة الإدارة الاستعمارية، واستغلالهم، وإضعاف روحهم المعنوية، ولعل إلقاء نظرة إجمالية على بعض المخالفات التي يعاقب عليها هذا القانون، تعطينا صورة واضحة عن الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان الجزائري، من طرف حكومة تدعي أنها تحمل رسالة تمدينية للجزائريين، وترفع شعارا براقا وزائفا، هو شعار الثورة الفرنسية 1789م حرية -مساواة -إخاء، ونختصر هذه الجنح في النقاط التالية:

إهانة مستخدمي السلطة الفرنسية، ولو كانوا خارج وظائفهم، السكن المعزول خارج الدوار بدون رخصة، مغادرة الدوار بدون رخصة، الاجتماع لأغراض دينية دون رخصة، التسول خارج الديار دون رخصة، إهمال الاستدعاء البسيط، ولو كان شفويا، وعدم المثول أمام السلطات، عدم المشاركة في واجبات السخرة، وغيرها مما تفرضه الإدارة، عدم التسجيل في الحالة المدنية.

---

[1]- قانون الأهالي أو الأندجينا، أصدره البرلمان الفرنسي ليكون ساريا مدة سبع سنوات قابلة للتجديد، وهو مجموعة من النصوص القانونية الاستثنائية، والإجراءات القمعية التي بدأ فرضها بعد ثورة 1871م، تدعم مرارا، وظل يمدد حتى عام 1944، ينظر: بشير بلاح: **كرونولوجيا الجزائر من 1830م إلى 2000م**، دزاير انفو، الجزائر، 2013م، ص94.

[2]- شارل روبير أجرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة: من انتفاضة 1871م إلى اندلاع حرب التحرير 1954م**، تر: محمد حمداوي، ابراهيم صحراوي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ج2، ص36.

سعى المستوطنون إلى الانفراد بتسيير شؤون المستعمرة، وقهر واستغلال الجزائريين، والاستحواذ على ثروات البلاد، وبعد إلحاحهم في جعل القوانين في الجزائر هي نفسها المطبقة في فرنسا، حصلوا سنة 1898م على نوع من الاستقلال المالي في تسيير شؤونهم ومشاريعهم الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر[1]، وحققوا بذلك مكاسب معتبرة، وأصبحت للجزائر ميزانية مالية مستقلة، يشرف عليها مجلس مالي، وله إضافة لذلك صلاحيات تشريعية، ويحوز فيه المستوطنين على الأغلبية المطلقة، ولا يحظى المسلمون الجزائريين إلا بنسبة الثلث من مقاعده، يعين نصيب منه من طرف الإدارة الاستعمارية، وبقيت نسبة الثلث هذه إلى سنة 1944م، حيث رفعت إلى أربعين في المائة[2]. وتباهت هذه الإدارة بأنها منحت للجزائريين حق المشاركة في إدارة الشأن العام في بلادهم، كأنه منة تفضلت بها، لتظهر كرمها الحاتمي للجزائريين، وللأمم الأخرى التي تشهد مستغربة تعسفها وقهرها الطويل لشعب مستضعف ومغلوب على أمره، والحقيقة أن أغلب الجزائريين الذين كان لهم حظ الانتساب لهذه المجالس لم يكونوا يمثلون سوى مصالحهم الذاتية، ويتملقون للإدارة التي عينتهم، وهيمن المستوطنون الأوروبيون على هذا المجلس، وتواطؤوا على إصدار القرارات المالية التي تخدم مصالحهم، وراحوا يوجهون سياسة الحكام العامين وفق رغباتهم، وباتجاه تهميش مصالح المسلمين الجزائريين وحقوقهم، وكان النواب الأوربيين يمارسون نفوذا معتبرا على الإدارة في باريس والجزائر، ويؤثرون بفعالية في مجرى الأمور، ولا يعين أي حاكم عام إلا بموافقتهم، ولا يشرع أي قانون في البرلمان الفرنسي إلا بعد استرضائهم، كما أنهم وقفوا دائما في وجه المحاولات الرامية إلى منح بعض الحقوق للجزائريين، وكانت الاستقلالية المالية والمجلس المالي، أداة لممارسة السيطرة، وخدمة مصالح كبار المعمرين، وكان لرؤساء البلديات صلاحيات واسعة في التسيير المحلي، وإقامة الخدمات

[1]- أبو القاسم سعد الله: **خلاصة تاريخ الجزائر: المقاومة والتحرير 1830-1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م، ص71.

[2]- صالح بالحاج: **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910-1939م**، منشورات بن مرابط، الجزائر، 2015م، ص121.

العامة، والمرافق التي تخدم مصالح السكان الأوربيين، ويمكننا إجمال السياسة التي انتهجتها السلطة الاستعمارية في الجزائر في النقاط التالية:

– محاولة القضاء على هوية الشعب الجزائري وشخصيته الضاربة في أعماق تاريخه الطويل، والرافضة لكل أشكال الهيمنة الأجنبية.

– مصادرة الأراضي الفلاحية الخصبة من الجزائريين، ومنحها للمعمرين، عن طريق إصدار قوانين جائرة، أو انتقاما من انتفاضاته المتعددة.

– إهمال تعليم الجزائريين، وفرض اللغة الفرنسية على الجزائريين القلائل الملتحقين بالمدراس الرسمية، وإبعاد اللغة العربية عن التعليم والإدارة، وإهمال شأنها، والتقليل من قيمتها، حتى ينفر منها الجزائريون.

– معاملة الدين الإسلامي باحتقار وإهانته، في حين أنه عامل الأديان الأخرى باحترام، ووضع المساجد تحت الرقابة الصارمة[1]، والتضييق على الجمعيات الدينية الإسلامية، والزوايا ذات الروح الوطنية، وتقريب الطرق الصوفية والشخصيات والأسر الدائرة في فلك الاستعمار.

– مصادرة الكثير من الأوقاف، وتقييد سفر الجزائريين إلى البقاع المقدسة.

– استحواذ المستوطنين على الإدارة والمجالس المسيرة للشأن العام، وتخصيص نسب ضئيلة للجزائريين، رغم تفوقهم العددي وانتمائهم للأرض.

– فرض ضرائب مجحفة على الجزائريين، وتخفيف الأعباء الجبائية عن المستوطنين، المسيطرين على مقاليد الاقتصاد الجزائري.

– تجريد القضاء الإسلامي العريق من صلاحياته، وحصر اختصاصاته في دائرة ضيقة النطاق، لا تتجاوز الدعاوى المتعلقة بالأحوال الشخصية والإرث، وذلك تمهيدا للقضاء على الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري.

هذا غيض من فيض من ممارسات الاستعمار بحق الجزائريين، وقد كان الاحتلال فعلا محنة شديدة الوطأة عليه، لم تزل إلا بتكلفة ثقيلة، وسنوات طويلة، خُضبت بالدم والدموع.

[1] – يحي بوعزيز: **السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830–1954م**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص88.

2- تزايد هجرة الجزائريين إلى الخارج: رحلة الاسترزاق

هاجر الكثير من الجزائريين إلى الخارج منذ بداية الاحتلال في موجات متتالية، سعيا وراء الحرية، ومثلت الهجرة تعبيرا مضمرا لرفض الجزائريين للوضع الاستعماري القائم، ولسياسته القمعية، وشكلا من أشكال المقاومة السلبية، وزادت وتيرة الهجرة بعد ثورة سنة 1871م، سيما سنوات 1874-1875-1888-1893م، وكانت من بين أهم أسباب الهجرةِ الاضطهادُ والظلمُ، الذي تعرض له الجزائريون من طرف الاستعمار الفرنسي، ومراقبة المؤسسات الدينية، ومصادرة الأوقاف، وبسط نفوذ فرنسا التام على جميع الشؤون الإسلامية، كالقضاء، وإمامة المساجد، إضافة إلى الأحوال الاقتصادية المتردية، والضرائب الثقيلة المفروضة على الجزائريين، وفقدانهم لأخصب أراضيهم، والتوزيع غير العادل للميزانية العامة، التي كان الجزائريون يدفعون لها الكثير[1]، وقد لفتت الهجرة الواسعة لعائلات جزائرية إلى سوريا والمشرق العربي، وبلدان الشمال الإفريقي المجاورة، أنظار الإدارة الاستعمارية سنة 1910م، وحاولت الحد منها ومنعها خدمة لمشروعها الاستعماري[2]، وارتبطت بعض الهجرات بأسباب خاصة، مثل هجرة سكان سطيف سنة 1910م، بسبب تعسف القياد، ومصادرة الأراضي، ووطأة قانون الأهالي، ومشروع التجنيد الإجباري، وعبء الضرائب، وصرامة النظام الغابي.

كانت الهجرة الفردية والجماعية تشمل كل مناطق الجزائر، وقد هاجرت عدة عائلات نافذة إلى سوريا في مطلع القرن العشرين، ففي سنة 1911م هاجرت ألف ومائتي عائلة مدينة تلمسان قاصدين الشام، وقد عزز إيمان الجزائريين بفكرة الجامعة الإسلامية الهجرة إلى المشرق، بحثا عن ملاذ آمن يجدون فيه حريتهم، ويمارسون فيه شعائر دينهم مع إخوانهم المسلمين، وبحلول سنة 1911م بلغ عدد المهاجرين الجزائريين إلى سوريا عشرين ألف مهاجر، وبلغ عدد

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار البصائر، ط6، الجزائر، 2009م، ج2، ص120.

[2]- عبد الله مقلاتي: **المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1954م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م، ص127.

المهاجرين إلى تونس والمغرب إلى نفس العدد، وتوزعت الهجرة الجزائرية على دول المشرق مثل مصر، وتركيا، والحجاز، وسوريا، ولبنان، بل ووصلت حتى إلى ايران، والهند[1].

تمتع الجزائريون في المشرق بحرية أكبر، وتسهيلات واسعة من طرف السلطة العثمانية، ومنحوا أراضٍ، وامتيازات اقتصادية مجزية، وبقي المهاجرون الجزائريون على اتصال مستمر بوطنهم الأصلي، وبذويهم في الجزائر، وبما يصلهم من أخبار الجزائر عبر الحجاج، والتجار، والسياح، وساهموا في نشر دعاية الجامعة الإسلامية في الجزائر، وفي تعزيز الروح الوطنية الرافضة للاستعمار وسياسته التسلطية.

كان ينتشر نوع آخر من الهجرة بين الجزائريين تدريجيا في تلك الفترة، طلبا للرزق في فرنسا، نظرا لسوء الأحوال الاقتصادية في الجزائر، وفقدان الأراضي الفلاحية التي كان يعيش من خيراتها الأجداد.

يتفق أغلب المؤرخين الذين كتبوا عن الهجرة الجزائرية إلى فرنسا، بأنها قد تمت في مرحلتها الأولى بشكل بسيط ومتواضع، ولم تثر الانتباه إليها، لذلك يصعب تحديد سنة بداية الهجرة لفرنسا، وقد بدأت بالتأكيد قبل سنة 1874م، وهي السنة التي صدر فيها مرسوم يقيد الهجرة إلى فرنسا بالحصول على إذن بالسفر[2].

بلغ عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا ما بين سنة 1900م و1914م حوالي 10 آلاف مهاجر جزائري، وحوالي نصف هذا العدد هاجر بين عامي 1912م و1914م، وقد عارض المستوطنون الأوربيون الهجرة الجزائرية إلى فرنسا، لأنها تحرمهم من اليد العاملة الرخيصة، وممارسة التسلط والاستغلال بحق الجزائريين، وقد أدت الحرب العالمية الأولى إلى هجرة جديدة من العمال والمجندين إلى فرنسا، لمساندة المجهود الحربي لفرنسا، وكان لهذه الموجة الجديدة نتائج خطيرة على الحركة الوطنية الجزائرية، فعلى يد هذه الطليعة تأسس أول حزب سياسي جزائري وطني ثوري منظم[3].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ص124.

[2]– عبد الحميد زوزو: **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914–1939م**، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص12.

[3]– أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ص129.

حتى تاريخ 1905م كان سفر الجزائريين إلى فرنسا يتطلب رخصة خاصة صعبة المنـــال، وألغيت الرخصة من الحاكم العام 28 جانفي 1905م لبعض الفئات، وهم الموظفون، والقضاة، والأعيان، والخدم، والعمال المشتغلون في خدمة الأوروبيين، وبدأ الجزائريون يسافرون إلى فرنسا للعمل، لاسيما وأن الأجور تساوي على الأقل ضعف الأجور المطبقة في الجزائـــر، ووقعـــت مواجهة بين إرادتين متناقضتين ما بين سنتين 1905م و1924م فيما يخص الهجرة الجزائرية إلى فرنسا، إرادة المعمرين في الجزائر وخوفهم من فقدان يد عاملة رخيصة، وإرادة الحكومة وأرباب العمل الفرنسيين، الراغبين في استغلال اليد العاملة الجزائرية[1]، وهاجر بعض العمال من منطقـــة القبائل الصغرى إلى فرنسا، وكان نجاحهم حافز لالتحاق عمال آخرين بهم، وتذكر تقـــديرات رسمية هذه الأرقام لسنة 1912م:

2000 مهاجر من القبائل في مرسيليا، و1500 مهاجر جزائري في المنـــاجم ومعامـــل التعدين في باد كالي، وبضع المئات من الجزائريين في باريس.

لقد كان للحرب العالمية الأولى الفضل الأول في فتح باب الهجرة أمـــام الجزائـــريين إلى فرنسا، وتزايد حجم الهجرة إلى فرنسا للأسباب التالية:

- ارتفاع القيد عن الهجرة بصدور قانون 1914م.

- الإشراف على تنظيم الهجرة سنة 1916م من قبل السلطات التي أسســـت مصـــلحة عمال المستعمرات، التي كانت تحت إشراف وزارة الحربية الفرنسية وكانت هذه المصلحة تتولى تسجيل العمال في الجزائر ونقلهم إلى فرنسا، ثم توزيعهم حسب حاجة أرباب العمل إليهم.

- إلحاق الشباب بوحدات الجيش الفرنسي قبل سن التجنيد، وكانت دفعة سنة 1917م قد أجبرت على اللحاق بالجندية قبل سنة من السن القانوني، وجندت السلطة عنـــوة 17000 عامل[2]، للحاجة إليهم في المعارك الدائرة في مختلف جبهات الحرب.

بلغ عدد العمال الجزائريين في فرنسا بين 1915م و1918م ما يربو عن 78 ألف عامل.

---

[1]- محفوظ قداش: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، تر: امحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر 2011م، ص223.

[2]- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص14.

بعد نهاية الحرب، زادت حاجة فرنسا إلى اليد العاملة الجزائرية، لتسخيرها في إعادة تعمير ما هدمته الحرب، وللحاجة إليهم في مختلف وجوه النشاط الاقتصادي، فزادت بـــذلك وتـــيرة هجرة العمال الجزائريين إلى فرنسا، وكانت الهجرة في تلك الفترة تخص الذكور البالغين فقط، و لم تسجل هجرة النساء والأطفال، إلا ابتداء من سنة 1950م.

3- الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى: ضحايا في أتون الحرب

إن الحرب العالمية الأولى شكلت محطة مفصلية في تاريخ الجزائر المعاصر، وتركت أثـــارا بالغة الأهمية في المسيرة النضالية للشعب الجزائري، وأيقظت وعيه السياسي، وأكسبته خبرة ثمينة في المجال العسكري، وأدى احتكاكه المباشر بالأمم الأوروبية إلى معرفة متزايدة بأشكال التنظيم السياسي، وبالهوية القومية، وتعزز إدراكه بأهمية الهوية القومية ومعنى الحرية والاستقلال.

اندلعت الحرب والجزائر تعيش أوضاعا مزرية، في ظل استعمار استيطاني، سد كل أبـــواب التطور والحرية في وجه الجزائريين، و لم يبقَ من الهياكل الاجتماعية المتوارثة من أعماق التـــاريخ إلا شبحا هزيلا، أضعفته السياسات الاستعمارية، وأفقدته هيبته وقيمته، تمهيدا للإجهاز علـــى البقيـــة الباقية من الهوية والروح الجزائرية الأصيلة، ولكن تطور الأحداث كما سنرى لاحقا، زعزع كيان المشروع الاستعماري لبنة لبنة، بهدوء وتوءدة، حتى فكك عراه وأحاله إلى متحف التاريخ.

بدأ التلاحم الشعبي يظهر قبل إطلاق الرصاصة الأولى للحرب، وفي خضم أجـــواء التـــوتر السياسي بين فرنسا وألمانيا، عمدَت الإدارة الفرنسية إلى إطلاق مشروع التجنيد الإجباري، الذي لقيَ مقاومة شرسة من الجزائريين، ورفضا قاطعا، فتوالت العرائض والرسائل على الإدارة الاســـتعمارية، تعلن بكل قوة رفضها للمشروع، لأنه يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي السمحة، ويعرّض الجزائريين لمخاطر لا تخدم مشروعهم الوطني، ولا تزيدهم إلا غرقا في مستنقع الهيمنة والاستغلال.

اندلعت الحرب العالمية الأولى في صيف 1914م، واعتقد الكثير من الجزائريين أن انهـــزام فرنسا فيها سيعود بالفائدة عليهم، وقد وجدت الدعاية الألمانية صدى واسعا لدى الجزائـــريين، فالتحق بعضهم بصفوف الجيش الألماني، أملا في انتصار ألمانيا وتحقيـــق الاســـتقلال، وأمـــل المتعاطفون مع هذه الدعاية أن يؤدي انتصار ألمانيا والدولة العثمانية إلى استقلال الجزائر، وقـــد

كان وجود الأمير علي بن الأمير عبد القادر في أوروبا، للإشراف على تدريب الجزائريين، عاملا مشجعا على فرار أعداد معتبرة من الجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي[1].

أُعلنت حالة الطوارئ في الجزائر بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وتوقفت الصحف عن الصدور، وأُغلقت النوادي، ومُنعت حرية التعبير، وسَكت السياسيون عن الكلام خوفا من المتابعة والتصفية، وجُنّد الشباب الجزائري للحرب المستعرة، وقُدّم وقودا لها، ونُشر على الجبهات في أوروبا خدمة للراية الفرنسية، التي قمع آباؤهم وأجدادهم باسمها.

نشطت الدعاية الفرنسية في الجزائر تعبئ الرأي العام ضد ألمانيا وحلفائها، وتحثهم على نصرة القضية الفرنسية والدفاع عن فرنسا أمام الزحف الألماني العارم، وصدرت صحف تبث الدعاية الرسمية منها "فرنسا الإسلامية"، و"أخبار الحرب".

أخذت فرنسا تقدم وعودا، وتمنّي الجزائريين وتعدهم بإصلاحات سياسية وإدارية، مقابل انخراطهم الفعال في المجهود الحربي، و لم تكن حركة النخبة في هذه الظرفية الحاسمة قد أنضجت مشروعا واضحا تدافع عنه، وهو ما أضعف الموقف الوطني، ومكّن الإدارة الفرنسية من أن تلتف على آمال الجزائريين، فقد أكدت فرنسا أن الجزائريين مخلصون لها، واتخذت كامل احتياطاتها لمواجهة الموقف، ومنها مواجهة الدعاية الألمانية، التي تؤثر على الجنود في جبهات القتال، وقد خاب أمل الجزائريين بفشل التحالف المركزي في الحرب، و لم تكن الثورات الشعبية قادرة على الصمود في وجه فرنسا، لرد الجميل للذين ضحوا من أجلها[2].

انتهز الجزائريون فرصة انشغال فرنسا بحربها الضروس مع ألمانيا، وبادروا إلى الثورة في عدة مناطق:

بني شقرون 1914م-1915م، الأوراس 1916م-1917م، الهقار 1918م-1919م، وقام الشباب الرافض للخدمة العسكرية بعمليات ضد الفرنسيين في الجزائر، صدر مرسوم

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، المرجع السابق، ص240-247.

[2]- عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص133.

07 سبتمبر 1916م، الذي ينص على تجنيد الجزائريين الذين وُلدوا بعد عام 1889م، وعدم السماح لأي شخص أن يحصل على إعفاء[1].

ساد خلال الحرب وبعدها في الجزائر نوع من الاضطراب العام ضد الوجود الفرنسي، و لم تكن الجزائر هادئة أو موالية لفرنسا، كما حاولت الدعاية الفرنسية تصويرها.

أما على المستوى الخارج، فقد وقعت عدة ثورات ضد الوجود الأجنبي، كثورة الأمير عبد المالك؛ الابن الأصغر للأمير عبد القادر في المغرب الأقصى، وحركة سليمان الباروني، إضافة إلى الصلات التي كانت تربط الباروني في الجزائر، التي زارها عدة مرات، وتعلم على يد الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في بني يزقن[2].

أُنشئت لجان التحرير الشمال الإفريقي، في كل من برلين وجنيف، تزعمتها المعارضة التونسية، كما نشطت جريدة المهاجر الناطقة باسم المهاجرين الجزائريين في دمشق، ونشطت شخصيات إسلامية ضد الاحتلال، مثل الأمير علي بن عبد القادر، ومحمد الخضر حسين، والأخوان؛ علي ومحمد حنبة.

كانت الإدارة الفرنسية قد سعت لإدخال بعض الإصلاحات الطفيفة، لإرضاء القياد والبرجوازيين، واستغلت رجال الدين الرسميين في توجيه دعايتها[3].

تمكنت فرنسا من اجتياز محنة الحرب العالمية الأولى، بعد أن جندت 82751 جزائريا، في إطار الخدمة العسكرية، وانخرط 87519 جزائريا في الجيش بصفة دائمة، وخسرت الجزائر في الحرب ما لا يقل عن 25711 قتيل مسلم، و72035 جريح، أي 14% من القوات الجزائرية التي جُندت للدفاع عن فرنسا، وهذه النسبة قريبة جدا من نسبة الفرنسيين، الذين ماتوا في الحرب العالمية الأولى، بنسبة 16% [4].

---

[1]- عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013م، ص212

[2]- أبو القاسم سعد الله: **خلاصة تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص101.

[3]- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص134.

[4]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص213.

المبحث الثاني: الجزائر من 1918م – 1939م: تبلور الحركة الوطنية

1. أوضاع الجزائريين بعد الحرب، اجتماعيا واقتصاديا: التردي والتراجع

كانت أوضاع الجزائريين الاجتماعية والاقتصادية بعد الحرب مزرية للغاية، إذ فقد الفلاحون ما تبقى لديهم من أراضي، وتحولوا إلى مشردين، وخماسين لدى المستوطنين ورجال الإقطاع، وظل قانون الأهالي يثقل كاهل الجزائريين بتعسفاته الجائرة (ضرائب اعتقالات تهميش...الخ).

عاشت الجزائر توترات اجتماعية، مست مختلف شرائح المجتمع، بسبب القوانين الفرنسية المجحفة في حق الشعب الجزائري، وسياسية التمييز بين المعمرين والجزائريين، ومارست السلطات الفرنسية سياسة جائرة ومجحفة، تمثلت في عدة إجراءات قمعية، نوجزها فيما يلي:

– إتباع أساليب القمع والإرهاب ضد المجتمع الجزائري، من مصادرة الأراضي واستيلاء عليها واستيطانها.

– ممارسة سياسة التمييز في التعامل مع الجزائريين، وتمثلت في التفرقة بين السكان، من كل الأطياف تقريبا، بين الأمازيغ من جهة، وبين العرب والأمازيغ من جهة أخرى.

– إصدار التشريعات الجائرة، والمتمثلة في القوانين الزجرية، والتي من خلالها اعتبر الجزائريون في الدرجة الثانية، والتمييز بينهم وبين الفرنسيين[1].

– هجرة الجزائريين إلى الخارج، لأسباب سياسية، ودينية، واجتماعية، واقتصادية، نحو المغرب الأقصى وتونس والشرق الأدنى، كما رأينا آنفا.

– حرمان الجزائريين من الارتقاء في الوظائف، رغم القانون الذي أصدره نابليون الثالث في 1865/07/14م، الذي يبيح فيه للجزائريين بتولي بعض الوظائف الإدارية في جهاز الدولة، إلا أن القرارات الصادرة في 1919م و1929م، قد حددت عددا من الوظائف الإدارية، أطلق عليها اسم "وظائف السلطة"، والتي لا يمكن للجزائريين أن يتولوها حتى ولو تجنسوا[2]، وقد سمحت ظروف الحرب العالمية، التجنيد الإجباري، وازدياد ظاهرة الهجرة إلى فرنسا بتغيير

---

[1]– أحمد الخطيب: **جمعية علماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص32.

[2]– رابح تركي عمامرة: **جمعية علماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931–1956م: ورؤسائها الثلاثة**، المؤسسة الوطنية للنشر، 2004م، ص 42.

أوضاع الجزائريين وتحسنها نوعا ما، كما سمح الحال للجزائريين العائدين إلى الوطن بتعلم بعض الحرف والتجارب، فكانوا مستعدين للعمل كعمال يدويين في الحرف، وعمال زراعيين وموظفين في الموانئ، وسكك الحديد، والبريد... الخ، فبذلك ازدادت طبقة البروليتاريا اتساعا في فترة ما بعد الحرب، وهذه الطبقة سوف تساهم بفعالية في النضال الاجتماعي والسياسي الوطني، رغم ظروفها القاسية، إذ كانت الفئات الواسعة للجزائريين لازالت عرضة للأمراض، والأوبئة، والاستغلال، وكانت غالبية السكان يقطنون بالأرياف، ويعيشون مظاهر التخلف، وتهيمن عليهم أفكار الطرق الصوفية المخدرة، ومظاهر الفرقة بين الأعراش، وبين العرب والبربر، وبين سكان المدن والأرياف.

ففي المجال الاقتصادي، ومن الناحية الزراعية استولى المستوطنون على أجود الأراضي الجزائرية، وطوروا قطاعا زراعيا حديثا، وأهملوا المحاصيل الزراعية المعاشية، مثل الحبوب، واتجهوا للتوسع في زراعة المحاصيل التجارية، التي تخدم الاقتصاد الفرنسي، ومصالح والمستوطنين[1]. ففي فترة ما بين 1920م و1929م زادت موجة الاستيطان، حيث وضعت فرنسا تحت تصرف المعمرين 318770 هكتار، وبنت لهم 288 قرية استيطانية[2]، ووجهت فرنسا اقتصاد الجزائر لخدمة اقتصادها، من خلال إنتاج الخمور، بإقامة مصانع كبيرة لصناعته وتقطيره. وقامت بزراعة التبغ للتصدير، أما صناعيا شهد هذا القطاع تراجعا، فكانت الصناعات مقتصرة على الصناعة الغذائية والفلاحية التي تخدم الزراعة الأوروبية، حيث أنشأت ورشات للتصنيع بلغت 20540 مؤسسة خلال سنة 1924م، وعدد العمال فيها من 110 إلى 220 عامل، وكانت هذه المؤسسات ذات طابع صناعي تُشغل فيه يد عاملة أوروبية في معظمها[3]. وكانت الصناعة اليدوية مزدهرة، ففي كل مدينة كانت تعمر الأسواق بأصناف من مصنوعات الصوف، والحرير، والجلد، والنحاس، وكانت صناعة الأسلحة مزدهرة[4].

[1]- رابح تركي عمامرة، المرجع نفسه، ص 94

[2]- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص38

[3]- عبد الحميد زوزو، المرجع نفسه، ص 44

[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 45

أما الوضع الثقافي، فإن حركة النهضة وجهود الإصلاح، أكدت على إرساء أسس التعليم العربي، وتشجيع تعليم الجزائريين في المدارس الفرنسية، وقامت النوادي والجمعيات الثقافية بحركية نشيطة في تفعيل النشاط الثقافي، كما أن فترة ما بعد الحرب شهدت ميلاد الصحافة الأهلية، ولكن الإدارة لم تسمح لها بالنشاط الحر، لأنها خاضت في مختلف القضايا الوطنية والسياسية.

فقد عرفت أوضاع الجزائريين بعض التطورات الحاسمة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وذلك بفعل التحولات التي عرفتها البلاد في بداية القرن العشرين، وانعكاسات الحرب العالمية، التي كان لها تأثير بالغ على جميع المجالات، وخاصة الجانب السياسي.

في سنة 1930م احتفل الاحتلال الفرنسي بمرور قرن كامل على احتلاله للجزائر، وقد حضر رئيس الجمهورية الفرنسي خصيصا للجزائر لرئاسة الاحتفالات[1]. وثم تدشين نصب تذكاري في بوفاريك[2].

لقد أدى إحياء الذكرى المئوية إلى تسارع الوعي الوطني، وحتى أكثر الأعيان ولاءً لإدارة الاحتلال كانوا ممتعضين من الدور الموكل اليهم بالمناسبة، بل أبدى بعضهم انزعاجه، ولو بصوت خافت، كما كانت تصريحات هيئات الكنيسة بالمناسبة تُشتم منها رائحة الروح الصليبية[3].

تركت الاحتفالات خيبة أمل في أوساط الجزائريين، وضاعف حزب النجم من حملته المعادية للاستعمار الفرنسي، وخاصة بعد إصدار قرار حله مع نهاية 1929م، ووجه رسالة إلى عصبة الأمم؛ محتجا فيها عن هذه الاحتفالات، ومذكرا ببشاعة الاحتلال الفرنسي. أما المنتخبون، باعتبارهم اندماجيون طالبوا بتطبيق سياسية الإدماج على نطاق واسع، كما رفض العلماء هذا الاحتفال بدافع الدين والثقافة الإسلامية، وطالبوا بالاعتراف بوجود الأمة الجزائرية، واعلنوا ميلاد جمعية علماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931[4].

---

[1]- رابح تركي عمامرة، المرجع السابق، ص 42

[2]- محفوظ قداش: **جزائر الجزائريين: تاريخ الجزائر 1830 – 1954**، تر: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 293.

[3]- أحمد مهساس، **الحركة الثورية في الجزائر: من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة**، تر: الحاج مسعود مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص 102

[4]- جلال يحي: **السياسة الفرنسية في الجزائر 1830–1960م**، دار المعرفة القاهرة، مصر، 1995م، ص 253.

2. المشاريع الفرنسية والمؤتمر الإسلامي: سياسة الإلهاء

أ- المشاريع الفرنسية:

خاضت الحركة الوطنية الجزائرية نضالا مستميتا ضد الإدارة الفرنسية، إلا أن هذه الإدارة ضلت محافظة على سياستها المعتادة، وقد ساهمت بعض الظروف الداخلية والخارجية في إملاء سياسة بديلة، تعتمد على سياسة القوة والإغراء، وطرح المشاريع الإصلاحية.

إن ازدياد مطالب الحركة الوطنية، وتجذر أفكار النجم الاستقلالية، دفع السياسة الفرنسية لاقتراح تدابير ومشاريع لإغراء الحركة الوطنية وإسكات مطالبها، من المشاريع؛ مشروع فيوليت، وقد أثار هذا المشروع منذ طُرح سنة 1931م الكثير من الجدل، رغم فشله في نهاية المطاف.

فقد كلف فيوليت برئاسة لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي واقترح الإصلاحات الواجب اتخاذها في الجزائر، فاقترح على البرلمان مشروع إصلاحات ضرورية لاستيعاب المطالب الجزائرية والحفاظ على الأمن بالجزائر، من ضمنها تحسين قطاع التعليم والزراعة، ومنح بعض الجزائريين نفس الحقوق والواجبات مع الفرنسيين، وإلغاء المحاكم الخاصة، وتوسيع الدائرة الانتخابية للجزائريين، وإنشاء مجلس استشاري، ووزارة لشؤون إفريقيا، ويكون فيها للجزائريين نصيب معتبر.

فلقي هذا المشروع تأييدا من النخبة الجزائرية[1]، وتبناه العلماء رغم التحفظ على بعض بنوده، في حين رفضه النجم، وكذا المستوطنين الذين اعتبروه خطرا جسيما على مصيرهم، ورفضوا المشروع، إلى أن تم إلغاؤه سنة 1935م، مما أصاب الجزائريين بخيبة أمل، وأصر صاحب المشروع على الدفاع عن أفكاره، من خلال نشره لكتاب بعنوان: "هل ستعيش الجزائر"، عرض فيه تفاصيل إضافية عن مشروعه، ودافع من خلاله عن أفكاره الاندماجية[2].

إلى جانب هذا المشروع اقترح عددا من المشاريع، مثل مشروع فيرنوت، ومشروع كوطولي، ومشروع دوروكس، وكلها لم تحض -كما أكد الإبراهيمي- بمثل ما حضي به مشروع فيوليت من رضا الجزائريين.

---

[1]- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص154

[2]- أبو القاسم سعدالله: **الحركة الوطنية**، ج3، المرجع السابق، ص20.

سعت الإدارة الفرنسية إلى تطبيق القوانين الزجرية، للحد من نشاط الحركة الوطنية، خاصة العلماء، فاجتهدت للتضييق عليهم، وصدر سنة 1933م منشور ميشال (الكاتب العام لولاية الجزائر)، الذي ينص على مراقبة نشاط العلماء، ومنعهم من ممارسة التعليم والمهام الدينية، وهددت فرنسا كل من يطلب بإصلاحات جديدة، وصدر قرار يوم 30 مارس 1935م بتسليط عقوبات قاسية زجرية، لكل من يثير الشغب، ويعارض قوانين الإدارة الفرنسية[1].

ب- المؤتمر الإسلامي:

عرفت مرحلة الثلاثينيات في الجزائر نشاطا سياسيا مكثفا، مثلته مختلف التشكيلات السياسية القائمة آنذاك بنشاطاتها المتعددة، خاصة بوصول الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا، وإظهارها في بداية أمرها انفتاحا على مطالب الطبقة السياسية الجزائرية، انطلقت فكرة انعقاد المؤتمر من قسنطينة، البعض ينسبها للشيخ عبد الحميد بن باديس، والبعض الآخر ينسبها للدكتور محمد بن صالح بن جلول، والبعض يري بأن الحزب الشيوعي كان وراء عقده، بالإيحاء للعناصر السياسية الجزائرية بضرورة عقد اجتماع، تأييدا للجبهة الشعبية وحكومتها[2]، وحضره كل من العلماء، المنتخبين الجزائريين، الاشتراكيين، الشيوعيين الجزائريين[3]، الذين توحّدوا لأول مرة، في اجتماع تاريخي عقد بالعاصمة في شهر جوان 1936م، وعرف هذا الاجتماع بالمؤتمر الإسلامي، وانعقد يوم 07 جوان 1936م بالجزائر العاصمة، بقاعة سينما الماجستيك حي باب الوادي.

واتخذ المؤتمر قرارات، تعتبر في مجملها مطالب إصلاحية، تتلخص فيما يلي:

- إلغاء قوانين الأنديجينا والقوانين الاستثنائية.
- اعتبار اللغة العربية لغة تدريس بالمدارس الجزائرية.
- فصل الشؤون الدينية عن الدولة.
- إلحاق الجزائر بفرنسا، مع الحفاظ على الشخصية الإسلامية.
- حرية الصحافة العربية[4].

---

[1]- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 155.

[2]- محمد الطيب العلوي: **مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954م)**، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، 1994م، ص157.

[3]- المرجع نفسه، ص135.

[4]- أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، ص171.

عرفت سنة 1936م حدثين هامين، تمثل الأول في وفاة الأمير خالد رائد الوطنية الجزائرية، حيث حركت وفاته الروح الوطنية لدى الفئات الشعبية، فتعالت الأصوات منادية بضرورة توحيد الشعب الجزائري، أما الحدث الثاني فهو مجيء الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا[1].

من دون شك، فإن المؤتمر الإسلامي قد سبقته عدة لقاءات، تطرقت إلى مطالبه وأبعاده، والشائع أن كل هذه اللقاءات كانت تدور حول مشروع فيوليت، الذي اقترح منح الجنسية الفرنسية للجزائريين، من دون التخلي على الأحوال الشخصية، مع احترام حقوقهم في العيش، وإلغاء قانون الأهالي[2].

لقد شهدت العمالات الثلاث؛ قسنطينة والعاصمة ووهران، تجمعات ضخمة، حضرتها لجان تحضيرية، شارك فيها: النواب، العلماء، الشباب، العمال والفلاحون، وحتى قدماء المحاربين والشيوعيون والاشتراكيون.

هذا، وقد سبق عقد هذا المؤتمر اجتماع بنادي الترقي، ضم ممثلي العمالات الثلاث ودعاة المؤتمر وأنصاره، كما انضم إليه نواب آخرون، جاءوا من تيارت، تلمسان، مستغانم وسيدي بلعباس، تم فيه تحديد جدول أعمال جلسات المؤتمر وتنظيمه وسير أعماله، وأشغاله، وتحديد أعضاء مكتبه وخطاباته، كما تم فيه تسمية المؤتمر بـ "المؤتمر الإسلامي الجزائري العام"، كما تم الاتفاق على إسناد رئاسة المؤتمر إلى الدكتور ابن جلول[3]. ففكرة عقد المؤتمر انطلقت من قسنطينة، بدعوة من عبد الحميد بن باديس والدكتور بن جلول، لهذا كانا من أبرز الحاضرين إلى جانب البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، وفرحات عباس، والدكتور بن التهامي، وغيرهم من أقطاب الأحزاب المشاركة. وترأس أشغال المؤتمر الدكتور بن جلول، ممثلا عن قسنطينة وقياديا في فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين، وتشكل مكتب المؤتمر من ممثلين عن وهران، قسنطينة والعاصمة.

جرت أشغال المؤتمر في يوم واحد، خصصت الجلسة الصباحية لكلمات الافتتاح والخطباء، وخصصت الجلسة المسائية للمصادقة على مطالب المؤتمر الإسلامي، التي اتفق حولها

---

[1]- حميد عبد القادر: **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر، 2007م، ص71.

[2]- أحمد مريوش: **الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية**، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص174.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الوطنية 1931-1945م**، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1981م، ص252.

من طرف الأحزاب المشاركة، وكان كل تيار يدافع عن مطالبه، فالنواب يرغبون في تطبيق مشروع فيوليت، والعلماء يدافعون عن احترام الدين الإسلامي واللغة العربية، والشيوعيون يطالبون بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين، وصادق أعضاء المؤتمر على جملة من القرارات، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ثقة المؤتمر بالحكومة الشعبية وشكرها على عواطفها نحو الأمة الجزائرية.
- إلغاء جميع القوانين والقرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.
- منح المسلمين جميع الحقوق التي للفرنسيين مع التمتع الكامل بالميزات الإسلامية وإدخال إصلاحات عليها.
- منح الجزائريين حق التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي.
- انتخاب مشترك بين المسلمين والفرنسيين، والتأكيد في المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية.
- تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر[1].

فكانت نتيجة المؤتمر، الاتفاق على تشكيل وفد عن المؤتمر ينتقل إلى باريس، لتقديم مطالب المؤتمر إلى حكومة الجبهة الشعبية، فسافر الوفد، الذي تقدمه الشيخ بن باديس والدكتور بن جلول يوم 23 جويلية 1936م إلى فرنسا، والتقى برئيس الحكومة الفرنسية "ليون بلوم"، وسلمّه ما يسمى بميثاق مطالب الشعب الجزائري المسلم، ووعد رئيس الحكومة بدراسة تلك المطالب، وبعد عودة وفد المؤتمر الإسلامي من باريس عقد تجمّعا شعبيا يوم 02 أوت 1936 بالملعب البلدي بالعناصر، لتقديم نتائج مهمتهم في باريس، وعاد مع الوفد زعيم نجم شمال إفريقيا مصالي الحاج، وقدم كل من عبد الحميد بن باديس ومصالي كلمة تركت أثرا كبيرا في الحضور، ورغم أن الجبهة الشعبية لم تف بوعودها إلاّ أن المؤتمر اعتبر مهماّ، لنجاحه في توحيد الحركة الوطنية الجزائرية لأول مرّة حول مطالب واحدة، ورغم عقد المؤتمر الإسلامي الثاني في جويلية 1937 لكنه لم يكن ذو أهمية فقد أعاد مطالب المؤتمر الأول.

[1]- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ج 3، المرجع السابق، ص157.

3. اتجاهات الحركة الوطنية: التوع في الاطار الوطني

أ- دعاة الاستقلال:

يمثله نجم شمال إفريقيا، الذي أُسس من طرف جماعة العمال المغاربة؛ من تونس والمغرب والجزائر العاملين بفرنسا، فأسس مصالي الحاج مع جماعة من المهاجرين عام 1926م حزب نجم شمال إفريقيا، كان دورهم كبير في وضع الأسس الأولى للنجم[1]، وأعلن عن برنامجه السياسي، الذي تتمثل في جملة من المطالب، وُضعت على أساس العمل المشترك بين الجزائريين والمغاربة، فكان نجم شمال إفريقيا، الذي كان تنظيما نقابيا سنة 1924م في باريس، يدافع عن حقوق الجالية المغاربية في المهجر، وفي نفس السنة عقد أول مؤتمر للعمال المغاربة، وبحضور 150 مندوبا[2]. كانت جريدة الإقدام التي أنشأها الأمير خالد هي الجريدة الأولى الناطقة باسم النجم، ثم جريدة الأمة 1930م بفرنسا، التي تعبر عن أصل الأمة وإسلامها، وكان يعارض كل مشروع فرنسي يمس الإسلام، وكان ينادي بالاستقلال التام للجزائر وبلدان شمال إفريقيا، ومطالب هذا الاتجاه هي:

- الاستقلال التام للجزائر، والإجلاء التام للجيش الفرنسي عن الجزائر.
- إنشاء جيش وطني.
- إقرار التعليم بالعربية.
- تأميم الأملاك (أراضي الجزائريين) المستولى عليها من طرف الإقطاعيين.
- إلغاء البلديات المختلطة.

قامت الإدارة الفرنسية بحلّه، وملاحقة عناصره بالتشريد والحبس، وأصدرت أحكاما متفاوتة في حق زعمائه، وعلى رأسهم مصالي الحاج سنة 1934م، بتهمة إعادة تنظيم جمعية منحلة، والمساس بالوحدة الترابية الفرنسية، وبعد خروجه من السجن في أول ماي 1935م أعاد تشكيل الحزب تحت اسم "الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا"، فحاولت السلطات الفرنسية القبض عليه، لكنه فرّ إلى سويسرا في 18 جانفي 1936م، وبقي هناك إلى أن

[1]- محفوظ قداش: **جزائر الجزائريين: تاريخ الجزائر 1830 – 1954م**، المرجع السابق، ص292.

[2]- عبد الوهاب بن خليف: **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دار طليطلة، الجزائر، 2009م، ص123.

أصدرت الجبهة الشعبية عفوا كاملا عن كل السياسيين[1]، وعاد ينشط باسم جديد، هو "حزب الشعب الجزائري" في سنة 1937م.

ب- دعاة الإصلاح:

من رواد هذا الاتجاه: عبد الحميد بن باديس، مبارك الميلي، توفيق المدني، الطيب العقبي، والبشير الإبراهيمي[2]. وقد شكلوا سنة 1925م النواة الأولى، وأسسوا جريدة "المنتقد"، التي تم إيقافها من طرف فرنسا بعد العدد الثامن عشر، فعوضوها بـــ "الشهاب"، وأخذوا ينشطون في مدن مختلفة من الوطن، كما أسس هؤلاء العلماء بالجزائر العاصمة سنة 1926م نادي الترقي، الذي كان منبرا هاما لنشر أفكارهم. فقد أعطى هؤلاء دفعا قويا للنهضة في الفترة مـــا بـــين 1925- 1930م بتأسيس المساجد والمدارس الحرة وبنائها، والحث على حياة اجتماعية وثقافية في إطار الوفاء العربي الإسلامي[3]، وتكللت مجهودات الشيخ عبد الحميد بن باديس بإنشاء جمعية علماء المسلمين في الجزائر سنة 1931م. ومنذ اليوم الأول لها، قامت بمهمتها في تأكيد إسلامية الجزائر ورفضها للخضوع لفرنسا. وكانت الحركة الإصلاحية برئاسة "عبد الحميد بن باديس" وعين "البشير الإبراهيمي" نائبا له، و"الأمين العمودي" كاتبا عاما، و"الطيب العقـــبي" نائـــب الكاتب، و"مبارك الميلي" أمين مال، و"إبراهيم بيوض" نائبا له[4].

إدانة العلماء القاطعة للتجنيس هي التي جرّت بصفة خاصة عداء الإدارة الفرنسية لهـــم، وهكذا اتخذ عمل العلماء شكل عمل سياسي، وتجاوز الإطار الثقافي والديني الذي التزمت بـــه الجمعية رسميا، والدخول في القضية الوطنية الجزائرية، وسيؤدي هذا إلى دعوتهم إلى انعقاد المؤتمر الإسلامي ومشاركتهم فيه[5].

---

[1]- عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م**، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ج2، ص 364.

[2]- أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 86.

[3]- محفوظ قداش: **جزائر الجزائريين: تاريخ الجزائر 1830 – 1954م**، المرجع السابق، ص 290.

[4]- محمد جندلي: **عنابة في سياق وعمق الجغرافية: مبعث الحركة الوطنية بالجزائر وامتدادها إلى عنابة**، ج3، منشـــورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر. 2008م، ص 64.

[5]- الجيلالي صاري، محفوظ قداش: **الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية 1900 – 1945م**، تر عبد القادر بـــن حـــراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987، ص27.

فدعاة هذا الاتجاه ركزوا جهودهم فيما يلي:

الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية: العقيدة الإسلامية، اللغة العربية، التاريخ، العادات والتقاليد، إعلاء عقيدة الإسلام، محاربة البدع والخرافات، نشر التعليم العربي الإسلامي في الجزائر، رفض الإدماج والتنديد به.

ج- الشيوعيون:

تأسس الحزب الشيوعي في الجزائر كفرع من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1924م، وكان يضم جزائريين وفرنسيين مستوطنين، وتمسك الحزب بمبدأ الاندماج مع فرنسا، وأصدر جريدة باسم "النضال الاجتماعي" La Lutte Sociale، وتعامل مع المشكل الجزائري داخل المشاكل الفرنسية الداخلية، وليس باعتباره مشكلا وطنيا جزائري[1].

في سنة 1926م أخذت شعارات الفيديرالية تعلن بوضوح من أجل الاستقلال، ونـدد الشيوعيون بقانون الأهالي، وجميع القوانين الاستثنائية التي أصدرتها فرنسا[2]، وكان همهم الأكبر هو الدفاع عن مصالح العمال والفلاحين الجزائريين، وكان الشيوعيون ينظرون إلى القضية الجزائرية على أنها صراع بين الطبقات، فالتحرر يأتي بتحرر فرنسا من الطبقة البرجوازية، وبالتالي تتحرر الجزائر تلقائيا من هذه الطبقة، وتبقى فرنسية في الأخير، وتحولوا منذ سنة 1936م من المطالبة بالاستقلال التام للجزائر، إلى المطالبة باستقلال الجزائر، في إطار اتحاد فيدرالي مع فرنسا[3].

د- دعاة الإدماج:

مثل هذا الاتجاه جماعة النخبة، الذين سمحت لهم ظروفهم الاجتماعية بنيل حظ كبير من التعليم، أو الثراء في إطار العلاقات مع الإدارة الفرنسية، وهؤلاء الذين تميزوا بالثقافة الفرنسية،

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، المرجع السابق، ص 333.

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 366.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 243.

وآمنوا بالمد الحضاري الإسلامي، وفي نفس الوقت كانوا يريدون تحسين أوضاع الجزائريين، ولكن في إطار فرنسا الأم. وهذه النخبة الداعية بصريح العبارة للتجنس واندماج الجزائريين مع الفرنسيين.

تأسست جماعة النخبة عام 1907م، فهي مجموعة من الجزائريين المثقفين، الذين مزجوا بين الثقافة الفرنسية والعربية، حيث عرفها أحد أعضاء النخبة أنهم "متخرجون من الجامعات الفرنسية، والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، وأن يصنعوا لأنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقين"[1]، وهم عبارة عن مترجمين، وصيادلة، وقضاة، ومحامين، وصحافيين، وتجار، وطلبة، وعمال، ومزارعين، ومن أبرز أعضائها الأمير خالد، ابن التهامي ابن جلول، المحامي بوضربة، والدكتور مورسلي، وفرحات عباس[2].

فعندما أنشئت هذه النخبة في سبتمبر 1927م بالجزائر العاصمة، ترأسها ابن تهامي، وكان من بين أهم أقطابها ربيع الزناتي، والصيدلي فرحات عباس، وطالبوا الحصول على بعض الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية[3].

وقد كانوا لهم فروع في الجزائر[4]، رغم كل المحاولات التي قامت بها النخبة، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في عزلة، مرفوضين من طرف الشعب، ومع الحرب العالمية الثانية حاولوا الاقتراب من الاتجاه الاستقلالي والإصلاحي للتنسيق معهما[5].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، المرجع السابق، ص159.

[2]- عبد الوهاب بن خليفة، المرجع السابق، ص82.

[3]- يحي بوعزيز: **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912 – 1948م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص24.

[4]- ناهد إبراهيم الدسوقي: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر "الحركة الوطنية في فترة ما بين الحربين 1918 – 1939م"**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001م، ص159.

[5]- جمال قنان: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية الجزائرية، 1994م، ص402.

المبحث الثالث: 1939–1947: التعنت الاستعماري يواجه المطالب الوطنية.

1. الجزائر في الحرب العالمية الثانية 1939–1945: انسداد الأفق السياسي.

كشفت الحرب العالمية الثانية للجزائريين حقائق كثيرة، منها ضعف فرنسا وانهزامها، وإمكانية الاستفادة من ظروف الحرب لتحقيق مطالبهم الوطنية، وقد دفعت كثيرا من العوامل إلى انتهاج كل السبل لتحقيق مكاسب لصالح النضال الوطني، ولكن ظروف الحرب خاصة، ووضعية فرنسا، هي التي حددت مواقف الأطراف السياسية الجزائرية المختلفة، وهنا نستعرض مواقف الجزائريين من هذه الحرب، وهزيمة فرنسا في معالجة وضعية الجزائر مع نهاية الحرب العالمية الثانية، فلم تكن أوضاع الجزائر بالمريحة عشية اندلاع الحرب في نهاية صيف 1939م، التي دارت رحاها بين ألمانيا النازية وفرنسا، فكانت هذه الأخيرة ضعيفة في بلادها وفي الجزائر، فلا حكومة قوية، ولا جيش على أهبة الاستعداد[1]، وكانت الإدارة الفرنسية تؤكد على هدوء الجزائر، واستنفار الجزائريين لتأييد فرنسا، وكان الوضع السائد ينذر بأشياء كثيرة، إذا لم تعالج قضية الجزائر السياسية، وقد استمرت الأوضاع الاقتصادية المزرية على حالها. وإذا تحدثنا عن مواقف الجزائريين من اندلاع الحرب نجدها متباينة، بين رافض للانضمام إلى جانب فرنسا، وبين مؤيد لذلك. وأدى انقسام مواقف التيارات الوطنية إلى عدم توحيد الموقف من فرنسا في هذه المرحلة الأسمى، وقد استغلت فرنسا كعادتها رجال الدين الرسميين، وأعوانها من القياد والباشاغات، للتأكيد على إخلاص الجزائريين لها، وقد هب المنتخبون لتأييد فرنسا باسم الدفاع عن الديمقراطية[2]، وتجند فرحات عباس وابن جلول، كما سيق الجنود الجزائريون إلى جبهات القتال ليدفعوا الضريبة مرة أخرى، والأمل يحدوهم على أن تتحسن أوضاع الجزائر.

ومثلما كانت دعاية الحلفاء قوية، كان للدعاية الألمانية تأثيرها البالغ على الجزائريين، فقد انساق لها المجندون الجزائريون والمناضلون الثوريون، وعمل أعضاء (ح ش ج) صيف 1939م

[1]– سعدالله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، ص 171.

[2]– محمد الطيب العلوي: المرجع السابق، ص 212.

على حث الشباب الجزائري على رفض التجنيد الإجباري، وقامت بتحذيرهم من خطورة الدخول في حرب لا فائدة منها[1]، وكان ذلك يتم عبر قنوات الحزب المختلفة، كتوزيع وثائق ونشرات سرية، ومما جاء فيها: "فرنسا لم تقدم لنا أي شيء فلماذا الموت من أجلها"[2]، كما عمل الحزب على تكوين جناح مسلح له، وإصدار نشرية "العمل الثوري" التي تنشط في السرية، لكن لم تدم طويلا، لاكتشاف أمرها بسرعة، ولأن معظم قادة الحزب كانوا في السجن، فإن هذا لم يمنع ما بقي منهم، أمثال الأمين دباغين، وأحمد مزغنة وآخرون، من مواصلة مسيرة الحزب، ورفض التجنيد الإجباري، عملا بوصية مصالي الحاج، التي صاغها وهو لا يزال داخل السجن، والتي جاء فيها: "إن الجزائر ليست ملحقة بفرنسا بمقتضى أي شعور، إن لم يكن شعور الكراهية التي غرستها في قلوبنا مائة وأكثر من سنة، وباسم الجمهورية الفرنسية يعاني الآلاف من الأهالي عبودية منحطة..."[3]، وفي ظل حالة اللااستقرار في الجزائر، واستسلام حكومة فيشي لألمانيا، نشط مناضلو (ح ش ج) في النضال السري، والتحضير للعمل المسلح، واتصلت الحكومة الفرنسية بمصالي بعد العفو العام، ودعته للتعاون معها، فرفض هذا العرض، وهذا ما أدى إلى إصدار عقوبة السجن في حقه ستة عشر سنة، ونقل بعد ذلك إلى سجن لامبيز، وهو قرار أثار حفيظة الجزائريين. وكان العلماء قد التزموا الحياد[4].

أما الجزائريون الذين ليس لهم أي انتماء فكانوا متذبذبين، فهناك من يرى بأن فرنسا لا تزال تربطهم معها اقتصاديا، حيث تتمتع بمواردها وأسواقها، وذلك تأييدا لها في حربها ضد دول المحور، في حين البعض الآخر، الذي كان يعيش الحرمان والتهميش، كانت تمثل عندهم الكراهية والانتقام، من باب سياستها التعسفية طوال فترة وجودها بالجزائر، وعليه رفض هذا

---

[1]- عبد القادر جيلالي بلوفة: **حركة الانتصار للحريات الديموقراطية (1939-1945)**، دار الألمعية، الجزائر، 2011م، ص14.

[2]- محمد شبوب: **الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939-1945م): دراسة سياسية اقتصادية واجتماعية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بلقاسمي بوعلام، السنة الجامعية: 2015/2014م، ص 155.

[3]- المرجع نفسه، ص86.

[4]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص264.

الصنف الانضمام إلى صفها[1]، هذا دون أن ننسى طرفا آخر من الشعب الجزائري، الذي كان يعاني الأمرين من ظلم الإدارة الاستعمارية، وتدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وهذه هي الفئة الغالبة للجزائريين، تعامل معها المستعمر على أساس الفئة الثالثة، عاشت الحرمان والتهميش، ما جعلها غائبة عن مجريات الساحة العالمية، استغلها المحتل لخدمة مصالحه في حربه مع النازية، باستخدامه كل السبل والوسائل، سواء القمعية منها، أو من خلال إصدار قوانين وسنها، من شأنها الزّج بالجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، وذلك من خلال التجنيد الإجباري، الذي فرض على الجزائريين، وأن مشاركة شباب الجزائري الحرب حماية لهم ولمصالحهم، يظهر من خلال ذلك أن الإدارة الفرنسية كانت على دراية بسبل تنفيذ هذا القانون، وذلك منذ صدوره عام 1912م، ولكن تطبيقه هذه المرة يقتضي الكثير من الصرامة، والتشدد، والاستعانة بخبراء عسكريين، قصد رفع عدد المجندين، خاصة وأن عدو فرنسا آنذاك هو ألمانيا، ولإضفاء شرعية على سياستها التجنيدية، عملت على الدعاية الإعلامية، لتبيين مدى مساندة شخصيات جزائرية ودعمها للتجنيد، وأشادت في ذات الوقت بولاء هؤلاء لفرنسا وإخلاصهم، وعلى النقيض هناك من رفض هذا التجنيد، ، رغم ذلك كان عدد المجندين الجزائريين خلال هذه الحرب مرتفعا، مقارنة بسنوات المواجهة العسكرية الأولى[2].

[1]- سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، المرجع السابق، ص 174.

[2]- محمد شبوب، المرجع السابق، ص 95.

2. إنزال الحلفاء في نوفمبر 1942م: الأمل الزائف

قبل أن نتطرق إلى عملية نزول الحلفاء على شمال إفريقيا، يجدر بنا التذكير بالحملات الدعائية التي كانت الجزائر مسرحا لها، كانت دعاية الحلفاء تنشط في المنطقة لإثارة العالم ضد النازية، في إطار ما يسمى بالدعاية ضد العدو، وكان ذلك في إذاعات موسكو، واشنطن، ولندن[1]، فكانت هذه الأخيرة التي كانت مركز لدعاية فرنسا الحرة، بزعامة الجنرال ديغول De gaulle، وحسب أبو القاسم سعد الله، فإن تلك الدعاية الموجهة قد ساهمت في زرع بعض مبادئ الديمقراطية، وتنبيه الشعوب سياسيا، وإيقاظ الروح القومية لدى بعض الشعوب الإفريقية والأسيوية المستعمرة[2].

تميز عهد حكومة فيشي بالاضطهاد السياسي والتدهور الاقتصادي، وأدى انقسام المستوطنين، وتنامي قوة لجنة فرنسا الحرة، وظهور فكرة ميثاق الأطلسي، إلى تبلور مواقف جديدة للحركة الوطنية، وبرز في الساحة السياسية فرحات عباس، مستغلا الفراغ السياسي.

وكان لنزول الحلفاء بالجزائر أثره على نفسية الجزائريين، حيث كثر الحديث عن الحرية، والاستقلال وتقرير مصير الشعوب، والمساواة في الحقوق والواجبات[3]، وحاولوا بلورة موقف موحد حول شروطهم للدخول في الحرب إلى جانب الحلفاء، تباحث بشأنه فرحات عباس مع عناصر حزب الشعب الجزائري، وممثلي جمعية العلماء المسلمين، وعدد من المنتخبين، وبعد عدة اتصالات قدم فرحات عباس باسم ممثلي الجزائريين المسلمين مذكرة إلى الحلفاء يوم 20 ديسمبر 1942م، طالب فيها بإرساء دستور سياسي واقتصادي واجتماعي جديد للجزائر، وذلك مقابل مشاركة الجزائريين إلى جانب فرنسا في الحرب، وبنصيحة من سلطة الحلفاء الذين رفضوا تسلم

---

[1]- فرحات عباس: **ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر رحال، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2011م، ص 113.

[2]- سعدالله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، المرجع السابق، ص194.

[3]- عبد الحميد زوزو: **محطات في تاريخ الجزائر: دراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية**، دار هومة، 2004م، ص223.

المذكرة، بادر فرحات عباس إلى إعادة صياغتها وتوجيهها مباشرة إلى السلطات الفرنسية بالجزائر، وكان رد القائد العسكري "جيرو" عليها غامضا[1].

وعقد الوطنيون الجزائريين اجتماعا في الثالث من فيفري 1943م، وأكدوا في ختامه على ضرورة مواصلة الضغط على الفرنسيين، ليتخذوا موقفا واضحا من مطالبهم، وثم الاتفاق على لائحة مطلبية تقدم للسلطات الفرنسية في شكل ميثاق باسم الشعب الجزائري، وقد شارك في هذا الاجتماع النواب: تامزالي، غرسي أحمد، قاضي عبد القادر، ابن جلول، ومثل حزب الشعب محمد الأمين دباغين، وممثلي جمعية العلماء: (العربي التبسي، الشيخ خير الدين المدني)، وممثل جمعية الطلبة محمد جمام إضافة إلى فرحات عباس، والذي كلف بكتابة ديباجة البيان، وفق الخطوط المتفق عليها، وقد ذكر عباس أنه لخص بكل موضوعية حصيلة 113 عاما من الاحتلال الفرنسي للبلاد، وفعلا يتجلى لنا من قراءة نص البيان المطول أنه اجتهد في شرح أسباب المشكل الجزائري وملابساته، وتوضيح مطالب الجزائريين، وقال أبو القاسم سعد الله قائلا: "بأن البيان وملحقه قد كتبا بناء على التجارب الماضية مع الاستعمار، وأن الثقة في فرنسا أمر مستحيل"، بل حتى ثقتهم مع الحلفاء لم تعد موجودة، ذلك لأنهم اعتبروا المسألة الجزائرية شأن داخلي لفرنسا، أما الشعب الجزائري فقد كان يعاني الأمرين أمام ويلات الحرب العالمية الثانية، ثم أن أوضاعهم لم تكن مستقرة أصلا حتى قبيل اندلاع الحرب[2]، وكانت مطالب بيان فيفري 1943 تتمثل فيما التالي:

- إدانة الاستعمار وإلغائه.
- تطبيق حق تقرير المصير لكل الشعوب الصغيرة والكبيرة.
- منح الجزائر دستورا خاصا، يضمن الحرية والمساواة لكل السكان، دون تمييز جنسي أو ديني.
- إلغاء الملكية الإقطاعية، وتجسيد إصلاح زراعي يضمن رفاهية الطبقة الفلاحية.

[1]- عبدالله مقلاتي، المرجع السابق، ص173.

[2]- سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، المرجع السابق، ص213.

- جعل اللغة العربية لغة رسمية مثل اللغة الفرنسية.
- حرية الصحافة والاجتماعات.
- التعليم المجاني والإجباري.
- حرية الدين، وفصل الدين عن الدولة.
- مشاركة المسلمين الجزائريين في حكم وإدارة بلادهم.
- إطلاق سراح جميع المعتقلين والمسجونين السياسيين[1].

وقد قدم "بيريتون" وعودا غير سياسية، تتمثل في إدخال إصلاحات تحسن من وضعية الجزائريين، ولجأ إلى أسلوب المناورة، وذلك يعتبر تكتيكا منه، غايته هو ربح الوقت، وأحست الحكومة الفرنسية بخطر تحرك الجزائريين، فنحت في جوان 1943م بروتون، وعينت بدله الجنرال "كاترو"، وهذا الأخير الذي كان متمسكا بالجزائر الفرنسية، ووصف البيان بالعاصفة قائلا: إنه العاصفة، ومن الحكمة وقف العاصفة"، ووعد بالقضاء عليه باستخدام كل الوسائل المتاحة لديه، معتبرا أن هذه العاصفة جاءت من الشرق، ومن وراء الأطلسي فوق شمال إفريقيا[2]، وهدد موقعيه، وأصر على أن الجزائر ستبقى فرنسية، وقد أقدم على حل المجالس المالية، واعتقل فرحات عباس، وعبد القادر السايح، ثم اضطر لإطلاق سراحهما تحت الضغط[3].

[1]- محمد شبوب، المرجع السابق، ص155.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 3، ص214.

[3]- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص176.

3. مجازر 08 ماي 1945م، وانعكاساتها على الحركة الوطنية: نكث الوعود

ارتبطت هذه المجازر بتطور الحركة الوطنية، وانتشار الوعي الوطني لدى غالبية الجزائريين، وبداية بالمذكرة التي اعدّها فرحات عباس تضمنت جملة من المطالب السياسية والاقتصادية[1]، وبدا للسلطات الفرنسية وجوب قمع هذه الحركة، والتقت أهداف الإدارة الفرنسية مع مطامع المستوطنين الأكثر تطرفا، لبحث التواطؤ الضمني المسؤول عن هذه الحوادث، وكانت أطراف الحركة الوطنية واعية بما كان يدبر لها، واجتهدت في تفويت الفرصة على المستعمر، لكن الجماهير الشعبية كان استيائها من المستعمر عظيما، واستعدادها للتضحية كبيرا، و اغتنمت الحركة الوطنية فرصة الاحتفال بالعيد العالمي للشغل، وكذا الاحتفال بيوم الهدنة وانتصار الحلفاء على ألمانيا، لتنظيم مظاهرات سلمية تندد فيها بالقمع الاستعماري، وتؤكد للعالم طموحاتها الاستقلالية، وتعالت في مظاهرات مدينة الجزائر، وقسنطينة، وسعيدة، وتلمسان، هتافات الجماهير المطالبة باستقلال وحياة الجزائر، وتميزت مظاهرات مدينتي سطيف وقالمة بالاضطهاد والقمع، ففي سطيف تدخلت الشرطة لتمنع المتظاهرين من رفع العلم الجزائري، وبعد إطلاق النار على الشاب "بوزيد شعلال"، وعلى إثر ذلك بدأت المجازر، حسب فرحات عباس، الذي قال: "... كان ذلك يوم الثلاثاء، يقام فيه السوق الأسبوعي، حيث وصل إلى مدينة سطيف أكثر من خمسة آلاف شخص من الفلاحين، قادمين من مختلف المدن المجاورة، وكانت السلطات الفرنسية قد منحت رخصة القيام بمظاهرات بالمدينة، مدعية بأن بعض الجزائريين رغبوا في وضع إكليل من الزهور على نصب الأموات.. تشكل الموكب في المحطة قرب المسجد الجديد، ومن ثم توجه إلى المدينة، وكان محاصرا بالشرطة، وسار هذا الموكب ألف متر تقريبا، في مقدمته شاب حامل للراية الجزائرية، وكان لما اقترب هذا الموكب من أحد المقاهي وسط المدينة، ظهر محافظ الشرطة، وحاول نزع العلم من ذلك الشاب، فرفض هذا الأخير، فتدخلت الشرطة، وأطلقت الرصاص عليه، فاردته قتيلا، وجرحت عددا من

[1] – محمد شبوب، المرجع السابق، ص210.

المتظاهرين"[1]، تحولت المظاهرة إلى اضطرابات دامية، مما تسبب في مقتل عدد من المستوطنين، واستنفرت الإدارة الفرنسية قواتها لتقتيل واضطهاد الجزائريين في سطيف، وانتقلت الفوضى خارج المدينة، لتشمل جميع القرى والمداشر التابعة لسطيف، هكذا تحولت المظاهرات إلى بعض المدن المجاورة، كقالمة ونواحيها، إلى أعمال عنف، وعمت الأحداث كامل عمالة قسنطينة، وقد استمرت حملات التقتيل الجماعي والتدمير والاعتقال بوحشية وعدائية، وقامت كذلك بإضرام النيران في منازل الجزائريين، وهي حقيقة المستعمر القائم على القمع والأعمال الخالية من الإنسانية[2]، وهذا إلى غاية 26 ماي، لتخلف هذه الحوادث عشرات الآلاف من الضحايا (45 ألف شهيد)، وقامت السلطات الفرنسية بفرض حالة الطوارئ، واعتقال الوطنيين، وزجت بالآلاف الجزائريين في السجون، وبدا لها أن المهمة أنجزت، وأن الاستقرار سيتحقق لها، لكن الجروح التي خلفتها هذه المأساة كانت عميقة، وانعكاساتها كانت وخيمة على المستعمرين، فقد تأكد أن العمل المسلح وحده هو الكفيل بتحقيق مطامح الجزائريين، وازداد التفاف الجماهير حول التيار الثوري.

هكذا يبدو لنا واضحا، أن آثار الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها كانت عميقة، وكارثية على الشعب الجزائري، وعلى مسيرة الحركة الوطنية، هذا مهما اختلف الباحثين والمؤرخين في ضبط العدد الحقيقي لهؤلاء الضحايا، حيث عمدت السلطات الفرنسية إلى إخفاء العدد الحقيقي، وذكرت بأن العدد تراوح ما بين 1200 و3300[3]، تضاربت الإحصائيات في عدد قتلى هذه المجزرة الأليمة، وتحليلها تبعا للمعطيات والظروف التي جاءت فيها، فإن التقارير الفرنسية أوردت عددا لم يتجاوز الثمانية آلاف قتيل، وهذا الرقم محتمل من جهتها، بحكم أن فرنسا أرادت الانقاص من قيمة تلك المجازر، واللجوء إلى سياسة التمويه، وتغطية جرائمها، حتى لا يطلع عليها الرأي العام العالمي، فيقوم بلومها على ذلك، خاصة في ظل موجات التحرر،

[1]- فرحات عباس: المصدر السابق، ص126.

[2]- أحمد الخطيب: **الثورة الجزائرية**، دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 1970م، ص109.

[3]- محمد شبوب، المرجع السابق، ص240.

التي انتشرت مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم حاولت بتغطيتها تلك بأن تبين المسؤولين عن تلك المظاهرات والمشاركين فيها هم أقلية، أرادوا الخروج عن النظام الفرنسي العام، والإخلال به، وبالتالي وجب عليها احتواء الوضع والسيطرة عليه، كل ذلك من باب التمسك بخرافة الجزائر فرنسية. أما عن التقديرات الأجنبية فكانت إحصاءاتها قريبة من الإحصائيات الفرنسية، فذلك الأمر لا يتعجب له أي أحد، كون الإعلام خلال فترة الحرب العالمية الثانية وبعدها كان إما تحت سيطرة فرنسا أو حلفائها، وبالتالي يتم نقل وتداول الأرقام التي تخدم وتدافع عن فرنسا من منظور تطابق المصالح الاستعمارية، فالراجح أن التقديرات الجزائرية لعدد الضحايا، والتي قاربت 45 ألف قتيل مثلما تقدمنا به فيما سبق، وقامت فرنسا باعتقال الكثير من أعضاء الحركة الوطنية، فمنهم من صدر بحقه الإعدام أو الأعمال الشاقة أو النفي، مثلما حصل مع مصالي الحاج الذي أبعد من الجزائر إلى إفريقيا الوسطى (الغابون)[1]، وهناك حقيقة لا يجب إغفالها تتعلق حول مجازر 08 ماي، وهي تتعلق بالمستوطنين الفرنسيين، الذين يتحملون مسؤولية كبيرة في المجزرة الجماعية، التي طالت الأهالي الجزائريين، فكانوا ضد الإصلاحات التي كانت تتقدم بها الحكومة الفرنسية لصالح المسلمين، بالرغم من أنها كانت شكلية، لأنهم يرونها تشكل خطرا على امتيازاتهم، وبالتالي ضياع ممتلكاتهم.

وقد أدى انهزام فرنسا المبكر وانتشار الدعاية الألمانية إلى عقد أمل عريض في أن يتحقق استقلال الجزائر، وكان لنزول الحلفاء دور في تشجيع الزعماء السياسيين لرفع مطالبهم الوطنية مقابل مساعدة الحلفاء، وقد بادرت فرنسا المنتصرة من جهة واحدة بسنّ إصلاحات لإسكات مطالب الجزائريين دون جدوى، وكان لسلوكها المشين في تقتيل الجزائريين، في عيد انتصار الحلفاء، ضربة موجعة، ليس للجزائريين فحسب، بل كان درسا استوعبه الوطنيون جيدا، وقرروا من يومها التحضير لثورة مسلحة تحقق استقلال الجزائر[2].

[1]- أحمد مهساس، المصدر السابق، ص242.

[2]- عبدالله مقلاتي، المرجع السابق، ص178.

4. استئناف العمل السياسي بعد ماي 1945: تبلور مسار

حينما قامت فرنسا بارتكاب مجازر 08 ماي 1945م ضد الجزائريين، أرادت أن تقضي على الوعي والحس الوطني، الظاهر لدى أغلبية ممثلي الحركة الوطنية، خاصة مناضلي (ح ش ج) المنحل، فالوعي انتقل مباشرة إلى السواد الأعظم من الشعب الجزائري، وأصبح يشكل خطورة على خرافة الجزائر فرنسية، فاستمرت الأساليب النضالية، وتغيرت مقارنة لما كان سائدا قبل ماي 1945م، فاقتنع بعض أعضاء الحركة الوطنية بحقيقة أن فرنسا يستحيل أن تحقق مطلبا واحدا بالطرق السلمية، فهذه المجازر كانت نقطة تحول أساسية، سواء بالنسبة للعلاقات بين الفرنسيين والجزائريين، على المستويين الرسمي والشعبي، أو العلاقات بين التشكيلات الوطنية فيما بينها، التي لم تستطع المحافظة على مكسب الوحدة الوطنية، الذي تحقق من خلال تأسيس حركة أحباب البيان والحرية، وذلك نظرا لتعدد الإيديولوجيات، واختلاف تكوين أعضاء الحركة الوطنية، مما أثر على توجهاتهم ونظرتهم للمستعمر، فقامت الإدارة الاستعمارية بتهدئة الشعب الجزائري، سعيا منها لامتصاص غضبه، والحيلولة دون استمرار تفاقم الوضع العام في الجزائر، ومن أجل الخروج من حالة الانسداد التي آلت إليها العلاقات بينها وبين بعض التيارات الوطنية، كالتيار الاستقلالي، أقدمت سلطات الاستعمار على إصدار قانون العفو العام، بعد المصادقة عليه يوم 16 مارس 1946م[1]، وفي 21 مارس 1946م تم إطلاق سراح 300 جزائري، من بينهم فرحات عباس.

بعد صدور العفو، عادت التشكيلات السياسية في الجزائر إلى الظهور، لكن في قالب جديد، خاصة أن هؤلاء عايشوا مجازر 08 ماي 1945م، وعانوا من ويلاتها، على إثر ذلك بدأ التفكير جليا لدى أعضاء (ح ش ج) بضرورة تغيير الكفاح من سياسي إلى مسلح، في حين حدث تغيير، أكثر ما يقال عنه، أنه طفيف لدى دعاة الإدماج، بدعوتهم إلى إقامة دولة جزائرية، لكن تبقى مرتبطة فدراليا مع فرنسا، أما جمعية علماء المسلمين الجزائريين فقد واصلت مسيرتها النضالية بتوعية الشعب الجزائري، والعمل على استرجاع هويته، مع بقاء الشيوعيون

[1] – محمد شبوب، المرجع السابق، ص263.

متمسكين بمبدئهم، القائم آنذاك على الدفاع على مصالح فرنسا في الجزائر، وكان أعضاء الاتجاه الاستقلالي هو الوحيد الذين اتخذوا موقفا معاديا لفرنسا، وطالبوا بضرورة الذهاب إلى الكفاح، فهو السبيل الوحيد لنيل مطلب الاستقلال. فقرر مصالي الحاج إعطاء اسم جديد لحزبه، فبدل (ح ش ج) إلى (ح إ ح د) كغطاء شرعي، يسمح له بعقد الاجتماعات، وكذلك يخول له الحق في الترشح، والترشيح لمختلف المجالس، كما استطاع أن يصدر صحيفة تعبر عن مبادئه الاستقلالية، وعن اختياراته الوطنية، وعمل على توسيع دائرة نضاله، بالتوغل في صفوف النساء، الشبيبة، الطلبة، العمال، وتنظيم هذه الفئات ضمن اتحادات وجمعيات قانونية، وشارك مصالي الحاج في الانتخابات التشريعية باسم (ح إ ح د) المقررة في 10 نوفمبر 1946م، دون أن يتحالف مع أي حزب[1] لمواجهة الرأي العام الفرنسي وبرلمانه، وهيأ حزبه للمشاركة في الانتخابات، متيقنا بأن النتائج ستكون لصالحه، بحكم أن حزبه كان يمتلك قاعدة شعبية واسعة، وفي سبيل ذلك رشح مصالي شخصيات بارزة من حزبه، وأطلق شعارا على قائمة المرشحين، سماها "قائمة لتحرير الشعب الجزائري"، لكن فرنسا عمدت ولجأت إلى سياسة المناورة وتزوير تلك الانتخابات، حتى يسهل التلاعب بنتائجها، لأنها كانت متخوفة جدا من عناصر (ح ش ج)، نظرا لشعبيتهم الواسعة، ومطالبهم المتناقضة مع خرافة الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، كما أنها رفضت ترشح مصالي الحاج في العاصمة بأمر من الوالي العام[2].

شعرت فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية بتزايد الضغوط الوطنية وتشدد مواقف المستوطنين، فخططت بمنح الجزائريين إصلاحات تضمن تعايش العنصرين الأوروبي والجزائري، وخاصة أن سياستها القمعية، وضغوطها المتوالية، لم تفلح في وضع حد لتوسعه، خوفا من أن تفلت الأمور من بين أيديها، فبادرت لعرض مشروع دستور خاص بالجزائر.

أثار مشروع الدستور نقاشات حادة بين النخبة الوطنية السياسية، واقترح نواب الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري، بالجمعية الفرنسية، مشروع جمهورية جزائرية مستقلة ذاتيا،

[1]- محمد الطيب العلوي: المرجع السابق، ص252.

[2]- فرحات عباس: المصدر السابق، ص164.

وكسبوا إلى جانبهم عطف النواب الشيوعيون الفرنسيين، في حين استنفر المستوطنون قواهم، وحذروا الحكومة الفرنسية من مغبة منح حقوق سياسية أكبر للجزائريين، وبلغ النقاش ذروته داخل مجلس الجمهورية الفرنسية، وأخيرا صودق على دستور الجزائر يوم 20 سبتمبر 1947م، بعد إدخال تعديلات عدة عليه، وأكد هذا الدستور على انتهاج السياسة الإدماجية في الجزائر، إذ اعتبر الجزائر ثلاث عمالات فرنسية ذات شخصية مدنية، تتمتع بالاستقلالية المالية والإدارية، وتطبق فيه القوانين الفرنسية الواردة في القانون، ونص على أن يتكفل مجلس جزائري، بالاتفاق مع الوالي العام، بإدارة مختلف شؤونها، وأن يتشكل من 120 عضوا: ستون ممثلا عن المستوطنين من الهيئة الأولى، وستون ممثلا عن المواطنين من المسلمين، وأكد القانون على إدخال إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، إذ تضمنت المادة الثانية: "تعلن المساواة الفعالة بين المواطنين الفرنسيين، ويتمتع كل الرعايا الفرنسيون بالجنسية في مقاطعات الجزائر دون تمييز من حيث الأصل أو الجنس أو اللغة أو الدين بالحقوق المتعلقة بالمواطنين الفرنسيين ويخضعون لنفس الواجبات"، ومن محتويات القانون أخذت صيغة ليبرالية، كمنح النساء المسلمات حق التصويت، وإلغاء نظام البلديات المختلطة، وحرية تعليم اللغة العربية، ولكن هذه المسائل بقيت مجرد وعود، لأنها مشروطة بموافقة ثلثي أعضاء المجلس الجزائري، كما أن قرارات المجلس في حد ذاتها تكون محل نظر الوالي العام. ونخلص للتأكيد أن الحركة الوطنية عرفت بعد الحرب العالمية الثانية، ومجازر 08 ماي 1945م، تطورات حاسمة، تمثلت أساسا في إعادة هيكلتها وفق برامج ومعطيات جديدة، تتسم بالثورية والتشدد في مواجهة الإدارة الفرنسية، وكانت الرغبة جامحة لتحقيق وحدة الحركة الوطنية، وتجسيد طموحات الشعب الجزائري، وقد كانت (ح إ ح د) عازمة على أهدافها الاستقلالية، في الوقت الذي ازداد فيه نشاط التيار الإصلاحي رسوخا، ومع ذلك فإن الإدارة الفرنسية لم تبادر إلى سن إصلاحات حقيقية، فقد كان دستور 1947م يصب في خدمة المستوطنين الرافضين لأي إصلاح يحقق مطالب الحركة الوطنية[1].

[1]- عبدالله مقلاتي، المرجع السابق، ص187.

الفصل الثاني

غرافة ابراهيم مناضلا سياسيا

في الحركة الوطنية

المبحث الأول: خطواته الأولى في العمل السياسي: تلمس الطريق

1. مولده ونشأته: الأصل والموئل

ولد المناضل الوطني غرافة براهيم في غرداية خلال عام 1890م حسب شهادة ميلاده[1] رقم: 01361، الصادرة من بلدية غرداية، وحسب أغلب تقارير الأمن الفرنسي، التي كانت ترصد تحركاته، وباقي الوطنيين الجزائريين، وقد ذكرت بعض تقارير الشرطة سنة 1892م كتاريخ لميلاده[2]. ونظرا لورود تاريخ 1890م أكثر في التقارير الرسمية، وبناء على شهادة ميلاده الرسمية، اعتمدنا هذا التاريخ.

هو الابن الوحيد لوالديه[3]، وعائلة غرافة تنتمي إلى عشيرة آت امحمد أوبعزيز لقصر غرداية، وتعتبر من العائلات المنقرضة الآن[4]، وكان هو آخر من حمل هذا اللقب من الذكور، وقد أنجب بنتين، هما الآن في عداد الأموات، وتركتا أبناءً وأحفادًا.

والده عيسى بن ابراهيم غرافة، ولد سنة 1860م حسب شهادة ميلاده[5] رقم: 1360 الصادرة من بلدية غرداية، وحسب بعض التقارير، كانت مهنته تاجرا في حي بلكور في الجزائر العاصمة[6]، ولا تسعفنا الرواية الشفوية بمعلومات وافية عن والده، وفترة شبابه، لكون الجيل الذي عاصر تلك الفترة قد رحل معظمه.

والدته هي باية بنت كاسي، أخت لوالدة الشيخ بيوض، لذلك كان الأخير يتردد على ابراهيم غرافة ويتفقده من حين لآخر.

---

[1]- شهادة ميلاد صادرة من بلدية غرداية تحت رقم 1361 بتاريخ: 2017/08/30، ينظر الملحق رقم:01

[2]- بطاقة معلومات صادرة من أمن عمالة الجزائر حول غرافة، د ر، 1937/12/13،4i131، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة.

[3]- مقابلة شخصية مع حفيد غرافة إبراهيم السيد: معروف عمر بتاريخ 2018/01/10، غرداية.

[4]- محمد بومعقل: **عشائر وألقاب الإباضيين الجزائريين**، ط5، 2014م، ص46.

[5]- شهادة ميلاد صادرة من بلدية غرداية تحت رقم 1360 بتاريخ 2017/09/21.

[6]- وثيقة معلومات صادرة من أمن عمالة الجزائر حول غرافة، د ر، 1937/12/13، 4i131، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة.

كان ميلاده بعد ثمان سنوات من إلحاق مزاب 1882م، وقد عاصر أحداثا جساما مرت على الجزائر ومزاب، كالتجنيد الإجباري، وما أحدثه من اضطراب في كامل القطر الجزائري، وأحداث الحرب العالمية الأولى، وشهد بدايات الحركة الإصلاحية في مزاب، ولاشك أنه تلقى تعليمه الأول في إحدى كتاتيب غرداية، على الطريقة التقليدية، قبل نشأة المدارس ذات النزعة الإصلاحية، وكل التقارير الأمنية التي كتبت بشأنه، تصفه بأنه صاحب ثقافة عربية متوسطة، وإلمام متوسط باللغة الفرنسية[1].

إن المعلومات المتعلقة بحياته قبل سنة 1929م تكاد تكون منعدمة، رغم الجهود التي بذلناها في سبيل الظفر بشيء من سيرته في هذه الفترة، وكل ما عرفناه أنه سافر للعمل في العاصمة في فترة شبابه، حسب شهادة قريبه من أمه، السيد أولاد بهون محمد بن كاسي[2]، ويقول محمد علي دبوز أنه "حل في الجزائر العاصمة في أول العشرينات للتجارة وهو فوق العشرين[3] "ولا نعرف ما هو المستوى الدراسي الذي بلغه، وما هي أعماله قبل 1929م، وكيف كانت حياته الخاصة؟

إن الشرطة الاستعمارية ودوائرها الاستخبارية قد بدأت ترصد تحركات ابراهيم غرافة السياسية والوطنية من أوائل الثلاثينيات، وجاء في رسالة من والي الجزائر إلى الحاكم العام، بخصوص نجار محمد بن قاسم[4] والأشخاص الذين يتعامل معهم، ومن بينهم غرافة، ما يلي:

---

[1]- وثيقة معلومات صادرة من أمن عمالة الجزائر حول غرافة، در، 1937/12/13، 4i131، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]- مكالمة هاتفية مع قريب غرافة من أمه السيد، أولاد بهون محمد بن كاسي، جرت يوم 2018/03/31.

[3]- محمد علي دبوز : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ج2، ص 262

[4]- نجار محمد بن قاسم: أصيل غرداية، استقر في العاصمة حوالي سنة 1933م، وكان يقيم في سانت أوجين (بولوغين) 64 شارع ماريشال فوش، في غرفة مؤثثة داخل إحدى الفيلات، وكان قبل ذلك يقيم في قسنطينة، ويعمل في محل أدوات منزلية يملكها كارتوزو، كان في علاقة وثيقة بغرافة وأملون حمو، متعاطف مع الشيوعيين، وحرر عدة مقالات في جريدة النضال الاجتماعي Lutte Social، وصفت مقالاته بالمحرضة. ينظر: Salah BENDRISSOU, **Implantation des Mozabites dans L'Algérois entre les deux-guerres**, Repertoir biographé , Thése de doctorat, Université de Paris VIII, Vincennes Saint-Denis, janvier 2000, Tome 1, P88

"... تربطه (نجار) أيضا علاقة مع المسمى غرافة ابراهيم بن عيسى، فهذا الأخير الذي اعتبر في 1932م مناضلا وطنيا ومتعاطفا مع الشيوعية، ابن عيسى وباية بنت كاسي بهون، ولد في غرداية سنة 1892م[1]، له محل صغير للبقالة في 01 شارع ديكين، يتلاقى فيه عدد من المناضلين الشيوعيين الفرنسيين والأهالي، وتم تفتيشه و لم يعثر على أي وثيقة مهمة، ولقد تردد على مزاب عدة مرات..."[2].

نستنتج من هذا أن الإدارة الاستعمارية قد تفطنت لنشاطه الوطني، وعلاقته بالرافضين للاستعمار من كتاب وصحافيين، ومناضلين في أحزاب تنتقد السياسة الاستعمارية، ومما زاد من توجس الإدارة منه، أنه كان من بين الجزائريين الذين نددوا بالاحتفالات المائوية للاحتلال، ورفعوا أصواتهم عالية يعلنون رفضهم للسياسة الاستعمارية، و لم تكتفِ السلطة الأمنية بمراقبة تحركاته، بل وعرضت محله البسيط، وغرفته المتواضعة، للتفتيش.

ويقول حمو عيسى النوري[3] "وأتذكر أني كلما زرته في دكانه البسيط، وهو في بدلته الزرقاء، وبلحيته الكثيفة وعمامته المكورة، لا أجد فيه أحدا من الزبائن إلا الأصدقاء السياسيين، أعضاء الحزب يترددون إليه في غالب الأحيان، فقلت له يوما: أين زبائنك، فقال يشير إليهم: هؤلاء هم زبائني، يشترون بلا ثمن، رزقي ورزقهم من الله وعلى الله"[4].

[1]– أشرنا سابقا إلى أن بعض التقارير تذكر أنه ولد بتاريخ 1892م، ولكننا نرجح سنة 1890م.

[2]– رسالة من والي الجزائر إلى الحاكم العام للجزائر، رقم 4134، 1936/06/15م، (ANOM)، موضوعها: مراقبة نجار محمد بن قاسم، ملف التقارير الأمنية حول مفدي زكرياء، مكتبة مفدي زكرياء ببني يزقن، غرداية، وثيقة من صفحتين.

[3]– حمو محمد عيسى النوري، ولد سنة 1914م ببنورة ولاية غرداية، تعلم في الجزائر ثم في المعهد الجابري بمزاب، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، نشر مقالات وقصائد في مجلة الشهاب وجريدة البصائر، انضم إلى الثورة في العاصمة ثم انتقل إلى مزاب، وتولى مسؤولية خلية لجيش التحرير الوطني رقمها 1172، سجن في معركة شعبة النيشان بغرداية سنة 1960م. ينظر حمو عيسى النوري: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، غ م، ج1، ص5.

[4]– حمو عيسى النوري: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، غ م، ج1، ص401.

كان محله الصغير الذي قدرت مساحته بـــ 02م² حسب أحد التقارير[1]، بمثابة نادٍ أدبي وسياسي، يقصده الوطنيون والمثقفون، للاستقبال الحسن الذي يجدونه عند صاحبه، ولموقعه في قلب العاصمة، وقد سمى الأستاذ عبد الرحمان غريب[2] محله بنادي المزاليط[3].

لم تقتصر علاقته مع الوطنيين الجزائريين فقط، بل كان يزوره أيضا منتسبو الحزب الشيوعي الفرنسي، وبعض كبار مسؤوليه، مثل النائب موريس طوريز[4]، ويذكر الفرقد أنه كان يجتمع مع الأخ ميرة في دكان الأخ غرافة ابراهيم، بنهج الثورة في العاصمة، لوضع خطة النضال، ويضيف: "كما كنت اجتمع في نفس الدكان بالنائب طورين(كذا) Thorez، الزعيم الشيوعي بفرنسا، فأقتبس منه أساليب المقاومة والنضال"[5].

كانت له غرفة بسيطة وصغيرة يسكنها لوحده، ولم تكن حياته المادية ميسورة، وكان همّه الأول النضال السياسي، ولم تعنِ له تجارته المتواضعة إلا فرصة للقاء السياسيين والمناضلين، وكان يتّقد حماسا ورغبة في النضال السياسي والوطني.

---

[1]- تقرير رقم: 3697،غ م، (ANOM) ينظر: ملف تقارير حول مفدي زكرياء، مكتبة مفدي زكرياء ببني يزقن، غرداية.

[2]- عبد الرحمان غريب الجيلالي: (1908- 2003م) كاتب صحفي، ومصلح ولد بأولاد جلال، نشأ وتعلم بطولقة ولاية بسكرة، رحل إلى تونس، ودرس في جامع الزيتونة، عاد إلى الجزائر، وبدأ ينشر مقالاته في جريدتي النـــور والمغـــرب لأبي اليقضان، ثم أنشأ وأصدر العدد الأول من جريدته الحارس 1933م، سافر إلى فرنســـا 1934م، ولم يعـــد إلا في بدايـــة الخمسينيات من القرن العشرين، شارك في الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال تولى منصب إطار عـــام في وزارة الشـــؤون الدينية، وتوفي ودفن في الجزائر العاصمة، [ينظر: زهية بهوني، عبد الرحمان دحماني وآخرون: **موسوعة العلمـــاء والأدبـــاء الجزائريين**، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014م، ص354].

[3]- حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص401.

[4]- موريس طوريز: (1900-1964م) سياسي فرنسي، عضو الحزب الشيوعي في 1920م، أمين عام الحزب الشـــيوعي الفرنسي 1930م، انتخب نائبا عن إيفري في 1930 الى 1932م، وهو واحد من قادة الجبهة الشعبية، لجأ إلى روسيا سنة 1939م، وأصبح وزير دولة من 1945 إلى 1946م، ثم نائب رئيس المجلس 1946-1947م، توفي سنة 1664م. [ينظـــر: **المنجد في اللغة والأعـــلام**، دار المشـــرق، بـــيروت، لبنـــان، 2007م، ط28، ص182. و: **Le Petit Larousse Illustré**, edition Larousse, Paris, France, 1997, p1712.]

[5]- بوجناح سليمان بن يحي الفرقد: **كشكول الفرقد**، نسخة عبد الرحمان حواش، ص14.

2. عضويته في جمعية الوفاق: أداء الواجب الاجتماعي

إن أول ذكر له في المصادر التي بحوزتنا، كان في رسالة بعثها مفدي زكرياء[1] إلى الشيخ أبي اليقضان[2] بمناسبة حظر "جريدة وادي مزاب"[3]، مؤرخة في 30 مارس 1930م، يسأله فيها عن أحوال أصدقائه في الجزائر "... سيدي، قبل كل شيء ما هي أحوال صنوي الفرقد، فإنه لم يكاتبني، وإني متحير جدا في أمره، ثم ما هي أحوال الهزبر المقدام، أسد الوادي، السيد غرافة، الذي ليس في قلبه رأفة، على الدجاجة الخوافة، التي على حتفها بظلفها طوافة، الله يسلط عليها آفة، أما هو يسلك الله أمره، ويهرول لمزاب على طريقة صطافة، وأما الأخ حمو فقد سمعت أنه في بريكة..."[4].

1- مفدي زكرياء: جويلية 1908م - 17 أوت 1977م: ولد في بني يسجن بمزاب، ابتدأ مشواره العلمي بأخذ المبادئ الأولى في مسقط رأسه، ولَّما بلغ السابعة من عمره، واصل دراسته بمدينة عنَّابة، وفي سنة 1924م انتقل إلى تونس ضمن بعثة علمية طلاَّبية مزابية، وفي عام 1926م رجع إلى الجزائر، وشارك بدور فعَّال في الحركة الوطنية، و عمل في حزب نجم شمال إفريقيا، الذي نظم له نشيده الرسمي عام 1936م، ثمَّ في حزب الشعب، شارك في الثورة التحريرية، سجن بين سنة 1937-1939م، وبين سنة 1956-1959م، وفرَّ من السجن إلى المغرب ثمَّ إلى تونس، لم يستقر به المقام في بلده بعد الاستقلال، توفِّي بتونس سنة 1977م، ودفن ببني يسجن بمزاب . [ينظر: محمد بباعمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي ، ط2، بيروت، لبنان ،2000،ج2، ص159].

2- أبو اليقظان: نوفمبر 1888م - 30 مارس 1973م،بدأ مشواره العلمي بالكتَّاب في مسقط رأسه بالقرارة، التحق بمعهد الشيخ اطفيش، في بني يسجن سنة 1907م، ثم انتقل إلى تونس سنة 1912 م، فانتسب للزيتونة ورأَسَ أوَّل بعثة علمية جزائرية مزابية بتونس؛ ثمَّ عاد إلى الجزائر في بداية الحرب العالمية الأولى، أنشأ سنة 1915م دارا للتعليم بالقرارة ، وهو من الأعضاء المؤسِّسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتولَّى نيابة أمانة المال فيها، أصدر ثماني جرائد وطنية فيما بين 1926-1938م، أسقطها الإستعمار الفرنسي واحدة تلو الأخرى، أصيب بالشلل النصفي سنة 1957 م، ولكن نشاطه الثقافي والاجتماعي والتربوي ظلَّ مستمرًّا، إلى أن وافته المنية سنة 1973 بالقرارة .[ينظر: محمد بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان ،2000،ج2، ص27]

3- صدر قرار حظرها من وزارة الداخلية في 18 جانفي 1929م. [ينظر: ناصر محمد: **أبو اليقضان وجهاد الكلمة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ط2، ص 190].

4- محمد ناصر: **مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة دراسة ونصوص**، ط3، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2014م، ص406.

وذكر مرة أخرى في رسالة بعثها الشيخ أبو اليقضان إلى الشيخ الثميني، يبلغه فيها سلام هذه المجموعة، فيقول "... والسلام التام، والتهنئة العاطرة من تعموت، وزكري، وباجو[1]، والفرقد، وغرافة ابراهيم..."[2].

ومن خلال هذه الرسائل، يتبين لنا أن مفدي زكرياء، وثلة من شباب مزاب، قد شكلوا مجموعة، وصفها في رسالة إلى شيخه الثميني بـــ "الثائرة". أهم أعضائها: أبو اليقظان، مفدي زكرياء، الفرقد سليمان، باجو حمو، تعموت عيسى، وابراهيم غرافة، ملهم هذه الكوكبة وموجهها، هو الشيخ أبو اليقضان، بخبرته في النضال الصحافي والثقافي.

في رسالة بعثها مفدي زكرياء من الجزائر إلى الشيخ الثميني في تونس مؤرخة في 11 أفريل 1930م، نجده يبلّغه فيها طلب غرافة ابراهيم، نيابة عن أصدقائه، من الشيخ الثميني بمناسبة سفر الشيخ أبي اليقظان إلى تونس، ولقائهما، نصائح وتوجيهات للجماعة الثائرة المتواجدة في الجزائر العاصمة، وكتب في الرسالة ما يلي: ".... إننا متفائلون خيرا من اجتماعكما، وكلنا أسماع متهيئة لأول كلمة تخرج من فميكما الشريفين، وإنّا لا نرضى أن تتفارقا ما لم تأتيا لنا بما نحن أحوج إليه من أكسجين الحياة، وأكرم بها حياة الروح، هذا الكلام ترجمة من البربرية حرفا بحرف من فم الأخ غرافة نيابة عن الجميع..."، وذيّل الرسالة بالكلمات التالية: "... ملحق خير لغرافة إلى أستاذنا الشيخ أبو اليقظان: "إننا لا نقبل أن تأتي للجزائر ما لم يسبقكم أول عدد من الجريدة الجديدة، يطلب لكم الاستئذان للدخول، غرافة".

يُعقب مفدي زكرياء على كلام غرافة، مبررا قصده "... إن هذا الكلام وإن كان قلة أدب، إلا أنه من باب الثورة الحمراء، والثورة تبيح كل شيء، لأن قائله (يقصد غرافة) ثائر، نائب عن طائفة من الثوار: غرافة، الفرقد، باجو، تعموت، زكرياء"[3].

---

[1]– حمو بن عمر بن حمو: من مدينة غرداية، كان زميل دراسة سليمان بوجناح في العاصمة، والده كان له محل تجـــاري في 13 شارع لالير بالجزائر سنة 1931م، وكان على علاقة وثيقة بوجناح سليمان، ووقف بجانبه لدى محاكمته سنة 1931م. [ينظر: مصطفى حمودة: **مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي إلى قيام الحرب العالمية الثانية 1908–1939م**، مطبعة الافـــاق، غرداية، الجزائر، 2012، ج1، ص187].

[2]– مصطفى حمودة: **مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي إلى قيام الحرب العالمية الثانية 1908–1939م**، ج1، مطبعة الآفاق، غرداية، الجزائر، 2012م، ص187.

[3]– مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص188.

شارك هؤلاء "الثوار" في تأسيس جمعية بالجزائر العاصمة في شهر فيفري سنة 1929م[1]، أسموها "جمعية الوفاق" على غرار "جمعية الوفاق" بتونس، وأهدافها المعلنة هي: توحيد جماعة المزابيين في الجزائر العاصمة، ولـــمّ شتاتهم، وخدمة مصالحهم الأدبية والاقتصادية، وتأسيس مدرسة لتعليم أبنائهم[2]، ونشر الثقافة والتهذيب في أوساطهم بواسطة المحاضرات والوعظ والإرشاد. أما هدفها غير المعلن وفق تقرير للإدارة الفرنسية، فهو نشر الأفكار الوطنية والدفاع عنها[3]. رئيسها المنتخب هو أحد المصلحين، السيد خالدي سعيد بن بكير، وكاتبها العام السيد الفرقد سليمان. وصادقت الإدارة على قانونها الأساسي، ونشر الإعلان بها في الجريدة الرسمية في 13 مارس 1929م، ثم فتر نشاط الجمعية بسبب وضع الفرقد تحت الرقابة الخاصة، لمدة سنتين بقرار حكومي، مؤرخ في 24 جوان 1931م بالمنطقة العسكرية لعين الصفراء.

عادت الجمعية للظهور في أوائل سنة 1933م، وكان مقرها بنهج إسماعيل بوضربة رقم 06 بالجزائر العاصمة[4]، تولى غرافة ابراهيم وظيفة وكيل النادي[5]، وأشرفت جمعية الوفاق على إصدار مجلة اسمها "الحياة"، ظهر عددها الأول في أول أفريل سنة 1933م،كاتبها العام باسعيد عدون، ورغم أنها أعلنت في صدر أعدادها الثلاثة؛ بأنها تهدف إلى الدفاع عن مصالح التجار والفلاحين والصناعيين، فإنها تناولت موضوعات متنوعة، اجتماعية واقتصادية وثقافية، وكتب مفدي زكرياء في افتتاحية العدد الأول: "...ليست هذه الجريدة حبسا على فرد أو أفراد معينين، أو وقفا على حزب من الأحزاب، بل هي فوق ذلك، ملك مساغ بين المنورين، الذين يحملون فكرتها، ويعاضدوننا في إحياء ما اندثر من مجد غابر، مع إضافة ما يلزم أن يضاف إليه من محاسن العصر الحاضر، وكفانا أن نحتفظ من ماضينا بالدين والأخلاق"[6]، ولم تعمر طويلا، فقد ظهر منها ثلاثة أعداد فقط.

---

[1]- محمد ناصر: **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م، ص205.

[2]- Salah BENDRISSOU, **Implantation des Mozabites dans L'Algérois enter les deux-guerres**, Thése de doctorat, Université de Paris VIII, Vincennes Saint-Denis, janvier 2000, Tome 1, P166

[3]- ينظر: صالح بن دريسو، **مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية**: تر مصطفى حمـــودة، ebox Editions، مطبعة الآفاق، بني يزقن، غرداية، الجزائر، 2012م، ص41.

[4]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص205.

[5]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص211.

[6]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص208.

3. انضمامه إلى حزب نجم شمال إفريقيا: بداية رسالة

إن دراسة جذور تأسيس الخلايا الأولى لـــــ (ن ش ا) في الجزائر تعتريها بعض الصعوبة، بسبب اختلاف وجهات النظر بين المؤرخين، فمنهم من يرى أن أول خلية للنجم تأسست سنة 1930م، بعد سفر محمد مسطول[1] إلى باريس. ومنهم من يرى أن التأسيس وقع سنة 1933م، بعد الرحلة الثانية لمسطول إلى باريس، ولقائه بمصالي الحاج. وهناك من يرى أن النجم لم يتواجد بالجزائر، إلا بعد زيارة مصالي لها في 02 أوت 1936م. فما هو يا ترى تاريخ تأسيس الخلية الأولى للنجم في الجزائر؟

يقول أحمد الخطيب: "تأسست أول خلية لـــ (ن ج ش في) الجزائر بحي القصبة، أواخر سنة 1930م على يد محمد مسطول بعد عودته من فرنسا، في شهر أكتوبر 1930م، واطلاعه هناك على جريدة الأمة[2]، وضمت الخلية بالإضافة إلى مسطول، كلا من بن إسماعيل، الإخوة دحمون، ورمضان، وعمر، وأطلق هؤلاء على تنظيمهم الجديد اسم الحزب الوطني الثوري"، ثم

---

[1]- محمد مسطول: ولد في 1907م في الجزائر العاصمة، من عائلة متواضعة، مارس عدة مهن من صغره، غـــادر مقاعـــد الدراسة في عمر 11 سنة، عمل في محل للأقفال، درس في التكوين المهني وتخرج بشهادة مهني أقفال، سافر إلى باريس سنة 1930م، واطلع على جريدة الأمة، وعاد إلى الجزائر، وكوّن خلية للحزب الوطني الثوري، بمساعدة من الحزب الشـــيوعي الفرنسي، وسافر مرة أخرى إلى فرنسا سنة 1933م، وربط علاقة مع حزب (ن ش ا)، وأصبحت الخلية تابعـــة للـــنجم، وكان الوحيد الذي يعرفه مصالي الحاج في الجزائر العاصمة عندما عاد إلى الجزائر سنة 1936م، [ينظر:
Binjamin Stora: **Dictionnaire Biographique de militants Nationalistes Algériens**, éditions L'Harmattan, PARIS,1985, P215].

[2]- جريدة الأمة: لسان حال (ح ن ش إ)، ثم (ح ش ج)، صدر عددها الأول في أكتوبر 1930م في باريس، تصدر مـــرة في الشهر، ثم مرتين في الشهر، ولاقت انتشارا واسعا في أوساط المهاجرين، وفي الجزائر، كانت تمتاز بأسلوبها الحماســـي، واللهجة العنيفة في تعليقاتها على الأحداث، أوقفت نهائيا عن الصدور في 29 سبتمبر 1935م، [ينظر: أحمـــد الخطيـــب: **حزب الشعب الجزائري**، المرجع السابق، ص248].

يقول: "أن القسمة الرئيسية في العاصمة بقيادة مسطول، ضمت إليها أحمد مزغنة[1] ومحمد خيضر وخليفة بن عمار[2]، وفرضت هيمنتها على قسمة عمال تراموای والسكك الحديدية، وعلى قسمات كل من بليدة، بوفاريك، شراقة، والأربعاء.

حسب شهادة لحول حسين[3]، التي أوردها محمد عباس في كتابه رواد الوطنية، فإنه لَمّا انتقل إلى الجزائر العاصمة سنة 1933م، وجد المناضلين الوطنيين مهيكلين في حي القصبة، وكان في مقدمتهم أحمد مزغنة وابراهيم غرافة[4]، مما يفهم منه أن غرافة كان ضمن المجموعة الأولى، التي شكلت فرع الجزائر للنجم، بعد ربط الاتصال رسميا بالقيادة في باريس، عقب

---

[1]- أحمد مزغنة: (1907-1982م): ولد بالبليدة في 29 أفريل 1907م، عمل إسكافيا في 1925م، ثم عامل ترام بمدينة الجزائر، انخرط بالحزب الوطني الثوري الذي تأسس سنة 1930م، شارك بمعية مسطول وخليفة بن عمار في بعث (ن ش إ) في التراب الجزائري سنة 1933م، اعتقل عدة مرات، أصبح ضمن القيادة المصالية في الجزائر في مارس 1954م، سعى إلى تأسيس جبهة تضم الاتجاهات الوطنية، اعتقل في جويلية 1955م بالقاهرة من السلطات المصرية، بطلب من جبهة التحرير الوطني، ليطلق سراحه قبيل الاستقلال، وتوفي بالمنفى بفرنسا. [ينظر: عاشور شرفي: **مَعْلَمَة الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص1306].

[2]- خليفة بن عمار: ولد ببسكرة، حوالي سنة 1914م، شارك في أول اجتماع لـ (ن ش إ) المنعقد في الجزائر العاصمة، شهر ماي 1933م، أصبح أحد الأعضاء المتفرغين للنجم بعد زيارة مصالي الحاج للجزائر في صيف 1936م، وبعد أن حلّ النجم وجه أوامر إلى العديد من القسمات بالعمل على إحيائها تحت اسم أحباب الأمة. أصبح عضوا قياديا في حزب الشعب الجزائري بفدرالية العاصمة في جويلية 1937م، مرشح للانتخابات المحلية ممثلا لحزب الشعب الجزائري عن مدينة سكيكدة في أكتوبر 1937م، وأسس الجبهة الجزائرية للعمل الديموقراطي عام 1961م. [ينظر: عاشور شرفي: **مَعْلَمَة الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص289].

[3]- لحول حسين: (1917- 1995م) انضم إلى (ن ش إ) 1933م، عين ضمن الأوائل المتفرغين في (ن ش إ) بالجزائر، محرر جريدة الأمة، أمين فرع الجزائر العاصمة عن حزب الشعب، سجن في بربروس 1937، اعتقل عدة مرات إبان الحرب العالمية الثانية، وضع رهن الإقامة الجبرية بعد سنة 1946، أمين عام حركة انتصار الحريات الديموقراطية 1950م، أقام بالقاهرة قبل أول نوفمبر وبعده، انضم إلى جبهة التحرير عام 1955م، وانسحب من الحياة السياسية سنة 1956، ورفض كل المناصب السياسية التي عرضت عليه، وتوفي سنة 1995. [ينظر: عاشور شرفي: **مَعْلَمَة الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص1239].

[4]- محمد عباس: **رواد الوطنية: شهادات 28 شخصية وطنية**، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص61.

الزيارة الثانية لمحمد مسطول لفرنسا سنة 1933م، وقد كان منخرطا في النشاط الوطني في تلك الفترة، وحسب تقرير للشرطة فإنه اعتبر مناضلا وطنيا سنة 1932م، مع الإشارة أن الباحث جون لويس بلونش (Jean-Louis Planche) يعتبر أن هذه الجماعة كانت مستقلة عن نجم شمال إفريقيا، وتنشط في حزب ذو توجه وطني مشابه للنجم، وقريب من الشيوعيين، اسمه الحزب الوطني الثوري[1]، ولم تتحول إلى النضال في صفوف نجم شمال إفريقيا، إلا بعد سفر محمد مسطول إلى فرنسا سنة 1933م، وعودته بالتعليمات والوسائل التنظيمية. ونعتقد أن رأي بلونش تدعمه دلائل متعددة، فتسمية الخلية لنفسها بالحزب الوطني الثوري، كما ذكرت مصادر موثوقة، يدل أن مؤسسيها لم يكونوا تابعين للنجم، ولم تكن تربطهم به أي علاقة، سواء كانت تنظيمية أو شخصية، وكل ما هنالك، هو تأثر بأفكار النجم، التي كان ينشرها في جريدة الأمة، وكانت تصل إلى الجزائر بعد سنة 1930م، ويعضد هذا الرأي أيضا أبو القاسم سعد الله، الذي يذهب إلى أن النجم لم يكن موجودا بالجزائر قبل شهر أوت 1936م[2]، وقد اندثر الحزب الوطني الثوري نهائيا سنة 1934م، بعد انتقال جل منتسبـــيه إلى النجم[3]، ويحتمل أن سبب التحول إلى الانخراط، ضمن أطر النجم، هو عجز الجماعة عن تجنيد المناضلين، وتضييق السلطات الاستعمارية الخناق عليها، ولم يكن الانضمام إلى النجم، إلا بسبب الإيمان بأفكاره وأهدافه، ومحاولة للاستفادة من تجربته النضالية والاحتماء به، وابتعاد عن الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان يساند هذا الحزب الناشئ ويعضده.

[1]- Jean-Louis Planche: **aux origines de l'étoile nord-africaine à Alger**, actes du colloque du 27 février au 1 mars 1987, Etoile nord-africaine et le mouvement national algérien, éditions ENEP, Alger, 2000. p 155

[2]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ج3، ط6، ص164.

[3]- Jean-Louis Planche: op.cit, P163

فمهما يكن من أمر، فإن تلك المجموعة الثورية والوطنية، قد انخرطت في العمل الوطني السري منذ 1930م، وكان نشاطها في البداية متواضعا، و لم تستطع أن تجند إلا 100 مناضل، من سنة 1930م إلى 1934م، وبداية من سنة 1933م، تشكلت رسميا الخلية الأولى لـــ (ن ش إ) في الجزائر، بعد أن انعقدت جمعية عامة للمناضلين، من أحباب الأمة للعاصمة وضواحيها[1]، وفي نفس السنة، انضم لحول حسين إلى النجم، وكان غرافة ضمن أعضاء الخلية، الذين وجدهم لحول، لما انتقل إلى العاصمة، يمارسون العمل السياسي في حي القصبة، باسم النجم.

[1] – محفوظ قداش: **تاريخ الحركة الوطنية** ج1، ص460.

المبحث الثاني: اللقاء الأول مع الزعيم الوطني مصالي: تأكيد الاختيار

1. ملامح من بدايات نشاطه السياسي: الوطنية المتقدة

انخرط غرافة، كما رأينا، في العمل الوطني من بداية الثلاثينيات، وغشي النوادي الثقافية والسياسية، واتخذ محله مركزا للنقاش والتحاور في الشأن العام، وعين الإدارة الاستعمارية لا تغفله، واندفع بكل حماس وإخلاص في النضال السياسي، سيما بعد عودة مصالي ولقائه به، وقدم حياته الخاصة والعائلية قربانا للغاية الوطنية، التي نذر لها نفسه، فلم يعد يزور مزاب إلا لماما، يقول عنه المناضل محمود عبدون، الذي شهد معه فصول من العمل الوطني والسياسي: "... هذا المناضل البسيط ينتسب إلى ناحية مزاب، كان مسلحا بشجاعة عظيمة، ومتمتعا بعقيدة سياسية لا تتزعزع، وكان دائما يتطوع للمهام الخطيرة ...، إنه ضحى حتى بحياته الخاصة في سبيل الوطنية"[1].

ومن أنشطته المبكرة قبل اشتهار حزب (ن ش إ) في الجزائر، التردد على الأماكن العامة، التي يتم فيها النقاش حول الأوضاع السياسية والاجتماعية، وتداول الصحف المعارضة للاستعمار والمدافعة عن حقوق المستضعفين، سواء كانت جزائرية أو فرنسية، وفي رسالة مطبوع عليها كلمة سري، من قائد الأمن في عمالة الجزائر، مصلحة مراقبة مقاهي الأهالي، ومؤرخة في 26 فيفري 1935م، أُرسلت إلى والي الجزائر، مصلحة قضايا الأهالي، نقرأ ما يلي: "يشرفني أن أعلمك أن بعض المقاهي الأهلية اتخذت كأماكن للقاء الأشخاص من الأهالي المعروفين بنزعتهم الوطنية والمتطرفة، ولقد أمرت بمراقبة هذه المقاهي، وكانت النتيجة كالآتي:

ثلاث مقاهي أثارت انتباه المحققين، ويتعلق الأمر بـــ: مقهى غضبان، 01 شارع لالير، مقهى الأرملة بورورييس، 66 شارع القصبة، كريمري قلاتي، 4 شارع فرنسا.

- يتردد أنصار جمعية علماء على مقهى غضبان...، ويتم فيه تداول عدة جرائد بطريقة سرية على غرار: La Défense (الدفاع)، La Justice (العدالة)، La Voix du Peuple (صوت الشعب)، وEl Ouma (الأمة).

[1] - محمود عبدون: **شهادة مناضل من الحركة الوطنية**، منشورات دحلب، الجزائر، 2013م، ص90.

وفي مقهى الأرملة بورويبس يجتمع النقابيون الوحدويون، من شركتي CFRA وTA، وممثلهم فرشوخ حاج عمار، الذي يتردد من وقت لآخر على المقهى، وتتم في هذا المقهى قراءة هذه الجرائد: La Lutte Sociale (النضال الاجتماعي)، l'Algérie Ouvrière (الجزائر العمالية)، وLa Voix de Peuple (صوت الشعب)، وEl Ouma (الأمة)، La Défense (الدفاع)، وفي كريمري قلاتي التي تتميز بطابع خاص، وتقريبا كل يوم مساء من الساعة 19:00 إلى 21:00، نجد في هذا المحل المسمى غرافة ابراهيم، مثقف بالعربية والفرنسية، ومحاط بعدد من مواطنيه المثقفين أيضا، يعلقون على الجرائد ذات النزعة الوطنية..."[1].

من خلال هذا التقرير نستطيع أن نستنتج أن غرافة قد اندفع في هذه الفترة، فيفري 1935م، في جو النقاش السياسي، واحتك بالجزائريين ذوي النزعة الوطنية والمتعلمين، كما وصفهم التقرير، وكما يبدو فإنه كان يتنقل بين الجزائر العاصمة وغرداية حينها، ثم بقي في العاصمة لمدة طويلة، بداية من سبتمبر 1935م، لأننا نجد في تقرير آخر مؤرخ في 19 مارس 1937م، ما يفهم منه أنه غادر مزاب منذ 30 سبتمبر 1935م، بشهادة كل من قايد غرداية بللو يحي، وبوجناح يحي[2]، أحد أعيان غرداية، ولم يعد إليه، على الأقل، إلى تاريخ كتابة التقرير، أي في 19 مارس 1937م[3].

نلاحظ أيضا في هذا التقرير، أن الشرطة الاستعمارية لم تكتشف نشاط غرافة في النجم، حتى تاريخه على الأقل، وكان تحت المراقبة اليقظة لعيونها المبثوثة في أرجاء مدينة الجزائر، وهناك

---

[1]- رسالة من قائد الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 1078، 1935/02/26م، 4i1031، (ANOM)، موضوعه: مراقبة مقاهي الأهالي.

[2]- بوجناح سليمان بن يحي (الفرقد): 1903 – 1988، عضو (ن ش إ) وفي (ح ش ج)، مترجم وله تكوين باللغة الفرنسية، تابع دروس الثانوية بالجزائر، متحصل على شهادة في اللغة العربية من تونس سنة 1923، نال شهادة في اللغة العربية من كلية الجزائر 1925، سجل في دفتر B في 5 نوفمبر 1934، وضع تحت الرقابة الخاصة لسنتين في عين الصفراء لنشره مقالات اعتبرت ماحاول للمساس بالدولة الفرنسية، وضع مرة ثانية تحت الرقابة الخاصة بأدرار لسنتين لقيامه في سبتمبر 1933 بترجمة مقالات من الفرنسية إلى العربية تتضمن دعوة إلى استقلال الجزائر. [ينظر: بن دريسو صالح: **مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية**: تر مصطفى حمودة، ebox Editions، مطبعة الآفاق، بني يزقن، غرداية، الجزائر، 2012م، ص128].

[3]- تقرير ضابط الشرطة القضائية في أراضي الجنوب، د ر، 1937/03/19م، موضوعه: مراقبة غرافة، [المصدر: مكتبة المرحوم حواش عبد الرحمان، الملف رقم: 2154 حول غرافة ابراهيم].

احتمال، أن كاتب التقرير لم يكن على علم بكل نشاطات غرافة، سيما وأن خلية (ن ش إ) كانت تمارس نشاطها في سرية تامة، وفي حذر شديد، ولم يكن نشاطها البسيط ليثير أنظار الأمن الفرنسي، في تلك الفترة المبكرة من وجودها، وقد سبق أن رأينا، أن غرافة قد وصف في تقرير آخر، أنه مناضل وطني منذ سنة 1932م، ولا يمكننا أن نرد شهادة لحول الحسين، وهو معروف بأمانته وصدقه، وشغل مناصب مرموقة في فرع الجزائر للنجم، والتي يؤكدها استقبال غرافة لمصالي سنة 1936م، ضمن الوفد القيادي لفرع الجزائر.

وقد بثت الإدارة الاستعمارية دعاية مغرضة ضد غرافة في الجزائر العاصمة ومزاب، واتهمته بالشيوعية[1] بهدف تشويه سمعته، كما فعلت مع عدد من الوطنيين، مثل مصالي، وعبد الحميد بن باديس[2]، ومفدي زكرياء، والفرقد، ولم تكن علاقته بالشيوعيين إلا علاقة صداقة وتبادل مصالح، إذ كانوا في تلك الفترة من ألد أعداء الإدارة الاستعمارية الفرنسية. يقول الفرقد مدافعا عن موقفه من الحزب الشيوعي: "أما أنا ورفقائي، فلنا نحن أيضا مرامي سياسية، بربط علائق ودية مع الحزب الشيوعي وغيره من الأحزاب، ولكن تلك الصداقة تكون على قدر الإعانة التي نحصل عليها أثناء نضالنا، في سبيل مبادئنا الوطنية الإسلامية"[3]، ويضاف إلى ذلك، أن التيار الوطني الجزائري استفاد كثيرا من تحالفه مع الشيوعيين في بدايات ظهوره، فقد استخدم النجم مقار ومقدرات الحزب الشيوعي الفرنسي في فرنسا، ولم يختلف معه جذريا، إلا ابتداء من سنة 1936م، دون أن ننسى الدعاية القوية، التي حظيت بها الثورة البلشفية، بعد انتصارها سنة 1917م، فقد كانت بمثابة النموذج والأمل للمسحوقين تحت القوى الاستعمارية و"الامبريالية" الغربية.

---

[1]- تقرير من قائد ملحقة غرداية رقم: 54، 1937/04/03م، (ANOM)، موضوعه: رحلة بعثة الشبيبة الوطنية الجزائرية إلى تونس، ملف تقارير حول مفدي زكرياء، مكتبة مفدي زكرياء ببني يزقن، وقد وصف في التقرير بأنه صاحب دعاية نشطة، وشيوعي.

[2]- محمد صالح ناصر: **أعلام وأقلام**، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص542.

[3]- سليمان بوجناح، المصدر السابق، ص6.

2. غرافة ورفاقه يستقبلون مصالي الحاج: عودة الملهم

يقول محمد مسطول عن هذا الحدث: "على الساعة السادسة صباحا، دخلت السفينة التي تقل مصالي الحاج وزوجته وابنه علي إلى ميناء الجزائر، وكانت تحمل على متنها الكثير من المهاجرين العائدين إلى بلادهم، بمناسبة العطلة الصيفية..."، ويضيف قائلا: "لمحت مصالي مع آخر النازلين من السفينة، واقترب مني، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة، وبعد التحية والسلام، قال لي أن رحلته من مرسيليا كانت مرهقة، بسبب الحالة السيئة للبحر، وقال أيضا أنه سعيد لاستقبالي له، كونه لا يعرف أحدا في الجزائر العاصمة غيري، وقد غادر البلاد من سنين عديدة، وبعد إنهاء إجراءات الجمارك، قدته إلى بعض المسؤولين الذين جاؤوا لاستقباله، وهم: أحمد مزغنة، مصطفى دشوق، عمار مسعودي، حسين موركي، ابراهيم غرافة، علي زاوي، وركبنا سيارتي المناضلين، وفي الطريق إلى (فندق قصر الشتاء) Palais d'Hiver، 6 شارع ديفان، شرحنا باختصار لمصالي كل الإجراءات التي اتخذها الفروع للمشاركة في التجمع، الذي أقامته بعثة المؤتمر الإسلامي بعد عودتها من باريس[1].

كان غرافة ضمن الوفد الصغير، من مسؤولي فرع الجزائر للنجم، الذين استقبلوا الزعيم لما عاد إلى الوطن، بناء على طلبهم لمواجهة استحقاقات المؤتمر الإسلامي، التي أصبحت تنذر بخطر وشيك على الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية للشعب، وكان الشيوعيون والمنتخبون ينصبون شركا للعلماء وللوطنيين، بهدف إقرار مشروع بلوم فيوليت، الذي يستهدف تقسيم الجزائريين، والإجهاز على أملهم في الاستقلال، و لم يتأخر مصالي عن تلبية نداء الوطن، فركب أول سفينة متوجهة إلى الجزائر، حتى يكون في الموعد في نفس يوم وصول بعثة المؤتمر من باريس، تحمل في حقائبها وعودا كالسراب، وتجر أذيال الخيبة.

[1]- Mohamed Mestoul: **Messali à Alger 1936**, Messali Hadj 1898-1998, parcours et témoignages, Casbah Editions, Alger ,2006, P174.

ويروي مصالي قصة عودته الأولى للجزائر بعد غياب طويل، ويقول: "في الجزائر كنا لا نعرف أحدا، ما عدا محمد مسطول، وإذا لم يكن هذا الأخير حاضرا لاستقبالنا؟ هذا ما دار في ذهني، بنوع من القلق عندما اقتربنا من المرسى، فمن على ظهر سفينة "مدينة الجزائر"، وبينما بدأ بعض المسافرين من الطبقة الأولى ينزلون، الواحد تلو الآخر، عرفت صديقي في وسط جمع من بعض المواطنين، ثم استقبلنا ببساطة وبسرعة، مع تجنب جلب الأنظار إلينا، إن سيارة كانت في انتظارنا، وعشرون دقيقة كنا في فندق، يقع في ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا)، وكانوا قد حضروا غذاء، تناولناه بشهية جيدة"[1].

وبعد الاستراحة توجه الوفد، ومن ضمنهم غرافة، إلى الملعب البلدي في الجزائر، حيث ألقى مصالي كلمته الشهيرة والمدوية، وصفقت له الجماهير طويلا، ورفع على الأعناق، واشتهر بين الجزائريين، وتحول حزبه من تلك اللحظة، من حركة مغمورة، إلى حزب سياسي مؤثر، وذي شعبية. ولا شك أن غرافة قد تأثر بهذا الخطاب، كما تأثر به كثير من الجزائريين، الذين حضروا المهرجان أو سمعوا عنه، وزادته كلمات مصالي إيمانا بصواب المنهج الذي سلكه، رغم الصعوبات التي تعترض طريق الانعتاق الطويل.

ومما جاء في خطاب مصالي المشهود: "باسم نجم شمال إفريقيا، أعبر لكم عن التحية الأخوية وتضامن 200.000 من أبناء شمال إفريقيا، الذين يقيمون بفرنسا. احتراما للغتنا الوطنية، اللغة العربية التي نعتز بها جميعا، ونفخر بها أيضا من أجل نبل الشعب الجزائري، الجسور والكريم، وأنا حريص على أن أتحدث أمامكم بعد منفى، استمر لمدة اثني عشر سنة، بلغتي الأصيلة: أنا سعيد ومرتاح تماما، لتمكني اليوم من التواصل معكم رسميا".

وأضاف قائلا: "من المؤكد، أننا نوافق على المطالب المستعجلة المتواضعة والمشروعة، التي يتضمنها الميثاق المطلبي الذي قدم لحكومة الجبهة الشعبية، وأننا سندعم تنفيذها بكامل قوتنا،

[1]- مصالي الحاج: **مذكرات مصالي الحاج 1898-1938م**، تر: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007م، ص201.

رغم تواضعها، لأن أصغر المطالب وأكثرها خصوصية تهمنا كثيرا، لأنها ستساهم في التخفيف من وطأة بؤس هذا الشعب المسكين.

هنا أتعهد باسم تنظيمي، أمام الشيخ الجليل بن باديس، للقيام بكل ما هو ممكن إنسانيا، لدعم هذه المطالب لخدمة القضية النبيلة، التي ندافع عنها جميعا، ولكننا نقول بصراحة، وبشكل لا يقبل التراجع، أننا لا نقر الميثاق المطلبي فيما يتعلق بإلحاق بلادنا بفرنسا والتمثيل البرلماني، في الواقع بلادنا اليوم إداريا ملحقة بفرنسا، وتتبع إدارتها المركزية، ولكن هذا الإلحاق نجَم عن اجتياح عنيف تلاه احتلال عسكري، يرتكز في الوقت الحالي على الفيلق التاسع عشر للجيش، لم يوافق عليه الشعب مطلقا.

هذا المستقبل ملك للجيل القادم، ووحده له الحق في تقرير كيفية تسيير مستقبله ومصيره، نعارض أيضا التمثيل البرلماني وندعم إلغاء المندوبيات المالية والحكومة العامة، واستبدالها ببرلمان جزائري منتخب بالاقتراع العام، دون تمييز، لا عرقي ولا ديني.

...إخوتي، يتعين أن لا تناموا على آذانكم الآن، وتعتقدوا أن العمل برمته قد انتهى، لأن هذا سوى البداية، يتعين أن تتنظموا بشكل جيد، وان تتوحدوا داخل تنظيماتكم لتكونوا أقوياء، لتحترموا، وليسمع صوتكم العالي في الضفة الأخرى للمتوسط، من أجل تحرر الجزائر ونهضتها، انتظموا جماعيا حول تنظيمكم الوطني نجم شمال إفريقيا، الذي سيعرف كيف يدافع عنكم، وسيقودكم في طريق الانعتاق. أنهي مناديا بأعلى صوتي: فليسقط قانون الأهالي، فلتسقط قوانين الاستثناء وكره الأعراق، يحي نجم شمال إفريقيا"[1].

[1]- محفوظ قداش، محمد قنانش: **نجم شمال افريقيا 1926-1937م: وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني**، تر: أوذاينيـــة خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013م، ص110.

3. نشاطه أثناء إقامة مصالي في الجزائر: الإخلاص للزعيم الوطني

أثارت زيارة مصالي الحاج إلى الجزائر، والشعبية الكبيرة التي حظي بها، أنظار الشرطة الاستعمارية، وأرسلت مخبريها يحصون عليه تحركاته، ويمدونها بتقاريرهم الدورية، التي تكاد تكون يومية.

يتحدث مصطفى حمودة عن تقرير، يتناول نشاطات مصالي الحاج في الجزائر منذ حلوله بها يوم 02 أوت 1936م، جاء فيه ما يلي: "في الأيام الموالية (يعني ليوم وصوله إلى الجزائر)، بقي مصالي الحاج باستمرار على اتصال مع بعض المزابيين المشهورين بانتمائهم الوطني، زكرياء بن سليمان، بوجناح سليمان، غرافة ابراهيم، نجار سليمان...، ومع الأعضاء الأساسيين من فرع نجم شمال إفريقيا بالجزائر، مسطول محمد، حاج ونيس، مزغنة، المهداوي، حاج سماعين"[1].

وأحصى مصطفى حمودة أزيد من عشرة تقارير، من يوم وصول مصالي الحاج في 02 أوت إلى يوم مغادرته الجزائر إلى تلمسان في 15 أوت 1936م، مع غياب يومين، أمضاهما في رحلته إلى وهران من يوم 05 أوت 1936م إلى يوم 07 أوت 1936م، وشارك غرافة في نشاطات مصالي الحاج للأيام التالية:

- **في يوم** 03 أوت 1936م: "ومنذ وصوله، كان يُرى عادة متجولا في المدينة، ومحل قلاتي، مكان اجتماع الوطنيين والمصلحين، وقد عقد اتصالات مع المدعوين غرافة ابراهيم، ونجار سليمان، وبلحسين، وبوجناح سليمان، المعروفين بمواقف معادية لفرنسا"[2].

- **في يوم** 05 أوت 1936م: "في حدود الساعة 17h30، ذهب إلى كريمري قلاتي 04 شارع فرنسا حيث بقي إلى الساعة 18h30 برفقة زكرياء، غرافة ابراهيم، بلحسين، وعددا من الأصدقاء"[3].

---

[1]- تقرير رقم: 413، غ م، (ANOM)، وثيقة من 6 صفحات، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص240].

[2]- تقرير رقم: 4821، 1936/08/04م، 2i37، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص241].

[3]- تقرير رقم: 4856، 1936/08/06م،2i37، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص240].

- **في يوم** 09 أوت 1936م: "تلقى مصالي الحاج، من 15h00 إلى الساعة 17h45، زيارة السادة بلحوسين، غرافة، زكرياء، أوزقان، بالإضافة إلى عدد من قابضي شركة تراموای الجزائر TA، وفي الساعة 17h50 غادر أصدقاء مصالي المذكورين آنفا الفندق، بصحبة السيدة ايميل بيسكان، والطفل..."[1].

- **في يوم** 10 أوت 1936م: "...لم يترك مصالي الفندق في الصبيحة، وتلقى فيه زيارة: زكرياء سليمان، الحسين، وغرافة وعدد آخر من أصدقائه، وعلى الساعة 10h30 خرجت السيدة بيسكان والطفل، الذي يعتبر ابنا لمصالي، برفقة الأشخاص المذكورين آنفا، ثم رجعوا عدة دقائق بعد ذلك...، أما بالنسبة لمصالي فلم يترك الفندق مساءا ولا في السهرة، ولقد استقبل فيه أصدقاؤه زكرياء سليمان، والحسين، وغرافة"[2].

- **في يوم** 11 أوت 1936م: "... في حدود الساعة 18h00، ذهب زكرياء سليمان، غرافة ابراهيم، والحسين لزيارته، ثم غادره الجميع على الساعة 20h00"[3].

- **في يوم** 1936/08/12م: "... في الصبيحة، تلقى مصالي في الفندق زيارة عدد من الأهالي، نذكر خاصة منهم: غرافة ابراهيم، زكرياء سليمان...، خرج مصالي من الفندق على الساعة 18h00، برفقة السيدة بيسكان والطفل، وذهب ثلاثتهم إلى كريمري قلاتي...، حيث كان غرافة، وزكرياء ، واثنان من قابضي تراوموای، ينتظران المناضل الوطني.

قام بجولة ما بين الساعة 18h40 و19h30 مع أصدقائه في شارعي الجمهورية وكارنو...، وذهب إلى ساحة الحكومة، بمعية الأهليَين اللذين كانا معه، وهناك التقى عمارة،

---

[1]- تقرير رقم: 4968، 1936/08/10م، 2i45، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص242].

[2] تقرير رقم: 4973، 1936/08/11م، 2i45، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص242].

[3] تقرير رقم: 4985، 1936/08/12م، 2i45، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص242].

غرافة، وزكرياء، فكان لهم معه حوار دام ربع ساعة، وانتقل مصالي رفقة الأخيرين إلى كريمري قلاتي...، وخرج من المحل على الساعة 22h40 برفقة أصدقائه الذين فارقهم على الساعة 23h20 ليذهب إلى الفندق"[1].

- **في يوم** 13 أوت 1936م: "...لم يتلقَّ مصالي أي زيارة، إلا في آخر الصباح، وقد تحادث من الساعة 11h15 إلى 12h10 مع المسميَين غرافة والحسين...، بعد الظهيرة إلى الساعة 18h15، زاره المذكوران آنفا، بالإضافة إلى زكرياء، وعدد من أصدقائه...، هؤلاء الأشخاص (مصالي والسيدة بيسكان والطفل وخمسة أشخاص)، اتجهوا إلى كريمري قلاتي، حيث انعقد اجتماع من عشرين شخصا تقريبا، ولوحظ من بين الحضور: زكرياء سليمان، والحسين، وعلي الدلسي، وثلاثة مزابيين، وبحار أهلي، واختتم الاجتماع على الساعة 22h10، وتوجه مصالي بعد الاجتماع إلى فندقه برفقة أصدقائه"[2].

- **في يوم** 14 أوت 1936م: "... تلقى مصالي في الصبيحة زيارة غرافة، وحسين، وزكرياء، والشيخ الزاهري، ... التقى مصالي الحاج في ساحة الحكومة غرافة، وزكرياء، وحسين، وعدد من المواطنين، وعلى الساعة 18h40، انتقلت المجموعة المتكونة من مصالي، وغرافة، وحسين، والشيخ سعيد الزاهري، وزكرياء إلى محل هذا الأخير، 39 شارع لالير، وعلى الساعة 20h00 خرج غرافة ليحضر سيارة أجرة، وفي الساعة 20h16 أخذ مكانه في سيارة الأجرة رقم: AL9 9628، كل من مصالي، وزوجته، وابنه، وغرافة، وزكرياء، وحسين، والشيخ سعيد الزاهري، وذهبوا باتجاه شارع ايزلي، وبحسب المعلومات التي تحصلنا عليها، كانت وجهتهم القبة، لزيارة الشيخ الطيب العقبي...".

---

[1]- تقرير رقم: 4999، 1936/08/13م، 2i45، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص243].

[2]- تقرير رقم: 5021، 1936/08/14م، 2i45، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص242. و: الملحق رقم 02].

- **في يوم** 15 أوت 1936م: "في الصبيحة، تلقى مصالي زيارة: زكرياء، غرافة، حسين، الشيخ الزاهري، مسطول، وغيرهم من الأهالي...، وعلى الساعة 21h00، قصد مصالي الحاج رفقة عدد من الأهالي، منهم: غرافة، حسين، الحاج ونيس، قصد محطة الجزائر، وأخذ مكانه في الدرجة الثالثة، في قطار تلمسان"[1].

من خلال التقارير السابقة، نخلص إلى أن غرافة ابراهيم كان ملازما لمصالي الحاج، منذ وصوله إلى الجزائر العاصمة، وقد خصه بزياراته شبه اليومية في الفندق الذي يقيم فيه، مما يدل على ارتباطه الشديد بالزعيم الوطني، وإيمانه القوي بأفكاره الثورية، التي كانت تنشرها جريدة الأمة، لسان حال الحزب قبل زيارة مصالي للجزائر، وتوثقت علاقة غرافة بمصالي في هذه الفترة، وكان موضع ثقته الكبيرة.

ومن بين أحد عشر تقرير حول نشاطات مصالي، من يوم 03 إلى 15 أوت من سنة 1936م، كان غرافة مذكورا، من بين مرافقي مصالي، أو زواره، في تسعة منها، وكانت اللقاءات تتم إما في الفندق الذي يقيم فيه مصالي (فندق قصر الشتاء) Palais d'Hiver، 06 شارع ديفان، أو في كريمري قلاتي، التي كانت بمثابة نادٍ للوطنيين الجزائريين، أو في أماكن عامة، مثل ساحة الحكومة، أو في محل مفدي زكرياء، 39 شارع لالير، أو في المقر الاجتماعي للحزب.

[1]- تقرير رقم: 5026، 1936/08/16م، 2i45، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: مصطفى حمودة، المرجع نفسه، ص244].

المبحث الثالث: غرافة يؤكد الولاء للفكرة الوطنية: الإصرار على الاستمرار

1. إعادة هيكلة النجم في الجزائر: التأسيس الفعلي

بعد النجاح الكبير الذي لقيته زيارة مصالي للجزائر، عمد مصالي إلى إعادة هيكلة الفروع في الجزائر، ولأول مرة نشط الحزب في العلن، وتم تشكيل المكتب التنفيذي الجديد، في أوائل أكتوبر 1936م، وقسمت الجزائر إلى ثلاث قطاعات، هي: الجزائر، قسنطينة، وتلمسان، وتم تعيين أعضاء اللجنة التنفيذية لقطاع الجزائر، التي ضمت عناصر قديمة، وأخرى جديدة، التحقت بالحزب بعد زيارة مصالي للجزائر، وهم كالتالي: مسطول محمد رئيسا، حاج سماعين نائبا للرئيس، خليفة بن عمار كاتبا عاما، ولحول حسين كاتبا مساعدا، وغرافة براهيم، ومزغنة أحمد، وحاج ونيس أعضاء مساعدون، وزكرياء بن سليمان، مراقبا ومفوضا للدعاية، واتخذ الحزب لنفسه مقرا رسميا في شارع ديكين، وكانت تشاهد في هذه الفترة، جماعة من الشبان، تنتظر دورها أمام المركز للانضمام للحزب[1].

لقد أسندت مهمة العضو المساعد في اللجنة التنفيذية لفرع الجزائر لغرافة ابراهيم، في هذه الفترة الأولى لخروج الحزب من السرية إلى العلانية، وهي مهمة قيادية، عرفانا لخدماته التي أسداها للحزب قبل زيارة مصالي للجزائر، وتوسما لدور إيجابي وفعال في المرحلة اللاحقة، وأثبتت الأيام أنه جدير بهذا التعيين، فلم يتراجع ويضعف، رغم المحن التي مر بها الحزب، والمضايقات المتتالية التي واجهته بها الإدارة الاستعمارية، ولما حُلّ الحزب في أوائل 1937م، تراجع البعض خوفا من الملاحقة، ولم يبق في الحزب إلا الراسخون في الوطنية، والمؤمنون بقدسية الرسالة، ومنهم غرافة.

بقي مصالي في الجزائر ثلاثة أشهر ونيّف، يعقد تجمعات، ويشرح للشعب برنامج حزبه وأهدافه، وتجول في ربوع الجزائر، ولم يمكث طويلا في العاصمة، ولم يفلت لحظة من عيون

[1] – أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص203.

المصالح الأمنية، وسجلت كل تحركاته، وأحصَت عليه أنفاسه، وكما رأينا سالفا، فقد كان برنامجه اليومي حافلا بالنشاطات السياسية والاجتماعية، واستقبل عددا من الشخصيات الوطنية وزارها، والتقى بقاعدته النضالية القديمة والجديدة، التي التحقت بصفوف الحزب بعد اشتهاره، وكان غرافة لا يفارق الزعيم، يلتقي به يوميا، ويودعه في محطة القطار عند تنقلاته المتعددة إلى مختلف مدن الجزائر ومناطقها.

ومن أمثلة نشاطات مصالي، بعد حوالي شهرين من قدومه للجزائر، نقرأ في تقرير مؤرخ في 29 سبتمبر 1936م، "... على الساعة 20h20 عاد مصالي الحاج إلى فندق شارع شارتر، ومكث هناك حتى الساعة 21h45، وتناول بعد ذلك وجبة العشاء في مطعم أهلي بشارع الألوان الثلاثة، ثم توجه إلى كريمري قلاتي، والتقى هناك عددا من أصدقائه، ونخص بالذكر حسين، وغرافة، وعلي دلسي، ثم توجه بعد ذلك إلى فندق بوردو، والتحق به سعيد الزاهري، وغرافة"[1].

توجه مصالي إلى قسنطينة رفقة وفد المؤتمر الإسلامي يوم 19 أكتوبر 1936م، ورصد تقرير للأمن لحظات توديع مصالي من قبل مساعديه وأنصاره، التقرير مؤرخ في 19 سبتمبر 1936م، ورد فيه ما يلي: "... غادرت بعثة المؤتمر الإسلامي المتكونة من: لـــمين لعمودي، وبن حاج، البشير الإبراهيمي، عمارة الملقب بالفرشوق الجزائر في 17 أكتوبر 1936م، على الساعة 21h30، في اتجاه قسنطينة...، وقد ركب في نفس القطار أيضا المسمى مصالي الحاج، رئيس جمعية (ن ش إ) في باريس، الذي جاء من تلمسان في نفس اليوم على الساعة 18h15، في قطار وهران، ورافقه إلى المحطة كل من: مساوي رابح، زكرياء سليمان، غرافة ابراهيم، فاضل، خليفة، لحول حسين، ومجموعة تضم حوالي ثلاثين مناضلا ومتعاطفا مع (ن ش إ)، وعند انطلاق القطار هتف هؤلاء عدة مرات تحيا مصالي، تحيا النجم"[2].

1- تقرير من مدير الأمن، رقم: 5874، 1936/09/29م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: مراقبة مصـــالي، وثيقـــة مـــن صفحة واحدة.

2- تقرير من مدير الأمن، رقم: 6367، 1936/10/19م، 1f، (ANOM)، موضوعه: مراقبة مصـــالي، وثيقـــة مـــن صفحة واحدة.

وقد أشرف مصالي على تنصيب 30 خلية للحزب، وترك وراءه بعد عودته إلى باريس 31 خلية أخرى قيد التأسيس، وفي يوم 17 نوفمبر 1936م، صدر النشيد الوطني الجزائري "فداء الجزائر" الذي ألفه مفدي زكرياء[1].

قبيل عودة مصالي إلى باريس، في شهر نوفمبر 1936م، أعلن في منشور دوري للشعب الجزائري، تحدث فيه عن النتائج التي استخلصها من جولته في القطر، مثنيا على صمود الحزب، ومبينا عدالة أهدافه ومبادئه، مستنكرا سياسة الاندماج الهادفة إلى ربط الجزائر بفرنسا، مهاجما أعضاء المؤتمر الإسلامي، الذين حكم عليهم الرأي العام الجزائري بشدة، وأعلن مصالي بأن هدف الحزب يبقى دائما الاستقلال، ثم ختم بيانه، بدعوة الشبيبة الجزائرية للانتظام خلف الحزب الوطني وجيشه[2].

حددت مصالح الاستعلامات للحكومة العامة في تقريرها، الخطوط العريضة لمنظمة نجم شمال إفريقيا، الفرع المركزي في مدينة الجزائر، الذي ينتمي إليه غرافة، الذي تشمل سلطته كامل شمال إفريقيا وفرع في كل من البلديات التالية: الحراش، برج الكيفان، بوفاريك، البليدة، وهران، مستغانم، سيدي بلعباس، تلمسان، قسنطينة، عنابة، جيجل، سطيف، وهناك فروع أخرى كانت في طور التأسيس.

كان مصالي يلح على توضيح أهداف حزبه، وفي تجمع عقده بتلمسان في 04 نوفمبر 1936م، قال: "إننا نطالب بالحصول على الحريات الديمقراطية، ونريد تشكيل برلمان جزائري منتخب، عن طريق الاقتراع العام، نحن نعمل وننظر إلى المستقبل المنطقي للجزائر ليتمكن الشعب الجزائري من المشاركة في التسيير الاقتصادي والسياسي والإداري لبلده، إن الاستقلال وحده يستطيع تحقيق المساواة السياسية والعدالة الاجتماعية في الوقت نفسه"[3].

---

[1]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص293.

[2]- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص204.

[3]- محفوظ قداش: **تاريخ الحركة الوطنية**، ج1، المرجع السابق، ص628.

2. نشاطه في جمعية أحباب الأمة: مواصلة المهمة

استمر نشاط غرافة السياسي بعد عودة مصالي إلى فرنسا، وكان يلتقي يوميا مع قادة فرع الجزائر لـــ (ن ش إ)، وفي تقرير مؤرخ في 22 جانفي 1937م، من مدير الأمن لعمالة الجزائر، حول مساوي رابح، ورد ما يلي: "... لقد نزل مساوي في فندق الأسد الذهبي Lion d'Or، 02 شارع لجنينة، ويتناول أغلب وجباته في مطعم مرحبا Bienvenue، شارع الألوان الثلاث، يلتقي يوميا بمسيري (ن ش إ)، خاصة لحول حسين، وغرافة ابراهيم، في المدينة أو في كريمري قلاتي، 04 شارع فرنسا"[1].

بعد زيارة مصالي الحاج الناجحة للجزائر، خاف المعمرون وحلفاؤهم من انتشار أفكار الحزب بين الجزائريين، وأخذوا يحرضون الحكومة المركزية على الحزب وقيادته، وبسبب الانتقاد الشديد الذي لقيته الحكومة الشعبية من الحزب، وفشل المؤتمر الإسلامي، صدر قرار حكومة الجبهة الشعبية بحل (ن ش إ) في 26 جانفي 1937م، وراسل الوالي العام المحافظ ليخبره بصدور مرسوم الحل رسميا، ويطلب منه اتخاذ الإجراءات اللازمة، وتم تبليغ مسؤولي الحزب بالجزائر رسميا بمرسوم الحل، في 06 فيفري 1937م، وأمضى على المحضر كل من لحول حسين وخليفة بن عمار.

وبعد صدور قرار الحل، اجتمعت عدة فروع لتدارس الأمر، وتمتين الجبهة الداخلية، ونجد تفاصيل أحد الاجتماعات في تقرير لمدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم 500 مؤرخ في 27 جانفي 1937م: "... اجتمع حوالي خمسة عشر من مسيري (ن ش إ) في الجزائر والبليدة وميزون كاري (الحراش)، في منزل مفدي زكرياء 06 شارع بوطان، ومن بين الحضور:

خليفة بن عمار: أمين عام، لحول حسين: أمين مساعد، زكرياء سليمان: مفوض الدعاية غرافة ابراهيم: عضو مستشار، بودي صالح، وبكير بن ابراهيم من فرع البليدة، سماوي حمو من

[1] – تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 594، 1937/01/22م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: مراقبـــة (ن ش إ)، وثيقة من صفحة واحدة.

ميزون كاري (الحراش)، ونجار محمد من السانتوجين (بولوغين)، تناول الكلمة أولا زكرياء، وصرح أن مرسوما صدر بحل النجم، وعلى المجموعة أن لا تُوقف نشاطها، وعلينا انتظار التعليمات التي لن تتأخر عن الصدور من المقر الرئيسي للحزب في باريس، ويعتقد زكرياء من الآن أن هناك إمكانية لإعادة النشاط تحت تسمية أخرى، وطلب من زملائه أن يبقوا موحدين، ولا يتركوا اليأس يتسرب إلى نفوسهم، وصرح خليفة بأنه أسس خليتين، واحدة في باب الوادي، والأخرى في بلكور...، اقترح بودي صالح تسمية الجمعية الجديدة بـــ: "الهلال"، وتفرق الحضور في حوالي الساعة 10h30 بعد تناول الشاي"[1].

لقد كان قرار الحل بمثابة وضع العصي في دواليب المسيرة الوطنية للحزب ومناضليه، وكان لا بد من الالتفاف حول القرار، وإيجاد عنوان آخر للنشاط، واستمرت المسيرة باسم "جمعية أحباب الأمة"، التي كانت موجودة من قبل، وكانت دائما تساند الحزب، وتقوم بنشر الجريدة والدعاية لها[2]، يقول محمد قنانش:"لم يكن قرار الحكومة بحل النجم ليؤثر على المناضلين، ويشتت شملهم أو يبعث فيهم اليأس، بالرغم من قلتهم، بل كان درسا قاسيا وتمحيصا للنفوس، لأن الخائفين والمترددين قد اختاروا التواري عن الأنظار، وقد كان حل النجم منتظرا دائما، بسبب مواقفه الوطنية المناهضة للاستعمار، وقد وقع من قبل عدة مرات: سنة 1929م، ثم تكرر سنة 1934م و1935م، فمبادئ النجم وفلسفته بقيت راسخة في قلوب المناضلين، ولم يتغير الهدف، بل تغير الاسم فقط، وبقي الجوهر، وقد بدأ الشعب يتحرك ويتلمس طريقه نحو الخلاص، وكان لا يعترف بغير الوطنية والوطنيين"[3].

---

[1]- تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 500، 1937/01/27م،9h47، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ن ش إ)، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]- محمد قنانش: **الحركة الاستقلالية في الجزائر ما بين الحربين 1919 – 1939**، الشركة الوطنيـــة للنشـــر والتوزيـــع، الجزائر، 1982، ص78.

[3]- محمد قنانش، المرجع نفسه، ص83.

في مارس من نفس السنة، كانت خلية أحباب الأمة في الجزائر تمارس نشاطها، وفي تقرير مؤرخ في 09 مارس 1937م، من مدير الأمن لعمالة الجزائر، نجد المعلومات التالية: "يشرفني أن أخبركم بالمعلومات التي جمعتها حول فرع الجزائر لأحباب الأمة، هذه الخلية فرع للجمعية التي تحمل نفس الاسم، والتي مقرها الرئيسي في باريس. مقر هذه الخلية يقع في 15 شارع تيبيس، المحل الذي كان مقرا للجمعية المنحلة (ن ش إ)، هدفها نشر جريدة الأمة وجمع الاشتراكات لها، والعمل على استمرار صدورها، وبقائها من خلال الاكتتابات، يتكون مكتبها كالتالي:

نائب الرئيس: مزغنة أحمد، محصل في تراموای، يقيم في 26 رومبار ميدي.

الأمين العام: لحول حسين بن أحمد، 05 شارع رونو.

أمين مساعد: خليفة بن عمار، 10 شارع روندون.

أمين المال: غرافة ابراهيم بن عيسى، 23 شارع لاشارت.

هذه الجمعية تضم حوالي 100 عضو، لهم بطاقة عضوية، تسمى بطاقة تضامن لأحباب الأمة"[1].

في 15 مارس 1937م، أرسل الحاكم العام للجزائر رسالة إلى الوالي، يطلب فيها معلومات حول الأشخاص الواردة أسماؤهم في تقرير مدير الأمن لعمالة الجزائر رقم: 1444، السابق ذكره، والذين يشكلون فرع جمعية أحباب الأمة في الجزائر"[2].

نشط أحباب الأمة في بعض المدن الجزائرية، وكان نشاطهم محدودا لا يتعدى قراءة جريدة "الأمة"، ومحاولة فهم مضمونها ومحتواها، وكانوا يجمعون الاشتراكات والتبرعات لصالح الجريدة، وكانت تعوزهم ديناميكية الحزب، مما دفع مسؤولي النجم المنحل لتأسيس حزب جديد ،سرعان ما انضوت تحت لوائه لجان أحباب الأمة، وتوافد إليه مناضلو النجم[3].

[1]– تقرير مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 1444، 1937/03/09م، 4i5، (ANOM)، موضوعه: مراقبة فرع الجزائر لأحباب الأمة، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]– تقرير من الحاكم العام للجزائر، رقم: 4728، 1937/03/15م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: فرع الجزائر لأحباب الأمة، وثيقة من صفحة واحدة.

[3]– أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص219.

3. غرافة في حزب الشعب الجزائري: حزب في خدمة أمة

تأسس حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937م في باريس، وتأخر تأسيس الخلايا الأولى بالجزائر لما يقارب الثلاثة أشهر، ونجد تفسير ذلك في التضييق الأمني على الحزب في الجزائر، وفي حاجة الحزب إلى إعادة النظر في مسائل تنظيمية عديدة، بعد أن أصبح الحزب جزائريا محضا"[1].

وعقدت جمعية أحباب الأمة اجتماعين، يومي 08 و10 أفريل 1937، بمقر (ن ش إ) في 15 شارع تيبيس، وحمل الاجتماعان طابعا سريا للغاية.

تم إنشاء أول خلية من خلايا حزب الشعب، وهي خلية مهنية، في الاجتماع الذي انعقد يوم 03 جوان 1937م، ودعي إليه موظفو تراموای الجزائر.

وجهت محكمة الجزائر إتهاما ضد مجهول، في فيفري 1937م، وكانت جمعية أحباب الأمة المشتبه به الأول، وذكر تقرير لغرفة الإتهام الثانية، الذي صدر في أوت 1937م، معلومات مهمة حول نشاطات أحباب الأمة في الجزائر، والانتقال إلى العمل باسم حزب الشعب، وجاء فيه ما يلي:

تقرير حول الاتهامات الموجهة في الجزائر العاصمة ضد مجهول، بإعادة تأسيس جمعية منحلة رقم 184-158-55 بتاريخ 22 فيفري 1937م "... صدر بيان باسم أحباب الأمة، يدعو إلى الانضمام لهذه الجماعة، وموجه للشعب الجزائري المسلم، يحتج ضد حل (ن ش إ) الناطق باسم آلام هذا الشعب ومعاناته، ويعلن أن النضال سيستمر ضد الظلم والبؤس، وضد الاستعمار، ويؤكد أنه برغم كل العراقيل والتخريب والخيانات، فإن الوطنية التحريرية ستنتصر".

ويضيف كاتب التقرير: "وبعد قرار الإتهام من النيابة العامة ضد مجهول، الذي صدر في 22 فيفري 1937م، تبقى جمعية أحباب الأمة هي الوحيدة التي يمكن توجيه أصابع الإتهام لها، وتبعا

[1]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص292.

لعمليات تفتيش وتحريات، أفضت إلى أن محرر البيان هو خليفة بن عمار، وتمت طباعته بإشراف لحول حسين، وقد أنكر غرافة ابراهيم ومفدي زكرياء المنتميان إلى أحباب الأمة و(ن ش إ) سابقا مشاركتهما في تحرير البيان، واعترف غرافة ابراهيم أنه شارك في اجتماع لأحباب الأمة، تقرر فيه نشر هذا البيان.

بتاريخ 27 فيفري 1937م، أُرسلت لجان قضائية إلى باريس لإجراء تفتيشات عند مختلف قيادي الحزب المحل، التي جرت بتاريخ 15 أفريل 1937م، وبيّنت الوثائق المصادرة بعد تحليلها، أن جريدة الأمة لم تكن إلا أداة لنشر مطالب (ن ش إ)، وأن الدعاية لهذا الحزب تجري بنفس البرنامج والأشخاص.

أثارت الدعاية في الجزائر انتباه السلطات القضائية، سيما في البليدة وقالمة، وتم التبليغ عن أعمال دعائية للحزب في كل من تلمسان، فيليب فيل (سكيكدة)، قسنطينة، عين تيموشنت، معسكر... الخ.

قد أشارت مصالح الأمن العامة إلى جهود جديدة للدعاية، تميزت بتأسيس حزب الشعب الجزائري، وبإنشاء فروع له في الجزائر.

وهذا التأسيس قد تقرر بناء على تعليمات من فروع باريس، خلال اجتماع لأحباب الأمة تم في 18 ماي 1937م.

يشير تقرير للشرطة مؤرخ في 07 جوان 1937م إلى أنه لم يتم تأسيس حزب الشعب في الجزائر بشكل نهائي حتى هذا التاريخ، لكن هو ببساطة في طور الإنشاء.

وهذا الحزب يمارس نشاطا قويا حاليا، ويتخذ كهدف له تحرير الجزائر، والنضال ضد الاستعمار، ويرمي إلى بعث الوطنية الجزائرية، مع كل ما يحمله هذا المصطلح من نقد وريبة وشتيمة في حق الميتروبول (حكومة باريس)"[1].

[1]– تقرير صادر من غرفة الاتهام الثانية، د ر، غ م، 9h49، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحتين.

أما قادة الحزب الرئيسيين في الجزائر، فقد ذكرهم التقرير بأسمائهم، وكان غرافة واحدا منهم، ويضيف التقرير قائلا:

"قادة الحزب الأساسيين في الجزائر العاصمة هم: لحول الحسين، مفدي زكرياء، غرافة ابراهيم، خليفة بن عمار، مزغنة أحمد، لغواطي عبد القادر، بالأمين علي، حيث يقطنون في الجزائر العاصمة. ويجدر بنا إضافة أن مصالي الحاج، الذي عاد إلى الجزائر ليشارك، على ما يبدو، في الانتخابات البلدية للأهالي، واستقر في الجزائر العاصمة، ويواصل بجهد معتبر التنظيم والدعاية للحزب، وهو روح النضال ضد السيادة الفرنسية في الجزائر.

تمت تفتيشات جديدة في الجزائر العاصمة في 16 جويلية 1937م، طالت أيضا مصالي الحاج، وصودرت وثائق عديدة، فيها إشارات إلى تأسيس فروع لحزب الشعب الجزائري في الجزائر العاصمة، وفي العمالات الأخرى، وتؤكد الجهد المعتبر المبذول في سبيل الدعاية للحزب.

أنشئت لجان قضائية مجددا (47 لجنة) في الميتروبول والجزائر، وبعضها لم تنه أعمالها بعد.

وتجدر الإشارة، إلى أن نشاط مصالي يبدو في تصاعد، وقد نظم عدة اجتماعات في الجزائر العاصمة، وفي عدة مدن أخرى، تمت مراقبتها من طرف مصالح الأمن، وكل محاضر الاجتماعات بُلّغت إلى قاضي التحقيق، وأعلمكم أن إتهامات أخرى وجهت ضد مصالي وآخرين بالتحريض ضد السيادة الفرنسية..."[1].

أما عن تشكيلة الفروع الجديدة للحزب في الجزائر، فقد جاءت مفصلة في تقرير آخر، كتب في جويلية 1937م، وهي كما يلي: "التأسيس الحالي لفروع (ح ش ج)، وتوزيعها يتوافق مع دوائر الشرطة الجزائر:

- الدائرة الأولى (204 عضوا).

الرئيس: لحول حسين، نائب الرئيس: غرافة ابراهيم، الأمين العام: صيفاوي رشيد، الأمين المساعد: بن عادل أحمد، أمين المال العام: ماحي محمد، أمين مال مساعد: غالي أحمد.

[1] – تقرير صادر من غرفة الاتهام الثانية، المصدر نفسه.

- الدائرة الثانية: لم تؤسس بعد.
- الدائرة الثالثة: الرئيس: زكرياء ، نائب الرئيس: حاج سماعيل، سكرتير: رجاف حسين، سكرتير مساعد: عكوش أحمد، أمين المال: خيضر محمد، أمين المال مساعد: كفاش محمد".

يواصل التقرير إحصاء الفروع، حتى الدائرة الثانية عشر، ثم يذكر فرع تراموای الجزائر، وفرع السكك الحديدية، وفروع كل من: البليدة، بوفاريك، القبة، دلس، ورويبة"[1].

نلاحظ من خلال هذا التقرير، أن غرافة ابراهيم تولى مهمة نائب رئيس خلية الجزائر العاصمة، وفي تقرير آخر نجده يشغل منصب أمين المال العام لفدرالية حزب الشعب في الجزائر، بعد عودة مصالي إلى الجزائر في 20 جوان 1937م، التقرير مؤرخ في 9 ديسمبر 1937م، ومرسل من والي الجزائر إلى الحاكم العام، ويقول:

"تتكون اللجنة الفدرالية لحزب الشعب في الجزائر كالتالي:

الرئيس: مصالي الحاج.

الأمين العام: مفدي زكرياء.

أمين المال العام: غرافة ابراهيم.

الأعضاء: خليفة بن عمار، مسطول محمد، لحول حسين"[2].

ونجد في رسالة أخرى، مؤرخة في 2 ديسمبر1937م، مرسلة من مدير الأمن إلى الوالي نفس المعلومات[3].

1- تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 5307، جويلية 1937، 4i6، (ANOM)، موضوعه: تأسيس فروع (ح ش ج)، وثيقة من أربع صفحات.

2 تقرير من والي الجزائر، غ م، 1937/12/09م، 4i5، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من 6 صفحات.

3 رسالة من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم 8326، 1937/12/02،4i5، (ANOM) موضوعها مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة، [ينظر: الملحق رقم 03].

الفصل الثالث

نشاط المناضل غرافة ابراهيم

من 1937 إلى 1947

المبحث الأول: غرافة في قفص الاتهام مع قيادي حزب الشعب: الرد الاستعماري

1. عودة مصالي للجزائر: إعادة التنظيم

بعد تأسيس حزب الشعب في 11 مارس 1937م بباريس، وتأخر إنشاء الخلايا الأولى له في الجزائر، بات لزاما على زعيمه، وقلبه النابض، مصالي الحاج العودة إلى الجزائر، والإشراف بنفسه على توطيد دعائم الحزب، سيما وأنه ترك عائلته الصغيرة بالجزائر.

سافر مصالي في القطار من محطة ليون، ونزل في مرسيليا، واستقل الباخرة المسماة مدينة الجزائر يوم 18 جوان 1937م، استمرت رحلته من مرسيليا إلى الجزائر يومين، ومن ظهر الباخرة، شاهد على رصيف ميناء العاصمة زوجته وابنه علي، مصحوبين بالمناضلين مسطول محمد، وغرافة ابراهيم[1].

هذا الاستقبال الذي شارك فيه غرافة، بالإضافة إلى صديق مصالي القديم محمد مسطول، وإلى عائلة الزعيم، يدل على الثقة التي وضعها مصالي في غرافة، ويعكس مدى تطور الارتباط بينهما، حتى أضحى علاقة شخصية، وائتمانا على العائلة، وعلى مالية فرع الحزب في الجزائر، بإسناد مهمة أمين المال له، وهي وظيفة تتطلب، إضافة إلى الخبرة المالية، الأمانة والنزاهة، ولا يكلف بها إلا من يتمتع بثقة قيادة الحزب.

سرعان ما استعاد الحزب حيويته، والتف حوله التجـــّار الصغار والحرفيون، وأرسلت الدعوات إلى مصالي، وقادة الحزب في الجزائر، لحضور حفلات الزفاف والختان، ومختلف المناسبات الاجتماعية، واتّخذ الحزب هذه التجمعات منبرا شعبيا لشرح مشروعه، وبثّ الوعي الوطني والسياسي بين صفوف الجماهير العريضة، ودعوة الناس لمناصرة المشروع الاستقلالي، وقد استقطب الاسم الجديد للحزب شرائح واسعة من المجتمع الجزائري، وكان لاسم "حزب الشعب

[1] – بينيامين سطورا: **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898 – 1974**، تر: صادق عماري، مصـــطفى ماضـــي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1998م، ص165.

الجزائري" وقع مؤثر في النفوس. يقول مصالي بهذا الشأن: "إن الاسم الجديد للحزب، المقرون باسم الشعب، كان يعجب الناس كثيرا، وعندما ينطق بالعربية، يأخذ معنى واضحا جدا"[1].

تنوعت أنشطة الحزب؛ بين تجمعات ومناظرات مع المنافسين، وتعليق مناشير وملصقات، وإصدار بيانات، وبثّ دعاية عبر الصحافة، سيما جريدة الأمة، وتنظيم مظاهرات شعبية. ودخل الحزب الانتخابات البلدية في العاصمة في 27 جوان 1937م، ورشح لائحة من 12 اسما، على رأسها بعض قادته؛ كمفدي زكريا، ومسطول، ولحول، ومزغنة، وفشل فيها، ولعلّ ذلك يعود إلى أن الحزب ما يزال يخطو خطواته الأولى في الجزائر، بعد انتقاله إليها من فرنسا[2].

في هذه الفترة، اشتد الجدال بين مناضلي (ح ش ج) ومنافسيهم من الشيوعيين وأنصار جمعية العلماء، على خلفية مطالب المؤتمر الإسلامي، الذي عارضه الحزب بقوة، وتنقل لنا أحد تقارير الأمن الفرنسي هذه الأجواء من السجالات، التي وصلت حد الاشتباك، واستعمال العنف اللفظي والجسدي، ويتعلق الأمر بالتقرير رقم 777، المؤرخ في 26 جويلية 1937م، من محافظ الشرطة إلى والي الجزائر " ... في كل الأمسيات، تتشكل تجمعات للأهالي في ساحة الحكومة، ويخطب فيهم خطباء متفاوتي الموهبة، يدعون المسلمين إلى التكتل للدفاع عن قضيتهم، وتقع عادة مشادات حادة بين الشيوعيين وأنصار (ح ش ج).

في يوم السبت 24 الجاري (جويلية 1937م) على الساعة 20h20 شوهد غرافة ابراهيم، مسؤول خلية (ح ش ج) Chef de Section في ساحة الحكومة، ينتظر خروج مصالي الحاج من فندق قصر الشتاء Palais d'Hiver، وخلال هذا الانتظار، تعرض للشتم من بعض أنصار جمعية العلماء، انفعل غرافة إبراهيم وتوجه إلى محله لجلب عصا، وعاد إلى

[1]- مصالي الحاج: **مذكرات مصالي الحاج**،المصدر السابق، ص227.

[2]- أحمد الخطيب: **حزب الشعب الجزائري**، ج1، المرجع السابق، ص256.

المكان على الساعة 20h15، ثم توجه على الساعة 20h30، مرفوقا بمصالي وعدد من المتعاطفين (حوالي ثلاثين) إلى مقر الحزب بشارع لبنان"[1].

نلاحظ من خلال هذا التقرير، أن غرافة كان في قلب الجدل السياسي، حول مشروع بلوم فيوليت، فقد تعرض للشتم والاتهام من المنافسين مرارا، ولم يكن وحده يعيش هذه المواقف، فكل مناضلي الحزب ومناصريه انغمسوا في هذه المعمعة، ولم يتساهل غرافة، حسب التقرير، مع الشتائم التي كيلت له، بل راح ينافح عن أفكار الحزب وقناعاته، باللسان واليد إن تطلب الأمر، وتحدث مصالي عن هذه التجاذبات قائلا: "منذ عودتي والانتخابات البلدية، صارت الجزائر العاصمة حسب قول المناضلين، خلية نحل يتحرك فيها كل الناس، كل حركة سياسية كانت تدافع عن عملها، كان محبونا يخبروننا بالصعوبات التي تعترضهم في الجواب على خصومهم، الذين كانوا يدخلونهم في المناقشات الدينية، ويبرزون شخصيات قيادة جمعية العلماء ومنتخبي الشيوعيين، وكانوا يتهربون من المشاكل السياسية، ليتفرغوا لمسائل شخصية".

ثم يضيف قائلا: "إن الشيء المهم قبل كل شيء، هو الاختيار بين سياسة الفرنسة، التي يتضمنها مشروع فيوليت، والكفاح من أجل الحريات، وانعتاق شعبنا، واستقلال الجزائر، ألا يكون مصالي الحاج عالما أو ثريا أو خطيبا كبيرا، وأن ينتمي إلى عائلة بسيطة وريفية، فإن هذا لا يخصه إلا هو، وإن هذا لا يدخل البتة في الخلاف السياسي، الذي نتعارض من أجله"[2].

كان غرافة، كعادته في الزيارة الأولى لمصالي، ملازما للزعيم في أغلب نشاطاته اليومية في الجزائر العاصمة، وترك أعماله وتجارته لمرافقة مصالي في تنقلاته في مدينة الجزائر، وكان لا يسافر معه إلى خارج العاصمة عادة، وقد وصف في ثنايا التقرير بأنه مسؤول خلية لـــ (ح ش ج)، وهو ما لم نستطع التأكد منه من مصادر أخرى.

---

[1]- تقرير من محافظ الشرطة، رقم: 777، 26 جويلية 1937م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: **مراقبة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص229.

2. مشاركته في مظاهرة 14 جويلية 1937م: إثبات وجود الحزب

إن تنظيم المظاهرات الشعبية، ورفع الأعلام الحزبية، وترديد هتافات حماسية، نمط جديد في النضال السياسي والنقابي، لم يألفه الجزائريون، وقد تعلموه بعد احتكاكهم بالأمم الأوروبية، بعد الهجرة الكثيفة إلى فرنسا، عقب الحرب العالمية الأولى، واستعمله المهاجرون في نضالهم النقابي، وفطنوا إلى تأثيره السياسي والاجتماعي، وقيمته المعنوية.

كان (ح ش ج) يلجأ إلى أسلوب المظاهرات، لطابعه الجماهيري التعبوي، على ما فيه من صعوبة الاستعمال، وما ينطوي عليه من الخطر، في حالات غير قليلة، فالمظاهرات بحاجة إلى حسن التنظيم والجرأة، لأن فيها خطر السجن والاعتداء الجسدي، والموت أيضا في المواجهة، التي قد تندلع أثناءها أو في السجن بعدها، ولكن المظاهرة إذا نجحت بكثرة المشاركين فيها، كانت عظيمة الفائدة للحزب، ودليلا على صواب خطه، وعلى انتشار مذهبه، وتزايد شعبيته، وسهما في صدر الخصوم والأعداء من الإصلاحيين، والسلطة الاستعمارية[1].

في 10 جويلية 1937م، علم مصالي أن الحزب الشيوعي الجزائري يحضر نفسه لتنظيم مهرجان، بمناسبة 14 جويلية باسم الجبهة الشعبية، بلغه هذا الخبر وهو جالس مع رفقائه بمقهى قريب من المسجد الكبير، حينئذ قرر المشاركة في هذه المظاهرة، وحرر مصالي منشورا، وسلمه لـــغرافة إبراهيم، الذي أسرع عاجلا إلى المطبعة العربية الصغيرة، لصاحبها الشيخ أبي اليقضان، الكائنة في شارع ريفيقو، وحتى لا تفوت الفرصة الثمينة لاختبار شعبية الحزب، ولإثبات الذات، كان لابد من الإسراع في تحضير المظاهرة[2].

وقد ظهر الحزب بقوة في هذه المظاهرة، وأثبت شعبيته، رغم الانتكاسة التي منـــي بها في الانتخابات البلدية في 27 جوان 1937م.

تجمع المتظاهرون في بلكور، حيث تتكون المواكب قبل الانطلاق إلى ساحة الحكومة، قررت قيادة الحزب أن تكون مشاركتها في هذه التظاهرة بموكب خاص، تحت عنوان

---

[1]- صالح بلحاج: **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910 – 1939**، بن مـــرابط، قســـنطينة، الجزائـــر، 2015م، ص522.

[2]- بينيامين سطورا، المرجع السابق، ص169.

(ح ش ج) وأعلامه وأناشيده الوطنية، وهتافاته المتميزة عن المتظاهرين الآخرين، تحت شعار "الديموقراطية، والبرلمان الجزائري"[1].

يقول مصالي: "وكان رجالنا المكلفون بتسيير المظاهرة يؤطرون الموكب بكيفية خفية، وكنت على رأس الموكب مع قادة (ح ش ج)، ويوجد بقربي كل من زكريا، غرافة، مسطول، لحول، خليفة، وآخرون"[2]. ولقي موكب الحزب استجابة كبيرة من الجماهير، وصفق له الجمهور بحرارة.

ورفع جمهور الحزب علمَين؛ الأول كله أخضر، وهو علم الإسلام، والثاني العلم الجزائري أخضر وأبيض وفيه الهلال والنجمة باللون الأحمر، وكان يحمله رجل اسمه عبد الرحمان، وهو عامل بسيط، وسائق طاكسي.

هنا نجد غرافة في واجهة موكب حزب الشعب، مع القادة الآخرين، يتحدى الاستعمار والخصوم، ويهتف مع الهاتفين، حينما بلغ الموكب مبنى العمالة: "يسقط قانون الأهالي وقوانين الاستثناء. تحيا الديموقراطية وانعتاق الشعب الجزائري". وكان الجزائريون والجزائريات يقبلون العلم الوطني، ويبعثون هتافات الفرح والزغاريد. إن أخبار المظاهرة قد انتشرت في أرجاء المدينة. ولهذا كان الناس يصِلون من أعالي المدينة، ومن القصبة، فعند رؤية العلم كانت الدموع في أعين الجزائريين، وإن نشيد (ح ش ج) "فداء الجزائر"، الذي كان يكرر طول المسافة.

عندما وصل الحشد أمام غرفة التجارة، هتفت الجماهير: "الأرض للفلاحين"، وأمام قصر المفوضيات المالية، تعالت هتافات تنادي: "يجب الحل".

فلما وصلت المظاهرة إلى ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا)، رفعت مجموعة مصالي الحاج، من بعض الرجال الأقوياء من الحزب، على أكتافهم، وهتف بصوت عال: "احترموا الإسلام"، ثم أضاف: "البارحة كان انتصار 02 أوت 1936م، حيث طالبنا بالاستقلال، واليوم

[1]- محمد قنانش: **الحركة الاستقلالية في الجزائر**، المصدر السابق، ص91.

[2]- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص230.

قمنا بمظاهرة كبيرة، وعلى رأس الموكب العلم الوطني الجزائري، إن هذا الانتصار عظيم، وخطوة كبيرة إلى الأمام، فلنشكر كل الجزائريين والجزائريات والله يحفظنا".

"لم يتم شيء يشبه هذا في الجزائر العاصمة إلى غاية اليوم، وبالفعل فإن الصحافة الاستعمارية لم تغفل أن تشير إلى ذلك، وهاجت وتمادت في قولها، إلى أن طلبت من السلطة المركزية أن تقوم مباشرة بالاضطهاد، وذلك بالقيام بتوقيفات، وتحدث عنها الجزائريون والجزائريات في المدن والأرياف مدة طويلة"[1]، ونشرت جريدة الأمة التابعة لـــ (ح ش ج) في يوم 01 أوت 1937م على صفحتها الأولى، صورة للمظاهرة، ومقالا عنوانه "مظاهرة تاريخية عظيمة".

يقول مفدي زكريا، متحدثا عن هذه التظاهرة: "وإذ قلنا: إن الجزائر لم تشهد تاريخ حياتها منظرا كهذا أبدا، إلا في عهد (ح ش ج)، فنحن نفتخر بهذا القول ونباهي بـــ (ح ش ج)، الذي نفخ بوق الوطنية نفخته الأولى، فلبته الأرواح والمهج، وافتدته الجوارح والنفوس، ولقد كنا نشاهد قبل اليوم بالجزائر جموعا كهذه، ولكن للأحزاب الأجنبية؛ من شيوعيين وفاشيست، أين كان المسلمون ينادون معهم: "السوفييت في كل مكان"، ثم يضيف قائلا: "أما اليوم فإن (ح ش ج) علـــّم أبناء الشعب، أن لا يتكلوا إلا على أنفسهم، وأن لا يعملوا إلاّ في مجموعتهم، وأن لا يترنموا إلا بنشيدهم، ولا يشيدوا إلا بوطنيتهم، وأن لا يطالبوا إلا بتحرير بلادهم، وذلك فأنت تسمع هذه الجموع تنادي وهي تخترق الأنهج الجزائرية الكبرى: "احترموا الإسلام، اجعلوا العربية رسمية للبلاد، أرجعوا الأوقاف والأحباس، حرّروا المساجد، أعطونا المدارس العربية، مكنوا الفلاحين في الأرض، ليسقط قانون الأنديجينا، نريد برلمانا جزائريا، ليسقط مشروع فيوليت، وسياسة الاندماج، الإسلام ديننا، الجزائر بلادنا، العربية لغتنا، خلقنا أحرارا يجب أن نعيش أحرارا"[2].

[1]- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص231.

[2]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص344.

3. إلقاء القبض على غرافة ضمن قيادة حزب الشعب الجزائري في الجزائر: ثمن الحرية

إن نشاط (ح ش ج) المتزايد، والجماهرية التي اكتسبها منذ وصول مصالي للجزائر، قد لفتتا أنظار الإدارة الاستعمارية المتربصة، فعملت على توجيه الاتهام إلى قيادة الحزب، لشلّ تحركاته، والحدّ من انتشار آرائه. وهيأت في دوائرها الأمنية تهما، تؤدي لإدانة قادة الحزب الفاعلين، ولا شك أنها لاحظت أن مركز ثقل الحزب قد انتقل إلى الجزائر، ومنح تأثيرا أكثر إلى اللجنة المديرة لفدرالية مدينة الجزائر، التي ينتمي إليها غرافة ابراهيم، وذلك ابتداء من جوان 1937م، ولم يكن في وارد السلطة الاستعمارية، أن تقبل بوجود حزب جزائري مستقل في سياسته، ويطالب باستقلال الجزائر، وانتخاب برلمان جزائري عن طريق الاقتراع العام.

تهاطلت على مكتب الوالي العام تقارير الشرطة السرية، ترصد تحركات قيادة حزب الشعب ومناضليه في مدينة الجزائر، وباقي العمالات، وقد عقد الحزب عدة تجمعات شعبية، استقطبت الأنصار، مثل الاجتماع الذي وقع بقاعة سينما ديامون (Diamant) في 30 جولية 1937م[1]، وتجمع بسينما لابارل (La Perle) في 25 جويلية، وتجمع آخر بدلس يوم 05 أوت، إضافة إلى مشاركته المشهودة في مظاهرات 14 جويلية. وبناء على مخاوف جدية، أرسل الوالي العام عدة رسائل إلى السلطات المركزية في باريس، يحذرها من خطر نشاطات حزب الشعب على الوجود الفرنسي في الجزائر، ويطلب المباشرة بإجراءات المتابعة القضائية بحق قادة الحزب، وفي 12 أوت 1937م أرسل رسالة إلى رئيس المجلس، يستعرض فيها الخريطة السياسية في الجزائر، ويعتبر أن أربع تنظيمات؛ وهي (ح ش ج)، وجمعية العلماء، والحزب الشيوعي، وفدرالية المنتخبين، قد مارست نشاطات مضادة للمصلحة الفرنسية، ويحذر من استفحال خطر هذه الأعمال، وإذا لم تتخذ السلطة المركزية، والسلطات الفرنسية في الجزائر، التدابير اللازمة ضد هذه الدعاية، التي يمارسها المتطرفون ضد فرنسا، فإن تفاقم هذا التضامن الإسلامي، المتزامن مع عودة الثعالبي إلى تونس، سيسبب، دون شك، في خيبات أمل خطيرة للإدارة الفرنسية خلال الشهور القادمة. وطالب منه ضرورة الشروع، على وجه السرعة، في متابعة مصالي ورفاقه بتهمة

[1] – أحمد الخطيب: **حزب الشعب الجزائري**، ج1، المرجع السابق، ص158.

المساس بالسيادة الفرنسية، وطالب بوضع حد للدعاية الإجرامية لمصالي ولرفاقه، من خلال إنزال عقوبات صارمة ورادعة في حقهم، وينبغي أن يعرف الجميع، أن الحكومة الفرنسية تعارض بقوة أي عمل يتستر تحت غطاء دعاية دينية أو اجتماعية، ويهدف إلى طرد فرنسا من شمال إفريقيا[1].

وبعد شهرين وبضعة أيام من عودة مصالي، وفي يوم 27 أوت 1937م تم إلقاء القبض على قيادة الحزب، وبعث النائب العام لدى محكمة الاستئناف للجزائر العاصمة بهذه المناسبة رسالة، مؤرخة بـــ 27 أوت 1937م، إلى السيد حافظ الأختام، يخبره بتوقيف غرافة ورفاقه "استجابة لأوامركم التي أصدرتموها إلينا هاتفيا وتلغرافيا، يشرفني أن أعلمكم أنّ المحرضين من (ح ش ج): مصالي الحاج، مفدي زكريا، غرافة إبراهيم، مسطول محمد، خليفة بن عمار، لحول حسين، قد تم القبض عليهم، بأمر من قاضي التحقيق للجزائر العاصمة، وتم إيقافهم دون أي حوادث تذكر، وتطبيقا لأوامركم، فقد نسقت مع الحاكم العام، وكل الإجراءات اتخذت للحفاظ على الأمن، وحتى اللحظة، لا يبدو أن هذه التوقيفات قد أحدثت أي رد فعل في الأوساط الأهلية للجزائر العاصمة"[2]. ويبدو أن السلطات السياسية والأمنية، كانت تخشى أن تولد هذه التوقيفات ردود فعل شعبية، واتخذت كل الاحتياطات الأمنية ترقبا لأي طارئ. ونشرت جريدة الشعب في عددها الثاني مجريات عملية اعتقال قادة (ح ش ج)، وجاء في المقال ما يلي: "وفي يوم الجمعة 27 أوت على الساعة السابعة صباحا، كانت جنود الاستعمار متهيئة لاعتقال رجال حزب الشعب، الذين كان ذنبهم الوحيد، أنهم جهروا بما يضمره كل بشر، و لم تكد شمس هذا اليوم تنشر أشعتها على البسيطة، حتى كانت سيارة السجن يحوط بها جمع من البوليس، تقل شاعر الوطنية مفدي زكريا، متجهة إلى منزل الأسد الهصور ... الزعيم مصالي الحاج، فهبط من منزله يصحبه ابنه، ... فركب الزعيم السيارة المعدة للقتلة والمجرمين، ...وذهبوا بهم إلى بربروس".

[1]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 386.

[2]- تقرير من النائب العام لدى محكمة الاستئناف للجزائر العاصمة، د ر، 27 أوت 1937م، 1f، (ANOM) موضوعه: **توقيف قادة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

يردف كاتب التقرير قائلا: "ثم عادوا إلى المركز، فاعتقلوا الأخ مسطول محمد، وغرافة ابراهيم، وخليفة بن عمار، وألحقوا بهم بعد ذلك الأخ لحول حسين... وقد مضى عليهم أكثر من شهر وهم في غياهب السجن مع المجرمين والخائنين، يحوط بهم الوباء والأمراض الفتاكة، وتقلق راحتهم الحشرات المختلفة الأسماء والألوان"[1].

لقد تم اعتقال غرافة مع مسطول وخليفة في مقر الحزب، ويبدو أنهم سمعوا باعتقال مفدي ومصالي، فاجتمعوا للتباحث في الأمر، ولم تمنحهم مصالح الأمن وقتا ليتشاوروا، ويقدروا الموقف، وسرعان ما ألحقتهم بزملائهم.

يتساءل مصالي في مذكراته عن سر اختيار هذا التاريخ بالذات، ويقول: "لماذا هذا التاريخ؟ عندما نتناول بالدراسة أنشطة المؤتمر الإسلامي بين جوان 1936م وأوت 1937م، فقد نجد لدينا الكثير من العناصر، لنستخلص أن الاستعمار قد استعمل ورقة التفرقة كاملة بين (ح ش ج) والمؤتمر الإسلامي الجزائري، وكانوا يعتقدون في الدوائر العليا للإدارة الجزائرية والباريسية، أن العلماء بمساعدة الشيوعيين سيتوصلون إلى القضاء علينا، وكانوا يتخيلونهم قادرين على تحطيم (ح ش ج)، واستقطاب الثلاثة أرباع من قادتنا ومناضلينا إليهم"[2].

بعد نحو شهرين من اعتقالهم، وفي يوم 21 أكتوبر 1937م، أرسل محافظ الجزائر إلى العماد قائد الفيلق 19 قيادة الأركان (المكتب الثاني)، رسالة رقمها: 9776، يخبره بإدراج غرافة ابراهيم، والمعتقلين الخمسة الآخرين من (ح ش ج) في الدفتر B[3] الخاص بمحافظته[4].

---

[1]- محمد قنانش، المرجع السابق، ص141.

[2]- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص233

[3]- الدفتر "B" يحتوي على المعلومات المتعلقة بأشخاص ثبت الاشتباه بأمرهم، من ناحية الدفاع الوطني، والذين يتوجب اتخاذ تدابير صارمة اتجاههم، في حالة نشوب حرب، أو حدوث عصيان مسلح. هذا الدفتر يتكون أساسا من أجزاء قابلة للانتقال، لتتبع المشبوهين في جميع تنقلاتهم، بالإضافة إلى وثائق معلومات في خمس نسخ. هذا الدفتر كان خاضعا لتسيير مركزي في وزارة الدفاع (الأوامر الوزارية ليوم 01 نوفمبر 1912م، يومي 10 و15 فيفري 1922م). وقد تمّ إلغاء هذا الدفتر، واستبداله في جوان 1942م بالقائمة "S". [ينظر: صالح بن ادريسو: **مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية**، المرجع السابق، ص62].

[4]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص416، [ينظر الملحق رقم 06].

المبحث الثاني: غرافة في السجن: من السجن الكبير إلى السجن الضيق

1. المحاكمة: يوم المرافعة عن الحرية

بعد شهرين وبضع أيام من توقيفهم، وفي 02 نوفمبر 1937م، تمت محاكمة قادة حزب الشعب في الجزائر، ومن ضمنهم غرافة ابراهيم، أمام محكمة الجنح لمدينة الجزائر، وكانت حدثا تاريخيا متميزا لم يسبق له مثيل في تاريخ الجزائر المعاصر، وتوافد الناس لمشاهدة وقائع المحاكمة، ومؤازرة قادة الحزب، يقول مصالي الحاج: "في يوم محاكمتنا كانت الحراسة مشددة على قصر العدالة في الجزائر العاصمة، إن القاعة كانت مملوءة وبنسبة كبيرة بالشرطة المدنية، كنا خمسة في مقعد الاتهام: لحول حسين، مفدي زكريا، غرافة إبراهيم، وأنا شخصيا، إن الأستاذ بيرتون الذي لم يعد شيوعيا، وإنما صار اشتراكيا، هو الذي تولى مهمة لدفاع عنا... كان أهلنا هنا وأنظارهم لا تفارقنا"[1].

وصف تقرير لمدير الأمن لعمالة الجزائر مؤرخ في 03 نوفمبر 1937م وقائع المحاكمة[2]، وجاء فيه: "يشرفني أن أعلمكم بأن محاكمة قادة (ح ش ج) المتهمين بإعادة تأسيس جمعية منحلة، والمساس السيادة الفرنسية[3]، قد جرت أمس 02 نوفمبر 1937م أمام محكمة الجنح للجزائر العاصمة.

جلس في قفص الاتهام المتهمون: مصالي الحاج، مفدي زكريا، غرافة إبراهيم، خليفة بن عمار، ولحول الحسين. دافع عن المتهمين الأستاذ بيرتون (Berthon) محامي محكمة الاستئناف بباريس، والأساتذة من سلك المحاماة بالجزائر ديرولاد (Déroulède)، وحدو (Haddou)، وسيرنا (Serna)، بدأت المداولات على الساعة 8h15، بحضور جمهور غفير نصفه من الأهالي.

---

[1] – مصالي الحاج، المصدر السابق، ص240.

[2] – يُنظر صورة للمعتقلين في قفص الاتهام، نشرتها جريدة إيكودالجي يوم 03 نوفمبر 1937م في الملحق رقم 07، وصورة أخرى نشرتها جريدة الأمة، عدد ديسمبر 1937م، في الملحق رقم 08.

[3] – ينظر لائحة التهم الموجهة لغرافة ورفاقه، في الملحق رقم 04.

قدم السيد بيرتون استنتاجات، وطلب من المحكمة اعتبار جنحة إعادة تأسيس جمعية منحلة جنحة سياسية، وبالتالي يحق للمتهمين الاستفادة من نظام السجن السياسي، وتلى مصالي تصريحا جاء فيه أن (ح ش ج) لا يهدف بتاتا إلى إلقاء الفرنسيين في البحر، ولكن يطلب التحرير في إطار المساواة والسيادة الفرنسية للمسلمين، ونفى أن يكون عميلا لهتلر أو موسوليني.

بعد استجواب المتهمين، توقفت المداولات على الساعة 12h10، وعلى الساعة 14h15 استُؤنفت المحاكمة، وتم سماع خمسة شهود للاتهام وأربعة شهود للدفاع".

يستمر التقرير في سرد وقائع المحاكمة: "اهتمت الوزارة العامة بإثبات أن نشاط أحباب الأمة وبعده (ح ش ج) ليس إلا استمرارية لـــــــ (ن ج إ)، الذي ينهج نفس السياسة والأهداف من سنة 1922م، سنة تأسيس الجمعية المنحلة... وعرضت وقائع محسوبة على المتهمين تمس بالسيادة الفرنسية... وبسط السيد بيرتون نظرته الشخصية لانعتاق الشعوب الأدنى، وقال أن محضر الشرطة يضمّ تقارير لا تعكس الحقيقة، وهي عادة كاذبة، ورأى بأن اتهام مصالي وأصدقاءه هو قضية ملفقة من الحكومة العامة. وأوجز السيد ديرولاد كلامه تعقيبا على مداخلة السيد بيرتون، ...وختم النقاش على الساعة 19h50، وأعلن الرئيس أن الحكم سيصدر غدا على الساعة 14h30، وكان الجوّ هادئا جدا خلال المناقشات، ولم تسجل أي حوادث، لا في قاعة المداولات، ولا في جوار قصر العدالة"[1].

رافع عن غرافة إبراهيم كل من الأساتذة المحامين: بيرتون وديرولاد وحدو[2]، يقول مصالي الحاج بشأن هذه المحاكمة: "كنا نحس بخطورة الوضعية، فهذه المرة الأولى التي يقف فيها

[1]– تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقـــم: 7476، 03 نـــوفمبر 1937م، 1f، (ANOM)، موضـــوعه: **وقـــائع المحاكمة**، وثيقة من صفحتين.

[2]– نسخة من سجل محكمة الجزائر، رقم: 4863، 04 نوفمبر 1937م، 1f، (ANOM)، موضوعه: **المحاكمة**، وثيقة من صفحتين.

الوطنيون أمام محكمة الجزائر العاصمة، لأنهم صرحوا عاليا، وطالبوا علنا بانعتاق الشعب الجزائري واستقلاله"[1].

في يوم الخميس 04 نوفمبر 1937م، على الساعة 14h45، أصدرت المحكمة حكمها في قضية (ح ش ج)، وتلى رئيس المحكمة نصّ الحكم على المتهمين، وحُكم على مصالي، ومفدي زكريا، والأحول حسين، وخليفة بن عمار، وموساوي رابح، بعامين سجنا، وعلى غرافة إبراهيم، وابن الأمين علي بسنة واحدة سجنا، مع حرمانهم من الحقوق المدنية، والوطنية، والسياسية.

إن هذه المحاكمة المشهودة تعكس حجم الترهيب الاستعماري، وإن كانت في ظاهرها تناقش نشاطات رجال وطنيين وأعمالهم، آمنوا بحق شعبهم في المساواة والعدالة، فإنها في جوهرها تحاكم النظام الاستعماري، وتفضح ادعاءاته بالتنوير واحترام الحرية، فباسم القانون تدين فرنسا الاستعمارية مناضلين جزائريين رفضوا أن تبقى بلادهم مقاطعة فرنسية.

كان غرافة كما أظهرته الصور التي نشرتها الصحف غداة المحاكمة، جالسا بين زملائه هادئا، ومتحديـــّا ممثلي الاستعمار، بنظرة كلها ثبات وأنفة وثقة في النفس، وعند صدور الحكم حافظ المتهمون على هدوئهم، ولسان حالهم يقول: اليوم انكشف زيف الدعاية الاستعمارية، وفهم الشعب أن هذا الاستعمار يرفض منحه الحد الأدنى من حقوقه. ووصفت جريدة النجاح التونسية موقف المحكوم عليهم عند صدور الحكم بقولها: "و لم يضطرب المحكوم عليهم عند النطق بنص الحكم، بل بقوا يستمعون تفاصيل الحكم بمزيد التمعن والتنبه، بل شوهدت ابتسامة شاردة من شفاههم عند النطق بالحكم"[2].

[1]- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص241.

[2]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص423.

2. ردود الفعل على اعتقال ومحاكمة قادة (ح ش ج): الغضب في صفوف الأنصار

بدأت الاحتجاجات في صفوف أنصار (ح ش ج) من اليوم الأول لاعتقال قادة الحزب، وأرسلت السيدة مصالي برقيات احتجاج على اعتقال زوجها، إلى كل من وزارة الداخلية بباريس، ومقر (ح ش ج) بباريس، وقسنطينة، ووهران، وإلى راجف بلقاسم، وعيماش عمار بباريس، وتهاطلت بعد ذلك برقيات الاحتجاج من كل حدب وصوب على الولاية العامة بالجزائر، وعلى الحكومة الفرنسية بباريس، ممضاة وغير ممضاة، من أفراد وجماعات من الجزائر وخارجها.

كان كحال أرزقي الذي جاء من باريس يقود تحركات (ح ش ج) لمناصرة القادة المعتقلين ودعمهم، وتكفل الحزب بإرسال طعام خاص إليهم في سجنهم، وتولى مهمة السهر على احتياجات عائلاتهم، وعمل على توكيل محامين أكفاء للدفاع عنهم، ولتغطية هذه المصاريف المستجدة نظم مسؤولو الحزب غير المعتقلين عملية اكتتاب في عمالات الجزائر الثلاث، وعبر مختلف الفروع الموزعة عبر التراب الوطني، واستطاعوا جمع ما يقارب 12 ألف فرنك في أواخر سبتمبر[1].

قامت حركة احتجاجات عمت أرجاء الوطن، وعقد الحزب اجتماعات، ووزع منشورات وبيانات تندد باعتقال قياديه والحكم الجائر عليهم، وتتهم الإمبريالية الفرنسية بخنق الحريات في الجزائر، وممارسة أبشع أنواع القهر في حق الشعب الجزائري، وتعلن التضامن التام مع المعتقلين، وجاء في أحد البيانات التي أصدرتها فدرالية الجزائر: "قامت الإمبريالية الفرنسية، وبحركة مفاجئة مرة أخرى، بانتزاع سبعة من خيرة قياديي (ح ش ج) لتضعهم في بربروس، وبعد اعتقال ومحاكمة تعسفيان لمصالي، زكريا لحول، بلامين، غرافة، ميساوي، معروف، برزوق، ظهرت الإمبريالية الفرنسية مرة أخرى بوجهها القبيح، وبيدها الملطخة بالدماء من الأحداث الأخيرة في بسكرة، محاولة كرّة أخرى أن تخنق حركتنا التحررية، وأوقفت كحال، قنانش، عبد الله، لخضر، جلول، فيلالي، بوجريدة".

[1] – المرجع نفسه، ص394.

ثم يضيف البيان "أيها الشعب الجزائري إن هذه الموجة من القمع تشمل كل الشمال الإفريقي، ويُحشد المدافعين عنك في سجن بربروس، ولم يكتفِ ممثلو الشعب المفترضين باللامبالاة، بل هنؤوا أيضا (المستبد) سارو، صانع كل هذه الآلام بسياسته في الجزائر، وهو يعمل دون خجل على إدماجك... أيها الشعب الجزائري: ردا على القمع الوحشي للإمبريالية الفرنسية، ولإحباط الأعمال المضادة لتقاليدك النبيلة، ومبادئك المقدسة الصادرة من هؤلاء المدافعين المفترضين عنك، التف حول (ح ش ج) وحول عقيدته وبرنامجه"[1].

عبرت شبيبة المؤتمر، رغم خلافها مع (ح ش ج) عن احتجاجها من الاعتقالات الأولى للقادة الوطنيين، واحتجت جريدة لاديفانس على الإجراءات الظالمة المسلطة على (ح ش ج) في شخص قادته، وكتبت: "إن هذا الجور والظلم يدفعنا بقوة، رغم الخلافات التي تفرقنا، إلى الوقوف دون تحفظ إلى جانب حزب الشعب الجزائري، للكفاح معا ضد وسائل القمع الذميمة".

ندد منشور لحزب الشعب أعادت نشره جريدة لاديفونس في 12 جوان 1938م بالاعتقال والحكم بهذه العبارات القوية: "إن مصالي، الذي كان دائما في طليعة الكفاح، ضد الفاشية وضد الإمبريالية، قد خانه أصدقاؤه من الجبهة الشعبية، وقد قام، بعد حل النجم، بإنشاء حزب الشعب الجزائري، الذي بقي، رغم خيانة أصدقاء الأمس، مناهضا للفاشية والإمبريالية، وها هي عقوبة عامين سجنا تأتي عقابا على ما يسمى إعادة جمعية، عيبها الوحيد مناهضتها الصارمة للاستعمار... يسقط مرسوم ريني. يسقط قانون الأهالي"[2].

دعا الحزب التجار إلى إغلاق محلاتهم يوم: 20 نوفمبر 1937م لمدة ساعة، من الحادية عشر الى الثانية عشر نهارا، احتجاجا على القمع المتواصل في الجزائر والمغرب، ورغم تدخل الشرطة بالقوة لمنع التجار من إغلاق المحلات، سجل الإضراب نجاحا ظاهرا، خاصة في

[1]- بيان صادر من (ح ش ج)، د ر، غ م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: **اعتقال قادة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص717.

العاصمة، وفي بوفاريك، وبنسب متفاوتة في مناطق أخرى من البلاد، في قسنطينة، وعنابة، ودلس، وتلمسان.

نظمت تجمعات كثيرة بالجزائر، منها تجمع في أواخر أوت 1937م، في مقر الحزب بشارع تيبيس بالعاصمة، وتجمعات أخرى للاحتجاج على اعتقال القادة بتلمسان، وقالمة.

كتب نائب مسؤول الأمن في عمالة الجزائر، إلى السيد الوالي تقريرا جاء فيه: "يشرفني أن أعلمكم أنه قد تم تعليق وإلصاق ملصقات صغيرة قياس 6×4 سنتيم، تحمل كتابات باليد على الجدران، وفي المراحيض العامة في ساحة الحكومة، وشارع البحرية، مكتوب عليها "نحن (ح ش ج) حَرِروا مصالي، زكريا، غرافة، حسين، مسطول، خليفة"[1].

طبع الحزب بطاقات تضامن مع المعتقلين، وكتب مدير الأمن بشأن هذه البطاقات تقريرا إلى الوالي مضمونه: "يشرفني أن أعلمكم أن (ح ش ج) وضع بطاقات تضامن للبيع سرا، بسعر واحد فرنك، منشورة من طرف جريدة الأمة، فيها صور مصالي الحاج، برزوق، غرافة ابراهيم، لحول حسين، ابن مصالي، بنت زكريا، خليفة بن عمار، معروف، مساوي رابح، ومفدي زكرياء. رافق الصور نص باللغة العربية والفرنسية مضمونه: ماذا فعلت لهؤلاء الأطفال؟ أباءهم سجنوا من أجلك، ساعدهم، وادعمهم"[2]، وفي النص العربي نجد العبارة التالية: أيها الشعب الجزائري ماذا فعلت لأبناء المسجونين وزوجاتهم الذين حبسوا لأجلك، وعذبوا لقيامهم بالدفاع عنك، والنضال عن حقوقك، فالواجب يقضي عليك أن تمد لهم يد الإعانة، وأن تقيهم شر الفاقة والجوع[3].

---

[1]- تقرير من نائب مسؤول الأمن في عمالة الجزائر، رقم: 6034، 03 سبتمبر 1937م، 4i4 ،(ANOM)، موضوعه: **مراقبة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]- تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 561،غ م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: **مراقبة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

[3]- ينظر الملحق رقم 09.

3. غرافة وزملائه في السجن: التنكيل الاستعماري

طبق على مصالي ورفاقه، منذ وصولهم إلى سجن بربروس، نظام سجناء القانون العام، يقول مصالي متحدثا عن الأيام الأولى للسجن: "قد تم عزلنا، ووضعنا في النظام السرّي مدة"، مرتين خمسة أيام "حسب تعبير المحكمة إن هذا النظام كان قاسيا جدا، إنه يعزلنا عن رفاقنا، وكذلك عن أهلنا، ومحامينا، والسجناء والآخرين، كما أنه يمنعنا كذلك من التجول في ساحة السجن، يظنون أنهم بهذه الكيفية يجعلوننا نشك في مهمتنا وفي واجبنا"[1].

احتجاجا على هذا التعسف، أشعر مصالي محاميه وأصدقاءه الفرنسيين في الجبهة الشعبية، وكتب إلى الحكومة. ولما لم تسفر كل هذه المساعي عن شيء تشاور مع رفاقه، واقترح عليهم تنظيم إضراب عن الطعام، وبدأوا إضرابهم في الفاتح من أكتوبر، وكانوا يشربون الماء فقط.

كتب مدير السجن للجزائر العاصمة رسالة إلى الوالي، مؤرخة في 01 أكتوبر 1937م، "عبر الرسالة التي يشرفني أن أرسلها لكم طيه، يعلن المسمون: مصالي الحاج، غرافة إبراهيم، مسطول محمد، خليفة بن عمار، لحول الحسين، معروف بومدين، برزوق مصطفى، المسجونين بتهمة إعادة تأسيس جمعية منحلة، والتحريض ضد السيادة الفرنسية، أنهم قرروا الدخول في إضراب عن الطعام، للحصول على نظام السجن السياسي، وقد أرسل بعضهم طلب نظام السجن السياسي: مصالي، وغرافة، وخليفة، ولحول، ومسطول، ورفضتم طلبهم عبر الرسائل المؤرخة في 8 و16 و28 سبتمبر المنصرم، ورغم النصائح التي قدمت لهم، فإن المسجونين أصروا وأضربوا عن الطعام، ابتداء من صبيحة هذا اليوم، وأكون ممنونا لكم سيدي الوالي، وأرجوا أن تعلموا السيد الحاكم العام، مديرية الأمن العام، المصلحة العقابية والتربية المحروسة"[2].

---

[1]- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص234.

[2]- تقرير مدير السجن للجزائر العاصمة، رقم: 2176، 01 أكتوبر 1937م، 1f، (ANOM)، موضوعه: **إضراب المعتقلين عن الطعام**، وثيقة من صفحة واحدة.

في رسالة أخرى من مدير السجن إلى الوالي، مؤرخة في 07 أكتوبر 1937م، يعرض فيها نتائج الفحص الطبي للمضربين عن الطعام، الذين تم يوم الخميس 07 أكتوبر 1937م، ورد فيها ما يلي: "المساجين حالتهم مستقرة عموما، يحتمل نقل مصالي وبرزوق إلى المصحة"[1].

في يوم 09 أكتوبر أوقفوا إضرابهم، بعد الاستجابة لطلبهم جزئيا، أرسل مدير السجن إلى الوالي رسالة مؤرخة في 09 أكتوبر 1937م، تحوي تقريرا طبيا حول المساجين، الذين بدؤوا في تناول الأغذية السائلة، مثل الحليب والحساء، وحالتهم الصحية على العموم حسنة، وقد تم تبليغهم أنهم سيمثلون أمام محكمة الجنح للجزائر العاصمة، يوم الثلاثاء 12 أكتوبر الجاري 1937[2].

لما لم يكن في سجن بربروس قسم سياسي حصلوا على الامتيازات التالية: تحسين الغذاء، فتح أبواب الزنزانات، وهو ما يسمح بالاتصال الدائم بين المساجين والجولات الحرة، الزيارات اليومية من طرف الأصدقاء والأقرباء تحت رقابة الحراس، ومع ذلك فإن قراءة الصحف ظلت محظورة، وبمجرد الإعلان عن خبر الاستجابة لمطالبهم، جاء مئات الجزائريون في جماعات، ووقفوا أمام جدران السجن، لإنشاد نشيد (ح ش ج)، وتشجيعهم، والمناداة على كل واحد منهم باسمه، وذلك ما دّل على مقدار الاهتمام الذي تابع به الشعب الجزائري هذا الإضراب عن الطعام، الأول من نوعه في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية.

تمت محاكمة غرافة ورفاقه، كما أسلفنا، في 02 نوفمبر 1937م، وصدر الحكم في يوم 04 نوفمبر، وكان الحكم القاسي الذي نطقت به المحكمة الابتدائية وصمة عار في جبين النظام الاستعماري، وبرهان على استهانته بحق الشعوب في الحرية والمساواة، استأنف المساجين الحكم، عساهم يحصلوا على حكم أقل وطأة.

---

[1]- تقرير من مدير السجن، رقم: 2228، 07 أكتوبر 1937م، 4i5، (ANOM)، موضوعه: **الفحص الطبي للمضربين عن الطعام**، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]- تقرير من مدير السجن، رقم: 2245، 09 أكتوبر 1937م، f1، (ANOM)، موضوعه: **الفحص الطبي للســـجناء بعد إيقافهم عن الإضراب**، وثيقة من صفحة واحدة.

في 07 جانفي 1938م، أصدرت محكمة الاستئناف للجزائر العاصمة حكمها في قضية النائب العام ضد مصالي وآخرين، وأثبتت التهم الموجهة للمساجين، بناء على نفس الحيثيات المؤسسة لحكم المحكمة الابتدائية، وأكدت أن المخالفات الثابتة في حق المتهمين لا تحمل طابعا سياسيا، وإنما هي خرق للقانون العام، وبناء عليه ألغت حكم المحكمة الابتدائية في مسألة السجن السياسي، وحكمت بتطبيق الإكراه البدني على مصالي ورفاقه، وألغت نظام السجن السياسي، الذي أقرته السلطات للمعتقلين في 06 أكتوبر 1937م.

بدا للمساجين أنه لا رجاء في "العدالة الفرنسية" لتقليص مدة العقوبة، وبقي لهم سبيل وحيد، وهو النضّال من أجل الحصول على الحق في السجن السياسي، الذي يخفف عنهم أعباء الاعتقال ومتاعبه، وإثر صدور الحكم، وفي نفس اليوم، تقدم محامو قادة (ح ش ج) بطلب رفع قضيتهم إلى محكمة النقض والإبرام بفرنسا.

يقول مصالي الحاج بهذا الشأن: "إن غرفة الاستئناف لمحكمة الجزائر العاصمة لم تغير شيئا في الأحكام، الشيء الذي حملنا على الاستئناف في غرفة التمييز، ولكن دون أن نتغنى بالأحكام، كنا نريد فقط ربح الوقت، وتأخير تحويلنا إلى السجن المركزي بالحراش، وهو مشهور بأنه مكان ملعون"[1].

في 31 مارس 1938م، تـــمّ تحويل مصالي ورفاقه إلى سجن ميزون كاري (الحراش)، وأعيدوا إلى نظام سجن الحق العام، وكانت ظروف الاعتقال في سجن ميزون كاري صعبة جدا، كما قال مصالي الحاج، ثم استفادوا بعد ذلك من نظام السجن المختلط، ويقول مصالي في مذكراته: "في حدود 10 أفريل 1938م، بينما كنّا نياما في قاعة كبيرة مع سجناء الحق العام، حضر حرّاس السجن بمعية مدنيين من إدارة السجون، لتحويلنا إلى جناح السجناء السياسيين

[1] – مصالي الحاج، المصدر السابق، ص242.

بالسجن المركزي لميزون كاري"، ويذهب مصطفى حمودة إلى أن الأمر يتعلــّق بالعودة إلى النظام المختلط، لا السجن السياسي الذي أقر فيما بعد[1].

في 31 ماي 1938، اجتمعت محكمة النقض في باريس، الغرفة الجنائية، للنظر في طلب النقض الذي تقدم به المتهمون ضد حكم 14 جانفي 1938.

انتهت المحكمة إلى إثبات التــّهم الموجهة إليهم، وإقرار الأحكام التي ترتبت عليها في حكم محكمة الاستئناف، باستثناء قرار تطبيق الإكراه البدني عليهم، وأقرت هذه المحكمة أخيرا حق معتقلي (ح ش ج) في نظام السجن السياسي.

في 20 جويلية 1938م، بلغ لمصالي ورفاقه بالحكم، وقام مدير السجن بإدراجهم في نظام السجن السياسي الكامل في نفس اليوم، وتحسنت أوضاعهم بشكل كبير، فأصبحوا يستقبلون الأصدقاء، ويطلعون على الصحف، و لم يستفد غرافة من هذا النظام، إلا أياما قليلة قبل خروجه من السجن في 27 أوت 1938م.

[1] – مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص447.

المبحث الثالث: غرافة في المرحلة الأخيرة من حياته: أيام المعاناة

1. خروجه من السجن: احتفاء الرفاق بالمناضل الوطني

بعث مدير السجن لـــ "ميزون كاري" (الحراش) رسالة إلى الوالي، عشرة أيام قبل نفاذ مدة محكومية غرافة ابراهيم، يخبره بتوقيت خروجه من السجن، مؤرخة في 17 أوت 1938م، موضوعها إطلاق سراح سجين سياسي، كتب فيها: "يشرفني أن أعلمكم بأن المسمى غرافة ابراهيم بن عيسى، الذّي حُكم عليه في 14 جانفي 1938م بسنة سجنا، بتهمة إعادة تأسيس جمعية منحلة، والمسجون حاليا في القسم السياسي لسجن ميزون كاري، سيطلق سراحه بعد إنهاء فترة عقوبته في 27 أوت 1938م، على الساعة السابعة صباحا، أرجو سيدي الوالي أن تخبروا الحاكم العام، مديرية الأمن العام، المصلحة العقابية والتربية"[1].

تحسبا لإطلاق سراح غرافة سافر، الشيخ بيوض إلى الجزائر العاصمة، لاستقبال ابن خالته، وبشأن هذه الزيارة، كتب والي الجزائر إلى الحاكم العام تقرير رقمه: 458، مؤرخ في سبتمبر 1938م، يقول فيه: "إجابة على رسالتكم رقم: 14739 بتاريخ 25 أوت الفارط، يسعدني إخباركم بأن الشيخ بيوض الحاج إبراهيم، وطني مسجل بدفتر B وصل الجزائر مساء 21 أوت، قادما من بريان مصحوبا بالمسميين يامني (بن يامي) موسى بن الحاج، وباحميدة حمو بن يحي، وقد نزل ضيفا على المسمى تريشين، تاجر ميزابي يسكن 27 شارع لالير، لقد كان مصحوبا يوميا بالمسمى باحميدة، وكان يوجد في أغلب الأوقات بالمطبعة العربية 70 نهج روفيقو، أو في بقالة موسى يامي، ساحة ماهون.

في 27 أوت كان ينتظر في المطبعة العربية وصول قريبه غرافة إبراهيم، الذي أطلق سراحه من سجن الحراش صبيحة اليوم المذكور ذاته، حيث أمضى حكما بالسجن لمدة سنة بتهمة المساس بالسيادة الفرنسية بالجزائر.

---

[1] – تقرير من مدير السجن لميزن كاري (الحـــراش)، رقـــم: 1940، 17 أوت 1938م، 1f، (ANOM)، موضـــوعه: **إطلاق سراح غرافة**، وثيقة من صفحة واحدة.

إن بيوض ينوي المشاركة في الاجتماع العام لجمعية العلماء الإصلاحيين، الذي سينعقد يوم 23 سبتمبر الحالي بنادي الترقي بالجزائر"[1].

بعد اعتقال مصالي ورفاقه، وسجن عدد كبير من مناضلي الحزب في مختلف المدن الجزائرية، انحسر نشاط الحزب إلى الحد الأدنى، و لم يبق إلا عدد بسيط من المناضلين المخلصين لخط الحزب، وكان هؤلاء ينتظرون إطلاق سراح القادة بشغف لاستئناف النشاط، وفي العشرين من شهر أوت اجتمع عدد من الأعضاء في المقر الجديد للحزب، يصف تقرير من رئيس الشرطة الخاصة إلى والي الجزائر حول (ح ش ج) أجواء هذا الاجتماع، فيقول:

"يشرفني أن أنهي إلى علمكم أن فروع (ح ش ج) في الجزائر، باستثناء المنطقتين الإداريتين رقم: 2 و7 (شارع لبنان وشارع المئذنة)، لم تنجز أي نشاط خاص، منذ بداية فصل الصيف.

فأما المقر الواقع في شارع لبنان، الذي صار مقر الحزب منذ الإخلاء، بسبب تهديم القاعة الواقعة في 26 ساحة دوكان، فهو مفتوح في سائر الأيام...، مقر المداومة يزوره كل سبت حوالي العشرين... هؤلاء، بسبب عددهم الضئيل، لا يعقدون اجتماعات بأتم معنى الكلمة، هم يقرأون الجرائد، ويعلقون عليها، ويتناقشون في مسائل عادية.

يبدو أن الحالة المالية لفرع المنطقة الإدارية الثانية في غاية الحرج، ... إلا أنه إذا كان نشاط (ح ش ج) عرف هدوءا خلال الأشهر الماضية، فإنه، على ما يظهر، قد بدأ يأخذ حاليا اتساعا جديدا، في الـــ20 من الشهر الجاري، ومن الساعة الـــ19 إلى الـــ22، دُشّن مقر جديد لـــ (ح ش ج)، بحضور ما يقارب الـــ90 شخصا، عنوانه: رقم 24 في شارع سيدي امحمد شريف، أما المناضلون الذين ألقوا كلمات، فقد أبدوا رفضهم للسياسة الإنجليزية في الشرق الأدنى، وأعربوا عن أسفهم للمصير المحزن لضحايا أحداث فلسطين، كما أعلنوا عن تحرير غرافة ابراهيم، في الـــ27 من الشهر الجاري، الذي سيكون يومئذ قد أتم عقوبة عام

[1]- محمد صالح ناصر: **الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**، دار ناصر للنشر والتوزيـــع، الجزائـــر، 2017م، ص224.

سجنا، كان قد حكم عليه بها، ...بمناسبة خروج غرافة من السجن سيعقد اجتماع في مقر سيدي امحمد شريف، وسيقدم غرافة أخبارا عن رفاقه وانطباعاته عن السجن، تعد هذه التظاهرة أمرا استثنائيا، لأن الاجتماعات في هذا المقر ينبغي أن لا تنعقد إلا كل خمسة عشر يوما، في يوم سبت"[1].

يعكس لنا هذا التقرير الوضعية الصعبة، التي كان يعيش فيها الحزب، بعد موجة القمع الاستعماري، وترقب رفاق غرافة لخروجه من السجن، لرفع معنويات المناضلين الصامدين، في انتظار الإفراج عن باقي القادة.

خرج غرافة من سجن الحراش صباح يوم 27 أوت 1938م، على الساعة السابعة والنصف، ووجد في انتظاره مجموعة من أصدقائه، يرصد تقرير لقائد الشرطة الخاصة تحركاته بعد خروجه من السجن مباشرة، وهو مرسل إلى الحاكم العام الجزائر، وجاء فيه: "يشرفني أن أعلمكم بأن المسمى غرافة إبراهيم المناضل في (ح ش ج) المحكوم عليه بسنة سجن في 04 نوفمبر 1937، بتهمة إعادة تأسيس جمعية منحلة، والتحريض على الفوضى، وعلى المظاهرات ضد السيادة الفرنسية، قد تم إطلاق سراحه من سجن ميزون كاري (الحراش)، حيث أنهى عقوبته في 27 الجاري (أوت) على 7h30، وانتقل مباشرة إلى الجزائر العاصمة في سيارة بصحبة حميدي بوزيد، أبو اليقضان، عيسى بن حاج إبراهيم، وسحنون محمد، الذين جاءوا من أجله.

توجه الأربعة إلى مسكن السيدة مصالي، الكائن في 15 شارع فرونسوا فيون، ومكثوا قرابة 45 دقيقة، ثم توجهوا بعد ذلك إلى المطبعة العربية، 70 شارع روفيقو، أين كان متواجدا المسمى بيوض حاج ابراهيم، ابن خالة غرافة، وتحادثا طويلا، ويحتمل أنهما تناولا موضوع النظام المشدد الذي فرض على مناضلي (ح ش ج) في المؤسسات العقابية، التي تـــمّ اعتقالهم فيها بالتتابع.

[1] – تقرير من قائد الشرطة الخاصة، رقم 5941،غ م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: **مراقبـــة (ح ش ج)**، وثيقـــة مـــن صفحتين.

على الساعة 9h30 انتقلت المجموعة إلى شقة تقع في 37 شارع لالير، ويشغلها أبو اليقضان صاحب المطبعة العربية، وقدمت لهم وجبة الغذاء".

يضيف التقرير: "وبعد ساعة تقريبا توجه غرافة مع أصدقائه إلى مقر (ح ش ج)، الكائن في 02 شارع لبنان، وكان حاضرا هناك حوالي 20 عضوا، وبعد أن سلم غرافة على الحاضرين، جلس في منصة الشرف، وقدمت القهوة للحضور.

ألقى غرافة كلمة ليبلغ تحيات مصالي ورفاقه، الذين هم دائما، قلبا وفكرا، مع أعضاء (ح ش ج)، وصرح أنه ينوي إعادة تنظيم الفروع، وطلب من مستمعيه تجنب التحريض والعمل كما في السابق، دان غرافة بعد ذلك المعاملات السيئة التي تعرض لها مناضلو (ح ش ج) في سجن ميزون كاري (الحراش)، حيث فرض عليهم نظام سجن حق العام، وقد تحملوا تلك المعاناة بشجاعة من أجل الإسلام وللدفاع عن الشعب، وأنهى كلمته بالتعبير عن ثقته فيما يقدره الله. عبّر بعض الحضور عن إخلاصهم لـــ (ح ش ج)، وانتهى الاجتماع في منتصف النهار دون أي حوادث تذكر، يقيم غرافة حاليا في 5 شارع دوليون، وينوي مواصلة استغلال محله، الذي تولى تسييره قريب له في فترة غيابه، وأبدى رغبته في السفر إلى مزاب خلال أيام"[1].

[1] – تقرير من قائد الشرطة الخاصة، رقم: 6610، 30 أوت 1938م، 4i5، (ANOM)، موضوعه: **تحرير غرافة**، وثيقـــة من صفحتين. [ينظر الملحق رقم 10].

2. نشاطه بعد خروجه من السجن: إصرار على إتمام الرسالة

استأنف غرافة نشاطه السياسي والنضالي مباشرة بعد خروجه من السجن، وكأن عقوبة سجنه لم تكن إلا حافزا إضافيا له، و لم يهتم لعواقب تصرفه، وهو ما سيدفع ثمنه في أجل قصير، من خلال تلفيق تهمة حق عام ضده، والحكم عليه من طرف المحكمة العسكرية في 21 مارس 1939م، بثلاث سنوات سجن، و لم يتمتع بحريته إلا نحو سبعة شهور، كانت حافلة بالنشاط السياسي. منها تمثيله (ح ش ج) في اجتماع المؤتمر الإسلامي[1] في سبتمبر 1938م[2].

بعد لقائه في اليوم الأول لإطلاق سراحه مع المناضلين في مقر الحزب، حضر اجتماعا آخر في اليوم التالي، وصفه تقرير لقائد الأمن بالكلمات التالية: "قد بلغني ويشرفني أن أعلمكم بأن حوالي خمسين عضوا من (ح ش ج) اجتمعوا في 28 الجاري (أوت 1938)، في حوالي الساعة 21h00، في مستودع غير مشغول، بشارع "تيارس"، لاستقبال غرافة ابراهيم، الذي خرج من سجن ميزون كاري (الحراش)، حسب المعلومات التي جمعتها حول هذا الاجتماع الخاص جدا، فقد صرح غرافة بنفس ما قاله في مقر الحزب، 02 شارع لبنان (تقريري رقم 6110)، و دعا الحاضرين بقوة إلى الحفاظ على التزامهم، وإلى مواصلة الدعاية حتى يتم خروج مصالي وزملاؤه من السجن... وتفرق الحاضرون حوالي الساعة 23h00"[3].

جاء في تقرير آخر مؤرخ في 10 سبتمبر 1938م: "لقد ابتعد الأهالي عن (ح ش ج) بعد القمع الذي شهده لحد ما، وبقي المناضلون في مواقعهم يأملون في الحفاظ على التنظيم، حتى تحرير مصالي، الذي سيستأنف العمل بنشاط أكبر، إن عودة غرافة، الذي خرج من السجن في 27 أوت، تمثل تشجيعا كبيرا للمجموعة، وهو يحمل معه الكثير من الأخبار والمشاريع، التي تثير حماس أعضائها، ... ويروي غرافة لمستمعيه بأنه من يوم استفادته من نظام السجن

[1] – معلومة أوردها بنيامين ستورا في كتابه القاموس البيوغرافي للوطنيين الجزائريين، ومن المعلوم أن المؤتمر الاسلامي انعقد سنتي 1936 و1937، أما اجتماع سبتمبر 1938 فلا نملك عنه معلومات .

[2]- Binjamin Stora, op cit, P215.

[3] – تقرير من قائد الأمن، رقم: 6132، 30 أوت 1938م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: **مراقبة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

السياسي، كان وزملاؤه في وضع مريح، كأنهم في منازلهم تقريبا، يمكث مصالي مع زوجته ساعات طويلة، وهو بصدد تحضير كتيب مهم بالفرنسية، وزكرياء يكتب كثيرا أيضا. يتجنب القادة الرئيسيون للحزب الظهور علنا حتى لا تتعرف الإدارة عليهم، ولا يعملون إلا من خلال وسطاء. المناضلون الأكثر نشاطا في الجزائر العاصمة هم: موركي حسين، غرافة، مزغنة، دشوق، بوزيد، الذي يتولى الدوام في مقر الحزب، وبراداي"[1].

لم يكتف غرافة بالنشاط السياسي في الجزائر العاصمة، بل انتقل الى بعض المدن القريبة كالبليدة وبوفاريك، يبث دعاية الحزب، ويشجع المناضلين على الوفاء لرسالة الحزب. كتب المحافظ المركزي للشرطة إلى الوالي: "يشرفني أن أخبركم ببعض المعلومات التي أراها مهمة، بلغني أنه خلال مساء 14 سبتمبر (1938م) جاء إلى البليدة مناضل نشط من (ح ش ج)، معروف باسم غرافة ابراهيم، الذي مثُل مع مصالي وزملائه أمام محكمة الجنح للجزائر العاصمة، وحكمت عليه بسنة سجن أنهاها مؤخرا، غرافة ابراهيم الذي جاء من العاصمة، واستضافه التجار المزابيون: كرموش، بودي، حجوجة، واشليوش، المعروفون بعلاقتهم الثابتة بالمنظمة.

في 15 سبتمبر جاء من المدية الشيخ الطيب الأبيض (الشيخ بيوض) من القرارة، عضو معروف في جمعية العلماء، والتقى في المساء مع غرافة ابراهيم في مسكن حجوجة، الواقع قرب حي أولاد سلطان، تكوّن الحضور من حوالي عشرين مزابي من أتباع المسمى الشيخ، الذي ألقى كلمة قصيرة، وجمعت خلالها تبرعات لصالح صندوق (جمعية) العلماء، في نهاية هذه المناسبة التي جرت في ظروف لا تلفت الانتباه، وختمت على الساعة 19h00.

عقد غرافة في مقر (ح ش ج) اجتماعا خاصا جدا، في جوّ من السرية والهدوء، وجمعت الجلسة حوالي 40 عضو، يوجد من بينهم وبنسبة غالبة المنتسبون للفرع، الذي انشأه شباب الحزب حديثا.

[1] – تقرير من قائد الأمن، د ر، 10 سبتمبر 1938م، 4i6، (ANOM)، موضوعه: **مراقبة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

دعا غرافة الحضور إلى الالتزام والتمسك المطلق بتوجيهات (ح ش ج)، وأشار إلى أن أي إجراءات قمعية لا تستطيع إيقاف تطوره، وأضاف أنه بعد خروجه من اعتقال تعرض فيه لكل أشكال القمع، لم ينقص التزامه النضالي، وبقي متمسكا بنفس التوجه.

مكث غرافة ابراهيم والشيخ الطيب الأبيض (الشيخ بيوض) بعد هذه الوقائع ضيوفا عند حجوجة، وغادرا البليدة يوم 16 سبتمبر على الساعة 6h00، للتوجه إلى الجزائر العاصمة أين سيحضر هذا العضو من جمعية العلماء، اجتماع في العاصمة للتباحث عن مسائل مختلفة، تكون محل انتخاب عام"[1].

في يوم 01 أكتوبر 1938م، حضر غرافة اجتماعا آخر في مقر الحزب، حضره حوالي 20 عضوا من الحزب، وتناول الكلمة "وصرّح غرافة ابراهيم أن الله يلعن الخونة، وأنه لا يجب الخوف من أحد، ونصح بالتضامن الكامل في انتظار تحرير مصالي ورفاقه، وأضاف أنه بعد محاورة تمت بينه وبين السيد بومنجل، يمكن القول أن المعتقلين السياسيين سيستفيدون من العفو، ثم دعا الحضور لدفع اشتراكاتهم بانتظام، لتغطية المصاريف التي فرضها اعتقال مسيري الحزب"[2].

في 21 نوفمبر 1938م، كُتبت وثيقة معلومات حول (ح ش ج)، ورد فيها: "يواصل المصاليون دعايتهم في الجزائر العاصمة، وهم أكثر تنظيما وانضباطا...إن الذين يظهرون أنفسهم أكثر نشاطا هم: بن جلول، موركي، الحسين، غرافة، الوزاني، مزغنة، ودشوق... توقف غرافة عن العمل، بعد أن اشتغل عدة أيام عند مزابي في كلوسالومبيي (حي المدنية حاليا)، حتى يكون أكثر حرية، وقام بعمل دعائي نشط في الأوساط المزابية، ومركز نشاطه هو 39 شارع لالير في المكتبية العربية، وأيضا في الشقة التي يقيم فيها مدير هذه المطبعة، قاسم بن الحاج عيسى، ينظم غرافة كل يوم تقريبا اجتماعا لفائدة (ح ش ج)، ويُفضل أن يكون ليلا مع المسمون: العنق الحاج عمر، قاسم بن حاج عيسى، إن أبا اليقضان، وزيات سليمان، وكلهم مصاليون

[1]– رسالة من المحافظ المركزي للشرطة، رقم: 11836، 19 سبتمبر 1938م، 4i131، (ANOM)، موضوعها: **مراقبة غرافة ابراهيم**، وثيقة من صفحة واحدة.

[2]– تقرير من قائد الامن رقم: 7055، 03 أكتوبر 1938م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: **مراقبة (ح ش ج)**، وثيقة من صفحة واحدة.

معروفون، وأصدقاء لأبي اليقضان، وهم في علاقة مع مصالي بواسطة غرافة ابراهيم... لقد أرسل غرافة إلى الشيخ بيوض في القرارة رزمة من بطاقات الانتساب لـــ (ح ش ج)"[1].

حضر غرافة اجتماعا آخر في 20 فيفري 1939م، قبل محاكمته بشهر، والحكم عليه بثلاث سنوات سجنا في قضية حق عام، يصفها تقرير من مدير الأمن للوالي، ورد فيه ما يلي: "يسرني أن أعلمكم أن مسيري مختلف فروع (ح ش ج) لمدينة الجزائر، ويقدر عددهم بحوالي 15 شخصا، اجتمعوا يوم السبت الماضي 25 من الشهر الجاري (فيفري)، على الساعة 19h30 إلى 21h00، في مقر الحزب الكائن في شارع لبنان ...، وفيما يتعلق بالانتخابات المزمع إجراؤها للمجلس العام في الدائرة الأولى، صرح غرافة بأنه ينبغي جمع أكبر مبلغ ممكن، عن طريق الاكتتابات، لتغطية تكاليف الحملة الانتخابية، وشراء الأدوات اللازمة، وتأمين مصاريف الجولة الدعائية"[2].

من خلال التقارير السابقة، نستطيع القول أن ابراهيم غرافة استعاد منصب: أمين المال لفدرالية (ح ش ج) في الجزائر العاصمة، بعد خروجه من السجن، وانخرط في النشاط الحزبي والسياسي مباشرة بعد إطلاق سراحه، وشارك في المؤتمر الاسلامي ممثلا لـــ (ح ش ج) في سبتمبر 1938م.

في 21 مارس 1939م، حُوكم غرافة ابراهيم أمام المحكمة العسكرية، بتهمة ملفقة لا نعرف تفاصيلها، وهي التزوير واستعمال المزور، وحكم عليه بثلاث سنوات سجن وغرامة، قدرها 300 فرنك.

[1]– وثيقة معلومات، د ر، 21 نوفمبر 1938م، 4i131، (ANOM)، موضوعها: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صـــفحة واحدة.

[2]– تقرير من مدير الأمن، رقم: 1648، 20 فيفري 1939م، 4i4، (ANOM)، موضوعه : **مراقبة (ح ش ج)**، وثيقـــة من صفحة واحدة.

3. في معتقل جنين بورزق: ذروة الظلم الاستعماري

خرج مصالي ورفاقه الآخرين من السجن في 27 أوت 1939م، وكان غرافة يعاني محنة الاعتقال في سجن البرواقية، واندلعت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر، وتـــمّ حل حزب الشعب وحظره من طرف الإدارة الفرنسية في أكتوبر من نفس العام، وفي 02 أكتوبر، صدر أمر بالتفتيش من الحاكم العام، يخص مقار (ح ش ج)، ومنازل عدد من المناضلين، من بينهم غرافة، وتوجه محافظ الشرطة بانكرازي إلى غرفته، الكائنة في 03 شارع دورليون، وكتب قائد الشرطة الخاصة تقريرا، أرسله إلى مدير الأمن العام للعاصمة، ورد فيه ما يلي: "المعني (غرافة) معتقل حاليا، الغرفة التي يسكنها في هذا العنوان مشغولة من طرف أوروبي، السيد بانكرازي محافظ الشرطة لم يستطع في هذه الظروف إجراء تفتيش"[1].

تمّ تفتيش مقر (ح ش ج) في الجزائر وميزون كاري (الحراش) وبوفاريك، ومنازل عدد من المناضلين الآخرين، من بينهم مفدي، ولحول، وحجوط ابراهيم، وخليفة بن عمار.

صَدر قرار وضع غرافة تحت الإقامة المحروسة في جنين بورزق، من طرف والي عمالة الجزائر في 30 أفريل 1940م، وكان من بين أوائل المناضلين الذين حددتهم الإدارة الاستعمارية كأشخاص، يشكلون خطرا على الأمن الاستعماري في الجزائر، ينبغي وضعهم تحت الحراسة المشددة، سيما بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وقد مسّ الإجراء كل من تتوسم فيهم فرنسا معارضة سياستها في الجزائر، وعلى رأس المشبوهين كبار مناضلي (ح ش ج)، وبعض منتسبي جمعية العلماء المسلمين والحزب الشيوعي، ولما كان غرافة عندئذ في السجن، فقد تأجل تنفيذ القرار حتى حين خروجه من السجن. وجاء في القرار ما يلي:

[1] – تقرير من قائد الشرطة الخاصة، رقم: 9008، 4i5، 02 أكتوبر 1938م، (ANOM)، موضوعه: **تفتـــيش مقـــرات وأعضاء (ح ش ج)**، وثيقة من 09 صفحات.

"- نظرا لمرسوم 18 نوفمبر 1939م المتعلق بالإجراءات المتخذة في حق الأشخاص الذين يشكلون خطرا على الدفاع الوطني، وعلى الأمن العام، وخاصة المادة رقم 01 والمادة رقم 04 للمرسوم.

- نظرا لمرسوم 21 جانفي 1941م، يُقرر:

المادة 1: يوضع غرافة بن عيسى، الساكن في الجزائر العاصمة 03 شارع دورليون، تحت الإقامة المحروسة في (معتقل) جنين بورزق[1]، والذي ينبغي أن يُقاد إليه فورا على يد الدرك.

المادة 2: تحت طائلة العقوبات الواردة في المادة رقم 04 من مرسوم 18 نوفمبر 1939م (السجن من سنة الى خمس سنوات)، لا يمكن لغرافة ابراهيم أن يغادر الأماكن المحددة لإقامته دون إذن، ويجب عليه الامتثال لكل التعليمات التي تقدمها له السلطة المؤهلة لتطبيق هذا القرار.

المادة 3: يرسل هذا القرار إلى قائد الدرك للجزائر العاصمة، لتبليغه وتنفيذه فورا، ويرسل إلى الحاكم العام للجزائر، وإلى القائد العسكري لتراب الجزائر العاصمة.

الجزائر في 30 أفريل 1940م، إمضاء: مارك شوفاليي"[2].

"خرج (غرافة) من سجن البرواقية في 21 مارس 1941، وعاد إلى الجزائر العاصمة، وكان يبحث عن عمل،... ويبدو أنه تخلى عن النشاط السياسي، واشتبه فيه بالعمل في السوق السوداء، اعتقلته الشرطة المتنقلة في أكتوبر 1941، ووجدت بحوزته 18 زوج من الجوارب، و05 كغ من الصابون الموضوع في قوالب، وحكم عليه بـ 15 يوم سجن، و100 فرنك

[1]- هو عبارة عن قلعة، تقع بين عين الصفراء وبشار، على بعد نحو 800 كلم عن وهران، خاضعة للسلطة العسكرية فقط. كانت هذه القاعدة تضم محجوزين من اللاجئين الإسبان، ومن اليهود، وكذا من الأهالي. كان اللاجئون في البداية مختلطين في ساحات واحدة، وبعد أن عين الرائد دي ريكو قائدا على المخيم، فصل بين الأوروبيين واليهود والأهالي، وأصبح لكل منهم ساحته، مع المنع المطلق للاتصال فيما بينهم، كان العمل في هذا المخيم إجباريا، ويكتسي صبغة الأعمال الشاقة، كما أن العقوبات كانت توزع على المحجوزين باستمرار. [ينظر: العربي بلعزو: **اللاجئون الإسبان في الجزائر خلال (1936-1962م)**، دزاير أنفو، 2013م، ص112].

[2]- قرار من والي الجزائر، د ر، 30 أفريل 1940م، 9h68، (ANOM)، موضوعه: **فرض الإقامة المحروسة على غرافة ابراهيم**، وثيقة من صفحة واحدة. [ينظر الملحق رقم 12].

غرامة، وعندما أنهى عقوبته خرج من السجن، ونُقل إلى الإقامة تحت الحراسة في جنين بورزق"[1].

لقد أحس غرافة بالجو القمعي الجديد بعد اندلاع الحرب، سيما وأن كل قيادات الحزب كانت في السجون والمعتقلات، ولم يُظهِر نشاطه السياسي، تجنبا لإثارة أنظار الإدارة الاستعمارية المتربصة.

سقطت فرنسا الاستعمارية أمام جحافل الجيوش الألمانية الغازية في 25 جوان 1940م، ونصبت ألمانيا الجنرال بيتان حاكما صوريا على جزء من فرنسا في فيشي، وحاول النظام الجديد القضاء على كل أشكال المعارضة في الجزائر وفرنسا، واستعمل مزيدا من البطش والتنكيل.

اقتيد غرافة في أكتوبر 1941م إلى معتقل جنين بورزق، ومكث فيه سنة كاملة، عانى فيها من العسف والتنكيل ألوانا، وبقي محتجزا فيه حتى 11 أكتوبر 1942م. المعتقل الذي كتب عنه المناضل في (ح ش ج) محمد أرزقي بركاني، وروى في كتابه يوميات الاعتقال والقمع، وسمي المركز بـــ: مركز الإقامة المحروسة، centre de séjour surveillé " C S S"، تم توقيف المحتجزين بتهمة المساس بالدفاع الوطني أو الأمن العام، وافتتح المعتقل أبوابه في ماي 1940م، جيء بالمعتقلين من مختلف أرجاء الوطن منهم من قسنطينة، القبائل، الجزائر العاصمة، المنطقة الوهرانية...الخ، ينتمي معظم المسلمين إلى (ح ش ج)، أو إلى جمعية علماء المسلمين، إضافة إلى محتجزين جاؤوا من المغرب وتونس، أما بالنسبة للمحتجزين الأوروبيين، كانوا ينتمون أساسا إلى الحزب الشيوعي، ويقول محمد أرزق بركاني: "جميع المعتقلين السياسيين كانوا ملزمين بأداء عمل، وهي أعمال شاقة في المعسكر، مثل أعمال البستنة، نقل الرمال، جمع الحطب، أو التموين من محطة القطار، قطع نبات الحلفاء في الأماكن المجاورة، كسر الحجر، تهيئة المسالك...الخ"[2].

---

[1] – **بطاقة شخصية حول غرافة ابراهيم**، أصدرها مركز المعلومات والدراسات، CIE، رقم: 1450، 1941/11/22، 9h123، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة.

[2] – خليفة بن عمارة: **تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى**، تر: بوداود عمير، دار القدس العربي، 2016م، ص216.

يقول بركاني إن المعتقل تغيرت أوضاعه جذريا لما أسندت مهمة الإشراف عليه للملازم الأول ديريكو Deriko في أفريل 1941، وبقي في منصبه حتى فيفري 1943، أمضى غرافة كل فترة احتجازه تحت إدارة هذا الملازم سيء الصيت، وعاش المعتقلون في فترة إدارته أياما صعبة، عنوانها التنكيل والقمع المستمر. يقول بركاني: "لقد تحول جنين بورزق تحت إدارة ديريكو، ليس فقط إلى مركز عقابي، بل إلى مكان يعيش فيه المعتقلون تحت نظام السيف والرعب"[1]. كان يسود في المعتقل الجوع والبرد، والعمل الشاق، وتتم مراقبة المحتجزين ليلا ونهارا، وتصادر الرسائل والطرود التي ترسل إليهم من ذويهم، وكان الحراس يحملون سياطا يضربون بها المحتجزين لأتفه الأسباب، والحبس في الزنزانات الانفرادية يتم بمبررات واهية، وقد حوكم ديريكو ومساعدوه في محكمة الجزائر العاصمة، بعد تحرير فرنسا سنة 1944، ردا لاعتبار الأوربيين واليهود الذين تم احتجازهم في المخيم، وليس من أجل الحيف الذي لحق بالجزائريين.

تمت مراسلات بين القيادات العسكرية والأمنية بشأن تسريح غرافة، وكانت تلقى الرفض القاطع من القائد العسكري لأراضي الجنوب[2]، ومن قائد ملحقة غرداية[3]، خوفا من سقوط هيبة فرنسا الاستعمارية في نظر الأهالي، لأن غرافة كان من المعارضين المعروفين للمشروع الاستعماري.

[1]- Mohamed Arezki Berkani: L'Histoire de Djenien-Bou-rezg Trois Années de Camp Koudia, Setif, 1965, p38

[2]- تقرير من القائد العسكري لأراضي الجنوب، رقم: 597، 24 أفريل 1942م، 4i131، (ANOM)، موضوعه: **تقديم رأي سلبي بشأن تسريح غرافة**، وثيقة من صفحة واحدة.

[3]- تقرير من القائد العسكري لأراضي الجنوب، رقم: 57، 20 ماي 1942م، 9h123، (ANOM)، موضوعه: **تقـــديم رأي سلبي بشأن تسريح غرافة**، وثيقة من صفحة.

4. وفاته: انطفاء شمعة

صدر قرار تسريح غرافة ابراهيم من جنين بورزق في 30 سبتمبر 1942م، وثم إطلاق سراحه في 11 أكتوبر 1942م، بمناسبة عيد الفطر، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في مدينة غرداية.

كتب الحاكم العام للجزائر رسالة إلى القائد العسكري لتراب غرداية في الأغواط، يوم 23 أكتوبر 1942م، جاء فيها ما يلي: "يشرفني أن أخبركم أن الإفراج على المسمى غرافة ابراهيم، الموجود في مركز الإقامة المحروسة في جنين بورزق، قد اتخذ من خلال قرار 30 سبتمبر 1942م، غير أن المعني فرضت عليه الإقامة الجبرية في غرداية، وتم تبليغ هذا القرار للقائد العسكري لعين الصفراء، عن طريق تليغرام رقم: 1334، بتاريخ 30 سبتمبر 1942م، للتنفيذ فورا"[1].

نشرت جريدة Echo d'Alger (إيكو دالجي) ليوم: 11 و12 أكتوبر 1942م خبر إطلاق سراح جراي علي وغرافة ابراهيم، بمناسبة عيد الفطر في يوم 11 أكتوبر 1942[2].

بقي غرافة تحت الإقامة الجبرية في غرداية نحو ستة أشهر، وفي تاريخ 23 أفريل 1943م، صدر قرار إلغاء الإقامة الجبرية عليه من سفير فرنسا، الحاكم العام للجزائر، ورد في نصه ما يلي:

"...المادة 01: تلغى الإجراءات الإدارية المتخذة بموجب قرار 30 سبتمبر 1942م، بحق المسمى غرافة ابراهيم، والموجود حاليا رهن الإقامة الجبرية في مدينة غرداية.

المادة 02: يرسل هذا القرار إلى السيد القائد العسكري لتراب غرداية لتبليغه وتنفيذه فورا..."[3].

يبدو أنه عاد إلى الجزائر العاصمة، ففي ديسمبر 1943م شارك في تأسيس مطبعة بسيطة لجريدة العمل الجزائري l'Action Algérienne، التي أنشأها محمد طالب، الذي دعا غرافة إلى توفير الحروف للمطبعة من أصدقائه بالمطبعة العربية، ولم يتأخر عن الاستجابة لطلبه، وأحضر من المطبعة العربية قوالب حروف باللغتين العربية واللاتينية[4].

---

[1]- رسالة من الحاكم العام للجزائر، رقم: 7788، 23 أكتوبر 1942م، 9h123، (ANOM)، موضوعها: **مراقبة غرافة**، وثيقة من صفحة واحدة. [ينظر الملحق رقم 14].

[2]- جريدة Echo d'Alger إيكو دالجي، ليوم 12 أكتوبر 1942م

[3]- قرار صادر من سفير فرنسا (الحاكم العام للجزائر)، رقم: 2913، 23 أفريل 1943م، 4i131، (ANOM)، موضوعها: **إلغاء فرض الاقامة الجبرية على غرافة**، وثيقة من صفحة واحدة.

[4]- محمود عبدون، المرجع السابق، ص70

نفتقد للوثائق التي تغطي نشاطه من سنة 1943م إلى سنة وفاته في 1947م، ورغم المعاناة الكبيرة التي عاشها من سنة 1937م إلى سنة 1947م، وتراجع صحته، بقي وفيّا لخط حزبه، وانتسب مجددا إلى (ح إ ح د).

وعند وفاته، كان عضوا في المكتب الفدرالي لـ (ح إ ح د). ويبدو أنه كان يتنقل كعادته إلى البليدة للدعاية لحزبه، فقد التقى به الشيخ بابا ثامر[1] في البليدة قبل نحو شهرين من وفاته، ويقول الشيخ بابا ثامر في مذكراته: "في يوم 25 أوت 1947م، التقيت مع الأخ غرافة ابراهيم في البليدة بعد قدومي من غرداية"[2].

يقول محمود عبدون: "وفي نهاية السنة 10 نوفمبر 1946م[3]، توفي مناضل كبير، وهو غرافة ابراهيم، وقد وافاه الأجل بسبب إصابته بالكزاز (التيتانوس) إثر جرح طفيف، فهذا المناضل البسيط، ينتسب إلى ناحية مزاب، كان مسلحا بشجاعة عظيمة، وعقيدة سياسية لا تتزعزع، وكان دائما يتطوع للمهام الخطيرة...، وقد ضحّى حتى بحياته الخاصة في سبيل الوطنية"[4].

توفي غرافة ابراهيم في نوفمبر 1947م، وتمت مراسيم جنازته التي حضرها عدد كبير من الجزائريين يوم 18 نوفمبر، وكتب مدير الأمن بشأنها تقرير جاء فيه : "يشرفني أن أعلمكم أنه

---

[1]- بابه بن إبراهيم، بوعروة بابا تامر 1908م – 1988م: شيخ من أعلام غرداية، ختم القرآن الكريم في إحدى كتاتيبها، ثمَّ رحل إلى تونس، ودرس في مدرسة السلام، وفي سنة 1928م عاد من تونس، وشارك في تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية، ثمَّ علَّم في مدرستها فترة من الزمن، وفي ديسمبر 1972 انتخب نائبا لرئيس الجمعية الشيخ صالح بابكر، ثمَّ عقب وفاته خلفه في الرئاسة في مارس 1976م، في سنة 1928 عيِّن في منصب باش عدل في محكمة الإباضيَّة بقسنطينة، ثمَّ اعتزل الوظيف بعد أن قضى فيه ما يقرب من 18 عاما، اشتغل بالتجارة بواد الزناتي، ثمَّ بقسنطينة، حيث شارك في تأسيس جمعية الهدى وترأَّسها فترة وجوده بقسنطينة، مارس الصحافة بمقالات عدَّة، شارك في الثورة، وتعرَّض للسجن من أجلها انتخب نائبا أوَّل لرئيس البلدية السيِّد ناصري علي بن عمر، وقام بأعمال معتبرة، توفي فيي 27 ديسمبر 1988، [ينظر: محمد بباعمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الاسلامي ، ط2، بيروت، لبنان، 2000،ج2، ص69]

[2]- حمو عمر فخار: **ابراهيم بن بابا بوعروة: الشيخ بابا ثامر حياته وآثاره**، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، 2003م، ص85.

[3]- لقد اخطأ عبدون في سنة وفاة غرافة، والصحيح هو سنة 1947م، ولا نعرف إن كان يوم 10 نوفمبر الذي ذكره كتاريخ لوفاته صحيح أم لا، لأننا لم نستطع الحصول على شهادة وفاته، رغم الجهود التي بذلناها.

[4]- محمود عبدون، المرجع السابق، ص90.

في هذا اليوم، تمت مراسيم جنازة المسمى غرافة ابراهيم، عامل في التجارة، عضو اللجنة الفدرالية لـــ (ح إ ح د).

تمّ رفع الجثمان على الساعة 12h00، من منـــزل مفدي زكرياء، 8 شارع ديكان في الجزائر العاصمة، بحضور من 1500 إلى 2000 شخص بالتقريب، ثم الدفن في المقبرة المزابية لسيدي بنور القربية من كنيسة السيدة الإفريقية، قـــُدّمت كلمات في المقبرة بالتوالي من طرف كل من: السيد زكرياء، ممثل الجماعة المزابية، أستاذين آخرين (لم يتم التعرف عليهما)، والسيد مصالي الحاج الذي انتظر الموكب الجنائزي على مدخل المقبرة، تحدث مصالي في بضع كلمات حول حياة الفقيد، التي كانت كلها إخلاص للقضية الوطنية، و لم يخف أسفه لرؤية، أحد أهم مساعديه، يرحل مبكرا، وختم زعيم (ح ش ج) كلامه: "**يا غرافة قد رحلت عنا، لكن أعاهدك بأن المهمة التي نذرت لها نفسك ستستمر حتى تتحقق كاملة، وهي التحرر التام لشعبنا**". حضر هذه الجنازة الشخصيات الوطنية التالية: مزغنة نائب عن (ح إ ح د). لحول حسين، نائب رئيس بلدية الجزائر العاصمة. عسلة حسين. رباح لخضر، مستشار بلدي في الجزائر العاصمة، الشيخ الزاهري[1]، مدير (جريدة) المغرب العربي، و لم يسجل أي حادث"[2].

هكذا أسدل الستـــّار على حياة واحد من المناضلين الأوفياء للقضية الجزائرية، الذي لم يحيَ لنفسه أو عائلته، بل عاش للوطن الذي آمن بحقه في الحرية والاستقلال، ووفاءً لتضحياته سُميَّ شارع في باب الواد باسمه[2]، وتمت تسمية نهج في مدينة سكيكدة باسمه أيضا[3]، وندعو أن تسمى باسمه مؤسسات تربوية أو ثقافية، لأنه يستحق تكريما أكبر، بالنظر لما قدمه في سبيل وطنه.

---

[1] محمد السعيد الزاهري ولد في بسكرة سنة 1900 كاتب وشاعر وناقد وصحفي كان احد مؤسســـي جمعيـــة العلمـــاء المسلمين الجزائريين، وانفصل عنها سنة 1937، أصدر جريدة المغرب العربي سنة 1938، ثم أعاد إصدارها ســـنة 1947 ، وكانت قريبة من توجهات حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، توفي سنة 1956 ، [ينظر: عاشور شرفي: **مَعْلَمَة الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص756].

[2]- تقرير من مدير الأمن عمالة الجزائر، رقم: 5531، 19 نوفمبر 1947م، 4i131، (ANOM)، موضـــوعه: **جنـــازة غرافة ابراهيم**، وثيقة من صفحتين. [ينظر الملحق رقم 14].

[3]- ينظر الملحق رقم 15.

خاتمـــــــة

خاتمـــة:

ولد المناضل غرافة ابراهيم سنة 1890 بمدينة غرداية ،وكان انخراطه في النشاط الوطني في بداية ثلاثينيات القرن العشرين، متأثرا بالحركة الإصلاحية في مزاب، وبالحراك السياسي الذي أحدثه اليساريون في الجزائر من خلال صحفهم، واحتك بهم من خلال اللقاءات في الأماكن العامة، وفي محله الصغير الواقع في شارع ديكين، الذي تحول إلى نادٍ ثقافي وسياسي، وتعامل مع زعمائهم الكبار، مثل موريس طوريز. كما تأثر بالتيار الوطني من خلال جريدة الأمة، التي كان يصدرها (ن ش إ)، رغم أن ثقافته العربية والفرنسية كانت متوسطة.

– بدأ نشاط غرافة ابراهيم الاجتماعي والثقافي بانتسابه إلى جمعية الوفاق، ما بين 1929 و1933.

– لا يمكن الجزم بتاريخ انضمام غرافة ابراهيم إلى (ن ش إ)، فمن خلال شهادة المناضل لحول حسين، يمكن أن نستنتج أن غرافة ابراهيم كان ينشط في خلية (ن ش إ) للجزائر العاصمة سنة 1933.

– عندما زار مصالي الحاج الجزائر سنة 1936، كان غرافة ابراهيم ضمن قيادة (ن ش إ) في الجزائر، وشكّلت هذه الزيارة لحظة مفصلية في تاريخ الجزائر، ونال الحزب شعبية كبيرة، بعد خطاب مصالي في التجمع الذي نظمته بعثة المؤتمر الاسلامي في الملعب البلدي للعناصر.

– توطّدت أواصر الصداقة بين مصالي الحاج وغرافة ابراهيم، حيث أصبح محل ثقته ورفيقه في تحركاته بعد عودته الأولى إلى الجزائر، وكان غرافة ضمن مستقبليه.

– عمل غرافة ابراهيم على خدمة أهداف (ح ش ج) من خلال علاقته الوثيقة بأبي اليقضان، صاحب المطبعة العربية، وكانت بيانات الحزب تطبع فيها بسرية، ولما أراد الحزب سنة 1943 إنشاء جريدة العمل الجزائري، جلب غرافة قوالب الحروف العربية واللاتينية من المطبعة.

– عند إعادة هيكلة حزب (ن ش إ)، في أكتوبر 1936، عُين غرافة ابراهيم عضوا مساعدا في اللجنة التنفيذية لخلية الجزائر، وهي مهمة قيادية، تعكس ثقة الزعيم فيه.

– بعد حل النجم في جانفي 1937، استمر غرافة ابراهيم على ولائه لخط الحزب، وانضم إلى جمعية أحباب الأمة، التي كان عملها التفافا للنشاط باسم الحزب، وتولى مهمة أمين المال، وعمل بإخلاص في سبيل المهمة التي نذر لها نفسه. وبعد تأسيس (ح ش ج)، في 11 مارس بباريس، تكونت خلية الجزائر، وكان غرافة في جويلية يتولى مهمة نائب الرئيس في الدائرة الأولى، وهي أهم خلية للحزب في الجزائر، ما يعكس المكانة المهمة التي بلغها في الحزب. وعندما عاد مصالي إلى الجزائر للمرة الثانية، أسس ثلاث فدراليات لـــ (ح ش ج)، وتولى غرافة مهمة أمين المال العام لفدرالية الجزائر، وهي الفدرالية الرئيسية في القطر الجزائري.

– ألقي القبض على غرافة ابراهيم وقادة حزب الشعب الجزائري في الجزائر في 27 أوت 1937، وحُكم عليه بسنة سجنا، بتهمة إعادة تأسيس جمعية منحلة، بهدف ترهيبه وإبعاده عن النشاط السياسي.

– كانت محاكمة قيادة الشعب في 02 نوفمبر 1937 يوما مشهودا في تاريخ الجزائر المعاصر، ولأول مرة تتم محاكمة قيادة حزب جزائري واجه السياسة الاستعمارية، وتوالت رسائل وبرقيات الاستنكار بعد الحكم على المتهمين، ونظّم الحزب تجمعات احتجاجية وإضرابات، وأصدر بيانات شجب.

– لم يمنع السجن غرافة ابراهيم، الذي عانى فيه مدة سنة كاملة، من مواصلة رسالته الوطنية، وانخرط بعد خروجه مباشرة بتاريخ 27 أوت 1938 في النشاط السياسي، ما ألّب عليه الإدارة الاستعمارية، التي حكمت عليه في 21 مارس 1939م بثلاثة سنوات سجنا بتهمة حق عام، إمعانا في التضييق عليه.

– أُدرج غرافة ابراهيم ربيع سنة 1940 ضمن الأفراد الخطيرين على الأمن الاستعماري، وصدر قرار بوضعه تحت الإقامة المحروسة في جنين بورزق في 30 أفريل 1940، وكان وقتها في السجن، ونُفذ فور خروجه من السجن في أكتوبر 1941، وبقي في المعتقل تحت القمع الشديد حتى أكتوبر 1942، أملا في القضاء على ما تبقى لديه من مقاومة للإدارة الاستعمارية، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في غرداية، و لم ترفع عنه إلا في أفريل 1943.

– رغم كل ما مر به من محن شديدة، وتنكيل استعماري، عاد غرافة ابراهيم إلى العمل السياسي، والتحق بـــحركة انتصار الحريات الديمقراطية بعد تأسيسها، وبقي وفيا لمبادئ حزب مصالي حتى وفاته سنة 1947.

– كانت جنازة غرافة ابراهيم، في 18 نوفمبر 1947، مناسبة وطنية مشهودة، حضرها المئات من الوطنيين الجزائريين، وأبّنه مصالي بالكلمات التالية:

"**يا غرافة قد رحلت عنا، لكن أعاهدك بأن المهمة التي نذرت لها نفسك ستستمر حتى تتحقق كاملة، وهي التحرر التام لشعبنا**".

وخلّد ذكره شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا في إلياذته، بالأبيات التالية:

رعى اللهُ عَيمَشَ في الخالدين ... وكحال في السابقين الكرام

ورابح تعبقُ أنفاسه ... وغَرَّافةُ الوضيءُ الهمام

وعسلة ينْدُبهُ صالب ... فيلحقه بعد مُرِّ السِّقام

هُم الثَّائرون الأُلى وَلدوا ... نوفمبر من صُلبهم فاستقام

متى نزلت ثورة من سماء ... نزول المسيح عليه السلام

الملاحـــــق

الملحق رقم 01 : شهادة ميلاد غرافة ابراهيم صادرة من بلدية غرداية

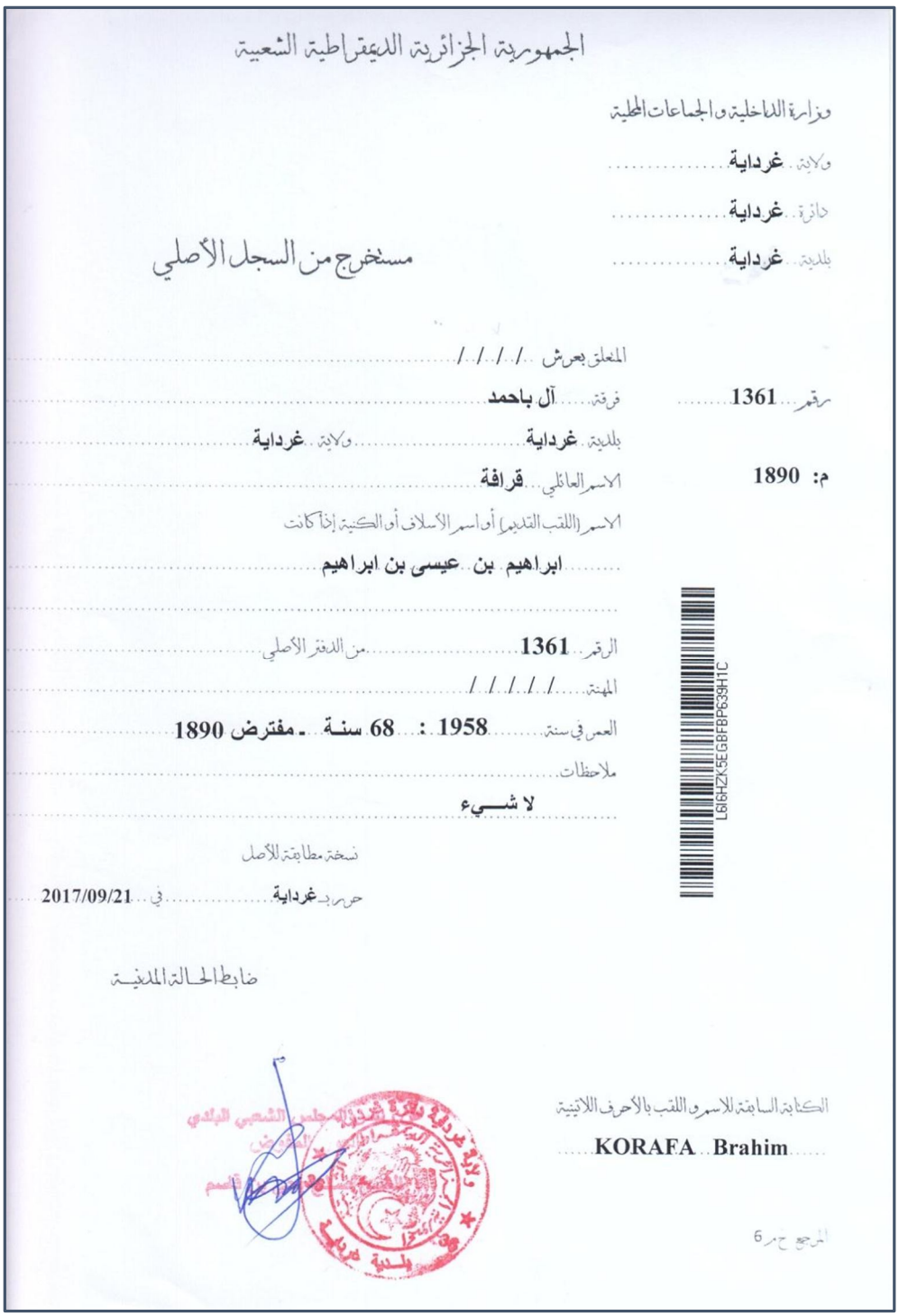

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الداخلية و الجماعات المحلية

ولاية غرداية

دائرة غرداية

بلدية غرداية

مستخرج من السجل الأصلي

المنعقد بعرش / / / /

رقم 1361 فرقة آل باحمد

بلدية غرداية ولاية غرداية

م: 1890 الاسم العائلي قرافة

الاسم (اللقب القديم) أو اسم الأسلاف أو الكنية إذا كانت

ابراهيم بن عيسى بن ابراهيم

الرقم 1361 من الدفتر الأصلي

المهنة / / / / /

العمر في سنة 1958 : 68 سنة - مفترض 1890

ملاحظات

لا شـــيء

L6I6HZK5EG8FBPG3H1C

نسخة مطابقة للأصل

حرر بـ غرداية في 2017/09/21

ضابط الحالة المدنية

الكتابة السابقة للاسم و اللقب بالأحرف اللاتينية

KORAFA Brahim

المرجع ح ر 6

الملحق رقم 02 : تقرير مراقبة تحركات مصالي الحاج مؤرخ في 1936/08/14.[1]

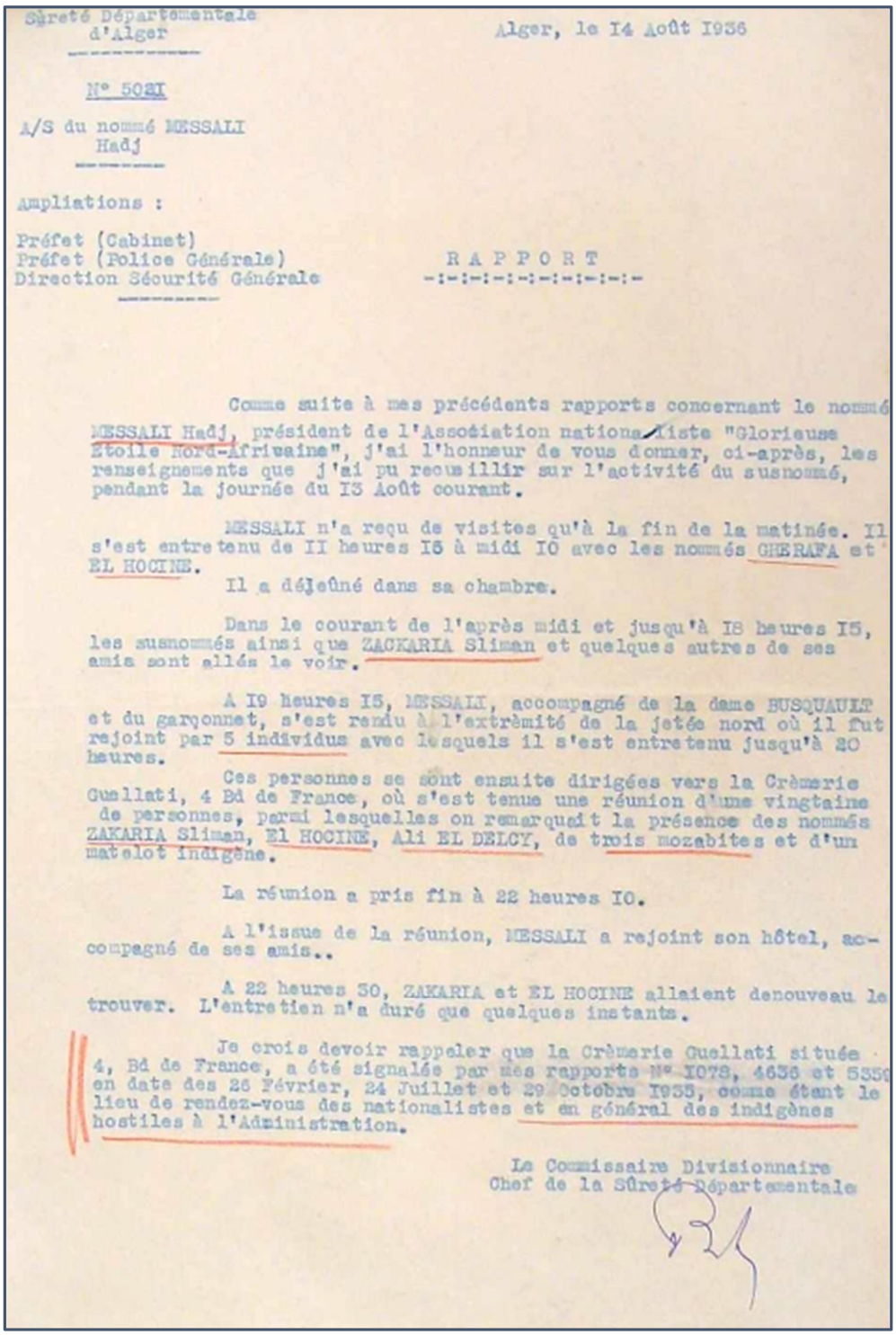

Sûreté Départementale
d'Alger

Alger, le I4 Août I936

N° 502I

A/S du nommé MESSALI
Hadj

Ampliations :

Préfet (Cabinet)
Préfet (Police Générale)
Direction Sécurité Générale

R A P P O R T

Comme suite à mes précédents rapports concernant le nommé MESSALI Hadj, président de l'Association nationaliste "Glorieuse Etoile Nord-Africaine", j'ai l'honneur de vous donner, ci-après, les renseignements que j'ai pu recueillir sur l'activité du susnommé, pendant la journée du I3 Août courant.

MESSALI n'a reçu de visites qu'à la fin de la matinée. Il s'est entretenu de II heures I5 à midi I0 avec les nommés GHERAFA et EL HOCINE.

Il a déjeûné dans sa chambre.

Dans le courant de l'après midi et jusqu'à I8 heures I5, les susnommés ainsi que ZACKARIA Sliman et quelques autres de ses amis sont allés le voir.

A I9 heures I5, MESSALI, accompagné de la dame BUSQUAULT et du garçonnet, s'est rendu à l'extrémité de la jetée nord où il fut rejoint par 5 individus avec lesquels il s'est entretenu jusqu'à 20 heures.

Ces personnes se sont ensuite dirigées vers la Crèmerie Guellati, 4 Bd de France, où s'est tenue une réunion d'une vingtaine de personnes, parmi lesquelles on remarquait la présence des nommés ZAKARIA Sliman, El HOCINE, Ali EL DELCY, de trois mozabites et d'un matelot indigène.

La réunion a pris fin à 22 heures I0.

A l'issue de la réunion, MESSALI a rejoint son hôtel, accompagné de ses amis..

A 22 heures 30, ZAKARIA et EL HOCINE allaient denouveau le trouver. L'entretien n'a duré que quelques instants.

Je crois devoir rappeler que la Crèmerie Guellati située 4, Bd de France, a été signalée par mes rapports N° I078, 4636 et 5350 en date des 26 Février, 24 Juillet et 29 Octobre I935, comme étant le lieu de rendez-vous des nationalistes et en général des indigènes hostiles à l'Administration.

Le Commissaire Divisionnaire
Chef de la Sûreté Départementale

1 المصدر: مصطفي حمودة: مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الثورة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي، إشراف د. محمد زمري، السنة الجامعية 2009-2010، ص605

الملحق رقم 03: رسالة من قائد الأمن مؤرخة في 1937/12/02 حول تركيبة اللجنة الفيدرالية لحزب الشعبي الجزائري لعمالة الجزائر.

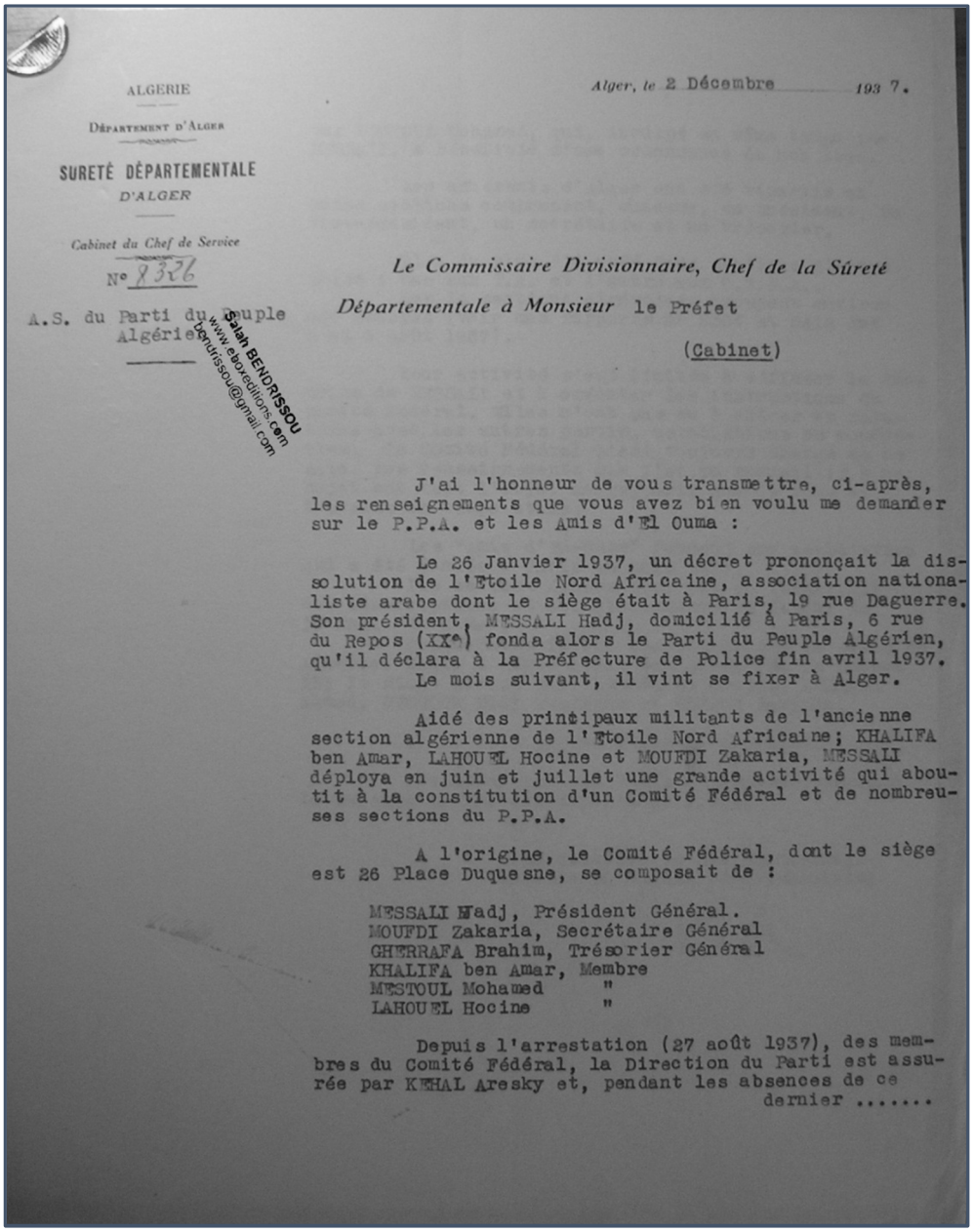

ALGERIE

DÉPARTEMENT D'ALGER

SURETÉ DÉPARTEMENTALE
D'ALGER

Cabinet du Chef de Service

N° 8326

A.S. du Parti du Peuple Algérien

Alger, le 2 Décembre 193 7.

Le Commissaire Divisionnaire, Chef de la Sûreté Départementale à Monsieur le Préfet

(Cabinet)

Salah BENORISSOU
www.eboxeditions.com
benorissou@gmail.com

J'ai l'honneur de vous transmettre, ci-après, les renseignements que vous avez bien voulu me demander sur le P.P.A. et les Amis d'El Ouma :

Le 26 Janvier 1937, un décret prononçait la dissolution de l'Etoile Nord Africaine, association nationaliste arabe dont le siège était à Paris, 19 rue Daguerre. Son président, MESSALI Hadj, domicilié à Paris, 6 rue du Repos (XX^e^) fonda alors le Parti du Peuple Algérien, qu'il déclara à la Préfecture de Police fin avril 1937.
Le mois suivant, il vint se fixer à Alger.

Aidé des principaux militants de l'ancienne section algérienne de l'Etoile Nord Africaine; KHALIFA ben Amar, LAHOUEL Hocine et MOUFDI Zakaria, MESSALI déploya en juin et juillet une grande activité qui aboutit à la constitution d'un Comité Fédéral et de nombreuses sections du P.P.A.

A l'origine, le Comité Fédéral, dont le siège est 26 Place Duquesne, se composait de :

MESSALI Hadj, Président Général.
MOUFDI Zakaria, Secrétaire Général
GHERRAFA Brahim, Trésorier Général
KHALIFA ben Amar, Membre
MESTOUL Mohamed "
LAHOUEL Hocine "

Depuis l'arrestation (27 août 1937), des membres du Comité Fédéral, la Direction du Parti est assurée par KEHAL Aresky et, pendant les absences de ce dernier .....

الملحق رقم 04: بيان بالتهم الموجهة لغرافة وزملائه سنة 1937.

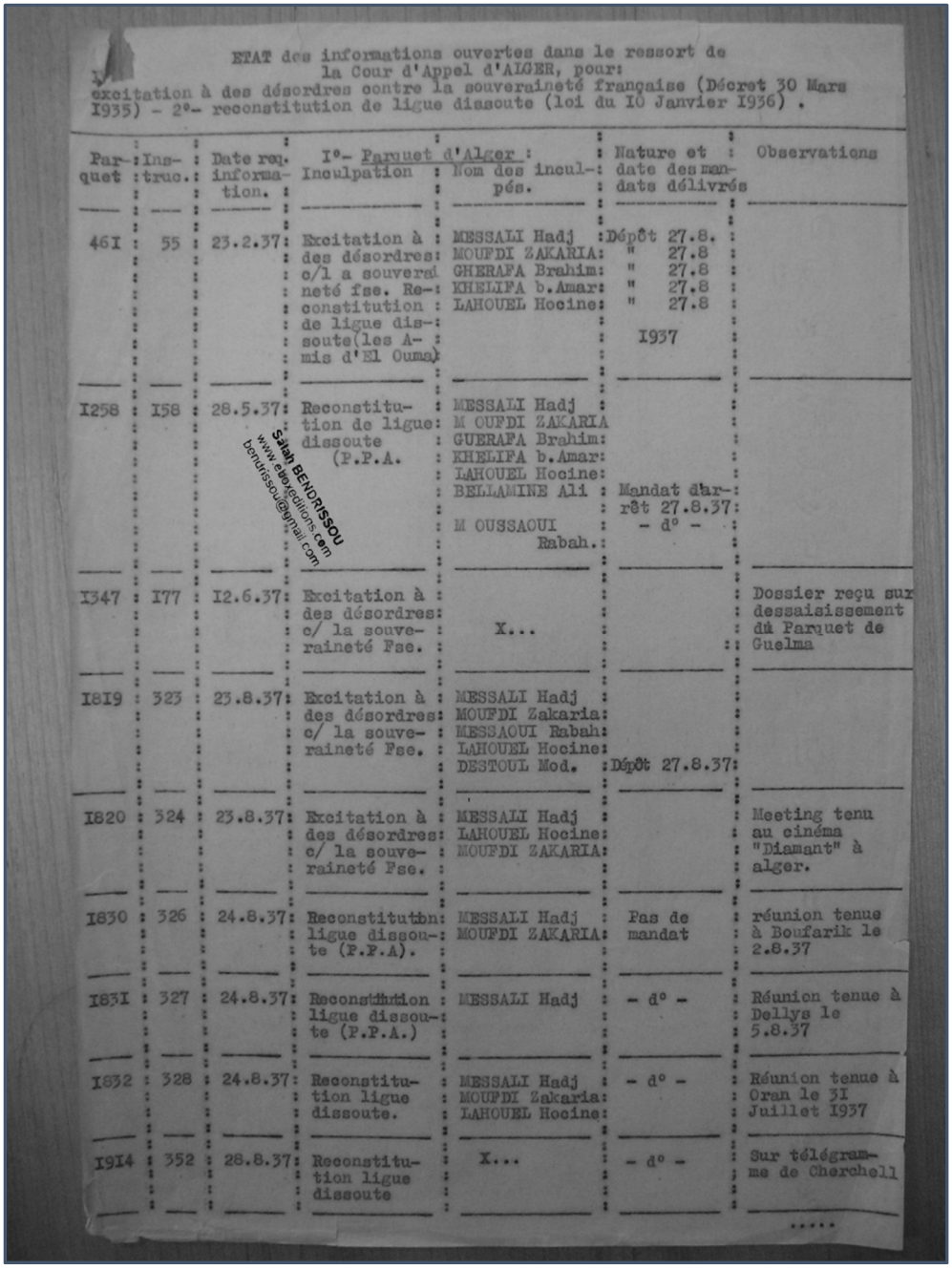

ETAT des informations ouvertes dans le ressort de la Cour d'Appel d'ALGER, pour: excitation à des désordres contre la souveraineté française (Décret 30 Mars I935) - 2°- reconstitution de ligue dissoute (loi du I0 Janvier I936).

Parquet	Instruc.	Date req. information.	I°- Parquet d'Alger : Inculpation	Nom des inculpés.	Nature et date des mandats délivrés	Observations
461	55	23.2.37	Excitation à des désordres c/l a souveraineté fse. Reconstitution de ligue dissoute(les Amis d'El Ouma)	MESSALI Hadj MOUFDI ZAKARIA GHERAFA Brahim KHELIFA b.Amar LAHOUEL Hocine	Dépôt 27.8. " 27.8 " 27.8 " 27.8 I937	
I258	I58	28.5.37	Reconstitution de ligue dissoute (P.P.A.	MESSALI Hadj M OUFDI ZAKARIA GUERAFA Brahim KHELIFA b.Amar LAHOUEL Hocine BELLAMINE Ali M OUSSAOUI Rabah.	Mandat d'arrêt 27.8.37 - d° -	
I347	I77	I2.6.37	Excitation à des désordres c/ la souveraineté Fse.	X...		Dossier reçu suite dessaisissement du Parquet de Guelma
I8I9	323	23.8.37	Excitation à des désordres c/ la souveraineté Fse.	MESSALI Hadj MOUFDI Zakaria MESSAOUI Rabah LAHOUEL Hocine DESTOUL Mod.	Dépôt 27.8.37	
I820	324	23.8.37	Excitation à des désordres c/ la souveraineté Fse.	MESSALI Hadj LAHOUEL Hocine MOUFDI ZAKARIA		Meeting tenu au cinéma "Diamant" à alger.
I830	326	24.8.37	Reconstitution ligue dissoute (P.P.A).	MESSALI Hadj MOUFDI ZAKARIA	Pas de mandat	réunion tenue à Boufarik le 2.8.37
I83I	327	24.8.37	Reconstitution ligue dissoute (P.P.A.)	MESSALI Hadj	- d° -	Réunion tenue à Dellys le 5.8.37
I832	328	24.8.37	Reconstitution ligue dissoute.	MESSALI Hadj MOUFDI Zakaria LAHOUEL Hocine	- d° -	Réunion tenue à Oran le 3I Juillet I937
I9I4	352	28.8.37	Reconstitution ligue dissoute	X...	- d° -	Sur télégramme de Cherchell

.....

Sâah BENORISSOU
www.ebooksdz.com
benorissou@gmail.com

الملحق رقم 05 :

صورة لغرافة ومفدي يقودهما البوليس السري غير مؤرخة، يحتمل أن تكون في سنة 1937 في إحدى عمليات التفتيش لقادة (ح ش ج).[1]

Au banc des accusés, de gauche à droite : MM. Messali Hadj ben Ahmed, Moufedi Zakaria, Guerafa Brahim et Lahouel Hocine. Au premier plan : Mes Déroulède, Berthon et Haddou

صورة للمحاكمة ويظهر غرافة الثاني على يمين الصورة بعد لحول حسين وبجانبه مفدي زكريا ثم مصالي الحاج.

1 المصدر: مكتبة مفدي زكريا ببني يزقن.

الملحق رقم 06 : صور المعتقلين على الصفحة الأولى من جريدة الأمة لسان حال (ح ش ج) عدد 20 سبتمبر 1937، وتظهر صورة غرافة في الوسط تحت صورة مصالي الحاج.

A TLEMCEN...

20.000 manifestants protestent contre le Commissaire de police qui, au mépris de toutes les lois et tous les règlements, viole le domicile de la sœur de Messali

A la suite d'un meeting de protestation contre l'arrestation de nos leaders, donné par la section, le sous-préfet et le commissaire ont décidé de mettre les dirigeants de la section en état d'arrestation. Le lundi soir, ayant appris que Marouf et Berrezoug se trouvaient chez la sœur de Messali, le commissaire s'y rendit en compagnie de plusieurs inspecteurs et agents de police. Malgré l'heure tardive, le commissaire pénétra de force dans l'appartement de la sœur à Messali. Celle-ci, s'étant opposée verbalement à leur entrée, a été injuriée et frappée par un policier. Marouf et Berrezoug ont été arrêtés.

MESSALI Hadj
Président du P. P. A.

La population tlemcéenne, émue par cette provocation inqualifiable de la part de la haute administration, ne tarda pas à répondre. Une grève générale a eu lieu. Mercredi, jeudi, tous les commerçants et notables se sont rendus à la mosquée. Une foule évaluée à plus de vingt mille personnes s'assembla devant la mosquée.

xxx

Les manifestants, dans un ordre impeccable, mais dont une farouche décision se lisait sur le visage, ont parcouru toutes les rues, réclamant la libération de tous les détenus et la révocation du prétentieux commissaire.

Salah BENDRISSOU
www.ebookseditions.com
bendrissou@gmail.com

Mestoul Mohamed

Gherafa Brahim

Messaoui Rabah

الملحق رقم 07: صورة لغرافة وزملائه في قفص الاتهام نشرتها جريدة إيكو دالجي بتاريخ 1937/11/03.[1]

L'AFFAIRE DU PARTI DU PEUPLE ALGÉRIEN

Devant leurs juges Messali et ses coinculpés

répudient toute violence et affirment que la réalisation de leur programme doit s'accomplir dans la légalité avec l'aide effective de la France

Le jugement sera rendu jeudi

Au banc des accusés, de gauche à droite : MM. Messali Hadj ben Ahmed, Moufedi Zakaria, Guerrafa Brahim et Laheuel Moslne, au premier plan : Mes Dérouiède, Berthon et Haddou

Lorsque, à 7 h. 50, les inculpés descendirent, rue de la Liberté, de leurs taxis et pénétrèrent au Palais de justice par la porte des chambres d'instruction, le service d'ordre assez important et totalement apparent qui avait été prévu pour réprimer toute manifestation intempestive, n'eut pas à intervenir. Rares, en effet, étaient les curieux, arabes ou européens, qui stationnaient aux alentours du Palais. C'est donc dans le calme le plus abso-

tion a refusé d'accorder aux prévenus le régime spécial prévu dans ce cas.

L'incident est joint au fond.

M. Messali donne alors lecture d'une note écrite destinée à préciser ses pensées et ses conceptions politiques et dans laquelle il proteste contre les inculpations dont il est l'objet, et affirme que dans aucun cas il n'a poussé ses partisans à agir par la violence.

Il s'y défend également d'être un agent de l'étranger.

1 المصدر: موقع gallica

الملحق رقم 08: مقال في جريدة الأمة (عدد ديسمبر 1937) حول محاكمة غرافة وزملائه، ويظهر غرافة على يمين الصورة ومصالي الحاج على اليسار.

En marge des condamnations

Il serait puéril d'affirmer que la répression est accueillie avec la plus cordiale indifférence au sein du P.P.A. Il serait absolument faux d'affirmer qu'elle nous inspire de la crainte. Pour être dans le vrai, disons qu'elle est inscrite dans notre programme. Les militants du P.P.A. savent parfaitement ce que « lutter pour ses droits » veut dire. Ils ont affronté leur devoir en connaissance de cause.

La lutte contre la misère et la tyrannie, s'identifie pour eux avec la lutte idéologique qu'ils poursuivent. Cette lutte ne peut aboutir au succès qu'avec des sacrifices énormes qui pourraient peut-être un jour dépasser le cadre de la prison et des emprisonnements. Comme cela s'est d'ailleurs produit au Maroc. Il faut bien sy résigner puisque, historiquement le « droit » est inscrit dans les luttes. Si je parlais ici d'action directe, de désobéissance civile ou de terrorisme à la mode palestinienne, je ferais rire tous mes lecteurs. Non point que notre peuple, qui se trouve uni sous le joug de lois draconiennes et qui continue à être cyniquement bafoué sous des gouvernements auxquels il a rêvé dans des jours pourtant meilleurs, n'en serait pas capable, mais justement parce que notre peuple a une maturité politique qu'on ne veut pas lui reconnaitre. Et cette maturité politique lui défend, pour le moment, de passer aux excès. L'heure serait plutôt à une conciliation générale. Il suffit de se comprendre pour s'entendre..

Il n'est pas question de se battre — comme l'émir Khaled —, mais à un parti politique organisé, où un dirigeant, si populaire et si intelligent soit-il, n'est jamais indispensable. Et c'est le P.P.A... Messali et plusieurs autres dirigeants sont, en prison, et le P.P.A. suit naturellement la voie qui doit le conduire au succès. Des sections se créent un peu partout, chaque jour. Sa voix est d'autant plus écoutée qu'elle émane de gens qui ont donné des preuves de leur courage et de leur sincérité.

Les amateurs de la politique de force peuvent déchanter. On ne « mâtera » pas le peuple algérien. Il réclame du travail, de l'instruction et de la liberté. Il les aura malgré tout, malgré l'impérialisme.

BOUCHAKOR.

Au procès d'Alger : on reconnait Messali, Zakaria derrière Me Berthon, Gherafa.

الملحق رقم 09 : بطاقات تضامن مع المعتقلين، نشرتها جريدة الأمة في جانفي 1938.[1]

1 المصدر: صالح بن دريسو، مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية: تر مصطفى حمـــودة، ebox Editions، مطبعة الافاق، بني يزقن، غرداية، الجزائر، 2012، ص 171.

الملحق رقم 10: تقرير من قائد الشرطة الخاصة حول تحركات غرافة ابراهيم بعد خروجه مباشرة من سجن ميزون كاري (الحراش) في 27 أوت 1938.

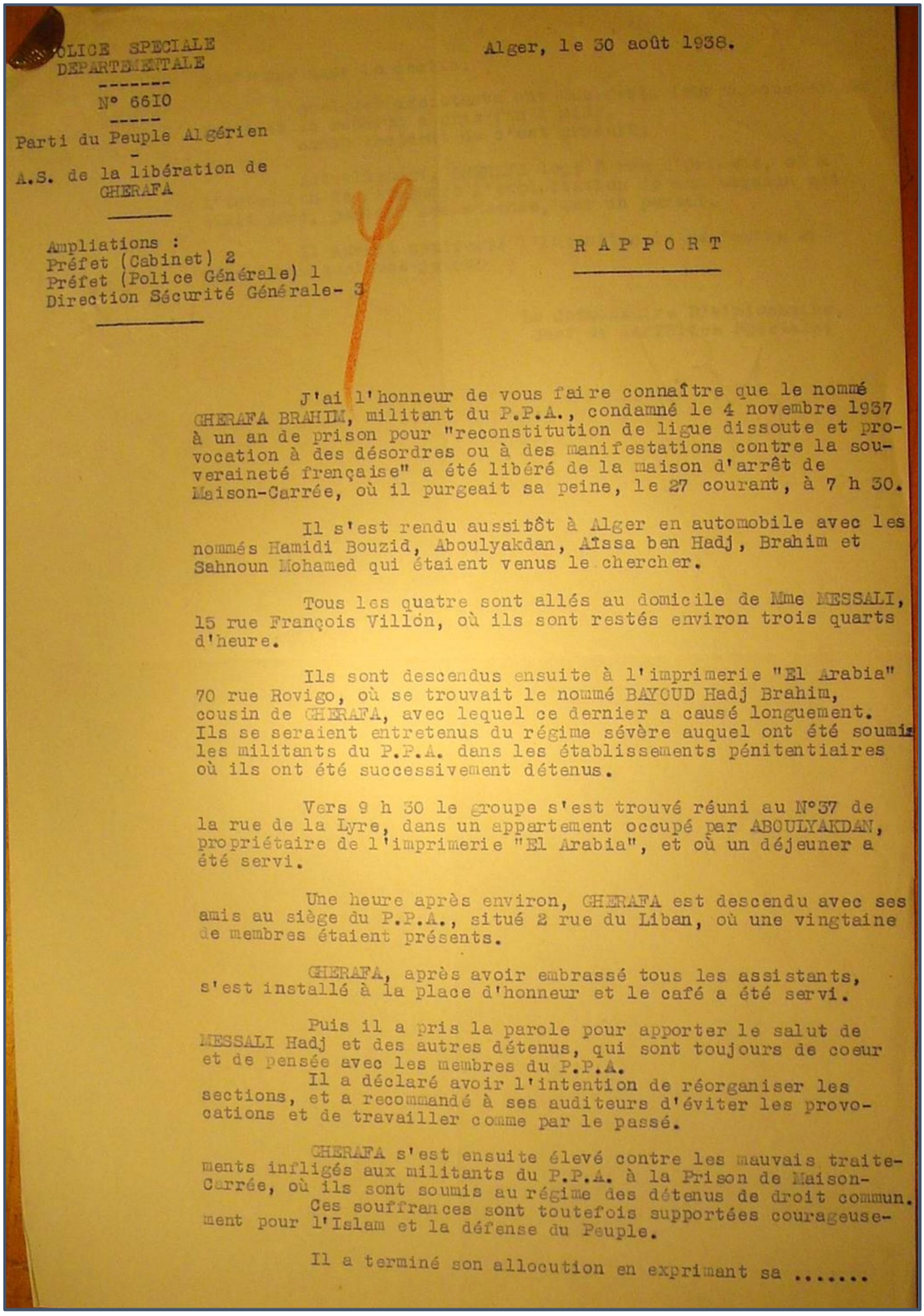

POLICE SPECIALE
DEPARTEMENTALE

N° 6610

Parti du Peuple Algérien
-
A.S. de la libération de
GHERAFA

Alger, le 30 août 1938.

Ampliations :
Préfet (Cabinet) 2
Préfet (Police Générale) 1
Direction Sécurité Générale- 3

RAPPORT

J'ai l'honneur de vous faire connaître que le nommé GHERAFA BRAHIM, militant du P.P.A., condamné le 4 novembre 1937 à un an de prison pour "reconstitution de ligue dissoute et provocation à des désordres ou à des manifestations contre la souveraineté française" a été libéré de la maison d'arrêt de Maison-Carrée, où il purgeait sa peine, le 27 courant, à 7 h 30.

Il s'est rendu aussitôt à Alger en automobile avec les nommés Hamidi Bouzid, Aboulyakdan, Aïssa ben Hadj, Brahim et Sahnoun Mohamed qui étaient venus le chercher.

Tous les quatre sont allés au domicile de Mme MESSALI, 15 rue François Villon, où ils sont restés environ trois quarts d'heure.

Ils sont descendus ensuite à l'imprimerie "El Arabia" 70 rue Rovigo, où se trouvait le nommé BAYOUD Hadj Brahim, cousin de GHERAFA, avec lequel ce dernier a causé longuement. Ils se seraient entretenus du régime sévère auquel ont été soumis les militants du P.P.A. dans les établissements pénitentiaires où ils ont été successivement détenus.

Vers 9 h 30 le groupe s'est trouvé réuni au N°37 de la rue de la Lyre, dans un appartement occupé par ABOULYAKDAN, propriétaire de l'imprimerie "El Arabia", et où un déjeuner a été servi.

Une heure après environ, GHERAFA est descendu avec ses amis au siège du P.P.A., situé 2 rue du Liban, où une vingtaine de membres étaient présents.

GHERAFA, après avoir embrassé tous les assistants, s'est installé à la place d'honneur et le café a été servi.

Puis il a pris la parole pour apporter le salut de MESSALI Hadj et des autres détenus, qui sont toujours de coeur et de pensée avec les membres du P.P.A.
Il a déclaré avoir l'intention de réorganiser les sections, et a recommandé à ses auditeurs d'éviter les provocations et de travailler comme par le passé.

GHERAFA s'est ensuite élevé contre les mauvais traitements infligés aux militants du P.P.A. à la Prison de Maison-Carrée, où ils sont soumis au régime des détenus de droit commun.
Ces souffrances sont toutefois supportées courageusement pour l'Islam et la défense du Peuple.

Il a terminé son allocution en exprimant sa .....

confiance dans le destin.

Quelques assistants ont manifesté leur dévouement au Parti et la réunion a pris fin à midi.
Aucun incident de s'est produit.

Actuellement, CHERAFA loge 3 rue d'Orléans, et a l'intention de reprendre l'exploitation de son magasin qui était géré, pendant son absence, par un parent.

Il aurait manifesté l'intention de se rendre au M'Zab dans quelques jours.

Le Commissaire Divisionnaire,
Chef de la Police Spéciale;

الملحق رقم 11: مقال في جريدة الأمة (عدد مارس 1939) عنوانه: أبطال القضية الجزائرية (غرافة رقم 08 في الصورة).

Les héros de la cause algérienne

(1) FILLALI AMBARCK (2) DJILLANI (3) JELLOUL (4) GUENANECH (5) DJELLOIL (6) BELOSMANE (7) TILLALI ALI et GHERAFA BRAHIM

Vois-tu, peuple algérien, la prison n'altère pas les hommes! L'exemple est retentissant. Voyons nos braves militants qui viennent d'être libérés ; ils sont contents de vous montrer que tout à une fin. De ce fait, soyez persuadés que malgré toutes les entraves que mettra devant nous l'impérialisme français, l'Algérie sortira un jour prochain libre et prospère de dessous la botte du colon, à l'instar de ces héros qui connaissent maintenant ce que c'est que la prison et qui, dès leur sortie, n'ont pas hésité un seul instant pour reprendre leur place respective dans la lutte, plus acharnée que jamais, pour notre droit à la vie. Ces exemples tout frais doivent anéantir en vous l'influence de l'intimidation et vous sortir de l'hésitation pour vous mettre tous en avant pour la conquête de vos droits.

O! vous tous! héros de la cause algérienne, nous vous disons : bravo! et le peuple vous en sera reconnaissant.

Et vous, qui vous êtes cachés jusqu'ici... Sortez! N'ayez pas peur et soyez les bienvenus!

EL-OUMA.

الملحق رقم 12: صورة لقرار وضع غرافة تحت الإقامة المحروسة في معتقل جنين بورزق، صادر من والي الجزائر في 30 أفريل 1940.

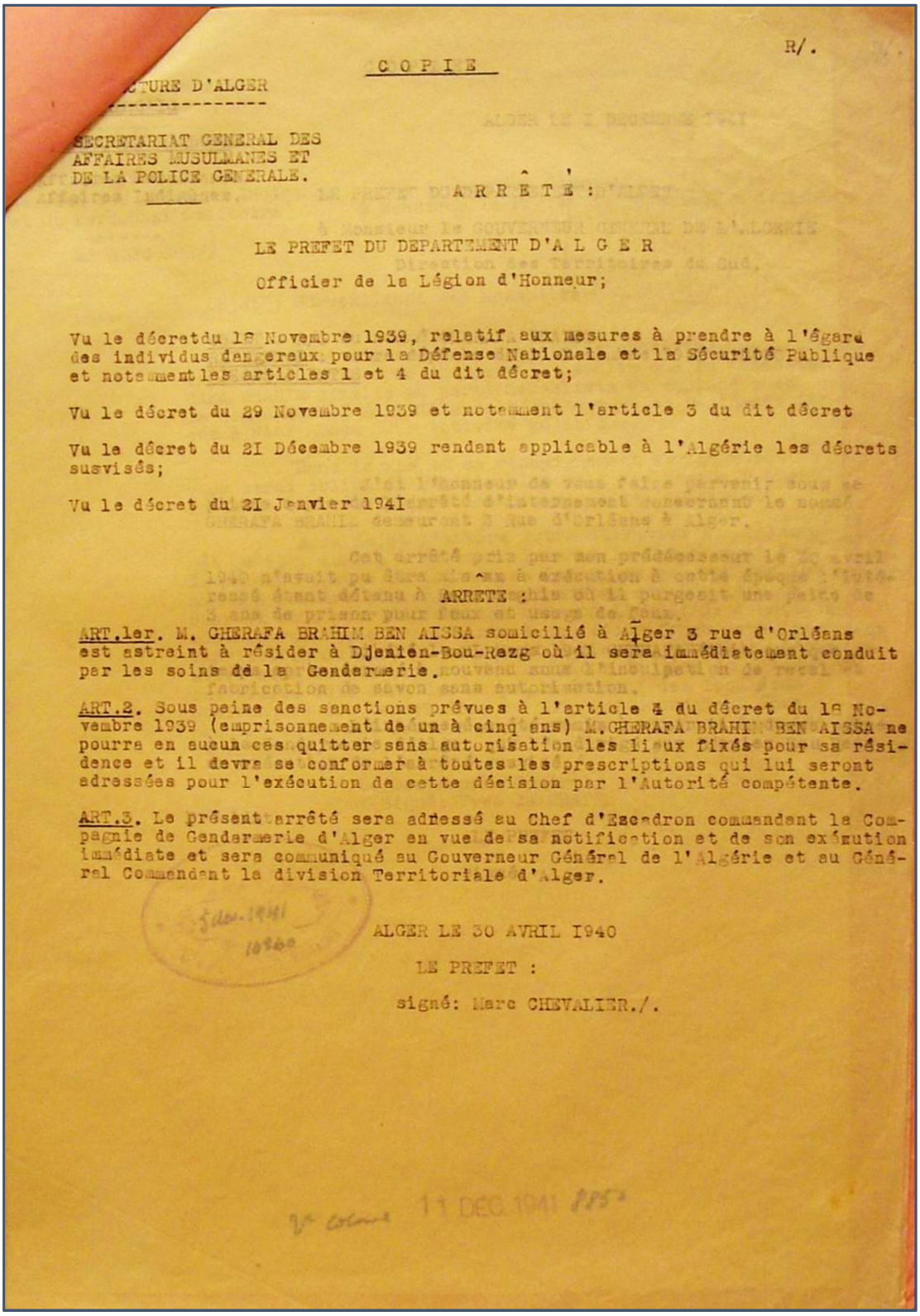

R/.

C O P I E

...TURE D'ALGER

SECRETARIAT GENERAL DES
AFFAIRES MUSULMANES ET
DE LA POLICE GENERALE.

A R R E T E :

LE PREFET DU DEPARTEMENT D'A L G E R

Officier de la Légion d'Honneur;

Vu le décretdu 18 Novembre 1939, relatif aux mesures à prendre à l'égard des individus dangereux pour la Défense Nationale et la Sécurité Publique et notamment les articles 1 et 4 du dit décret;

Vu le décret du 29 Novembre 1939 et notamment l'article 3 du dit décret

Vu le décret du 2I Décembre 1939 rendant applicable à l'Algérie les décrets susvisés;

Vu le décret du 2I Janvier 194I

ARRETE :

ART.1er. M. GHERAFA BRAHIM BEN AISSA somicilié à Alger 3 rue d'Orléans est astreint à résider à Djenien-Bou-Rezg où il sera immédiatement conduit par les soins de la Gendarmerie.

ART.2. Sous peine des sanctions prévues à l'article 4 du décret du 18 Novembre 1939 (emprisonnement de un à cinq ans) M.GHERAFA BRAHIM BEN AISSA ne pourra en aucun cas quitter sans autorisation les lieux fixés pour sa résidence et il devra se conformer à toutes les prescriptions qui lui seront adressées pour l'exécution de cette décision par l'Autorité compétente.

ART.3. Le présent arrêté sera adressé au Chef d'Escadron commandant la Compagnie de Gendarmerie d'Alger en vue de sa notification et de son exécution immédiate et sera communiqué au Gouverneur Général de l'Algérie et au Général Commandant la division Territoriale d'Alger.

ALGER LE 30 AVRIL I940

LE PREFET :

signé: Marc CHEVALIER./.

الملحق رقم 13: رسالة من الحاكم العام حول فرض الإقامة الجبرية على غرافة في مدينة غرداية مؤرخة في 23 أكتوبر 1942.

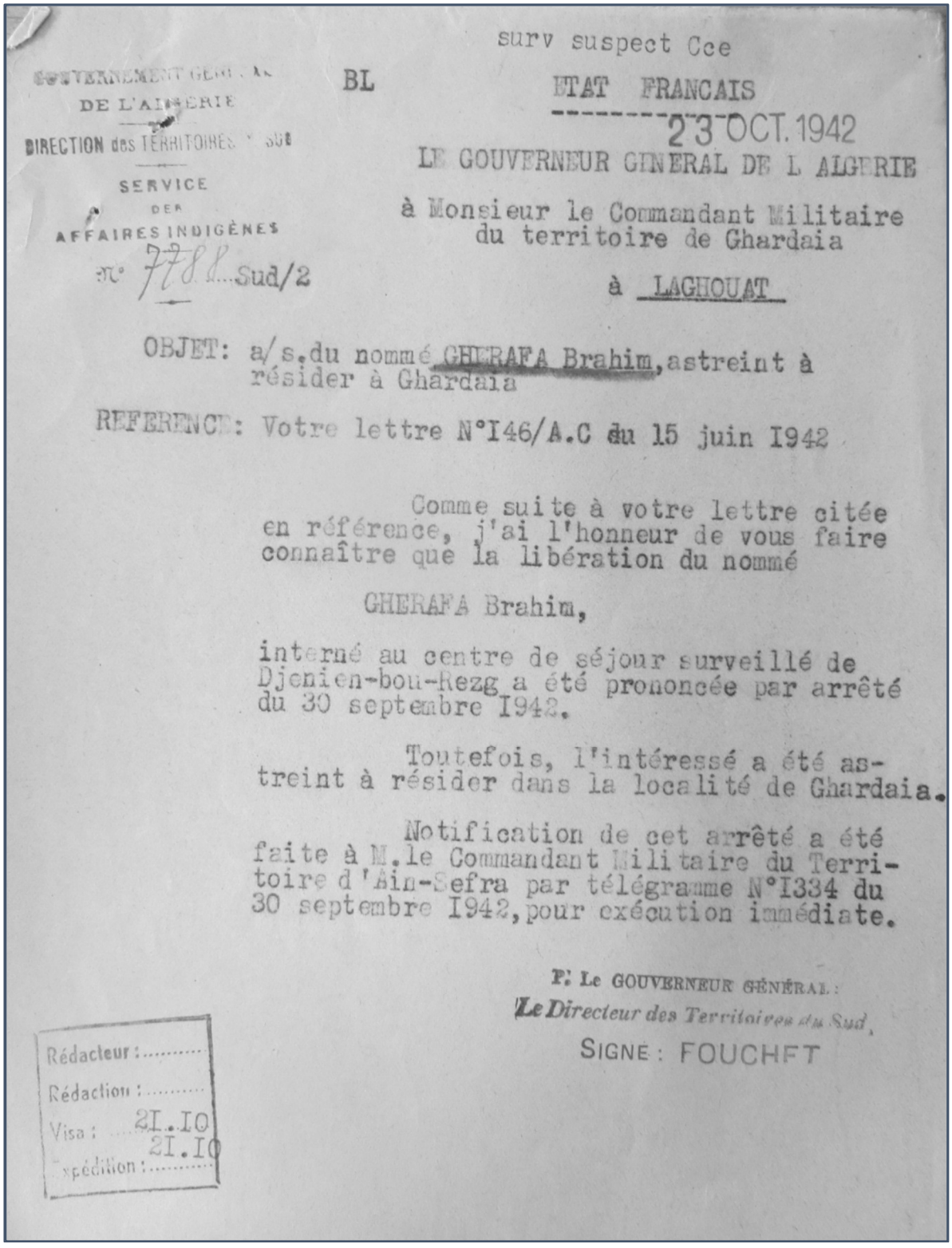

surv suspect Cce

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE
DIRECTION des TERRITOIRES du SUD
SERVICE DES AFFAIRES INDIGÈNES
N° 7788 Sud/2

BL

ETAT FRANCAIS

23 OCT. 1942

LE GOUVERNEUR GENERAL DE L ALGERIE

à Monsieur le Commandant Militaire du territoire de Ghardaia

à LAGHOUAT

OBJET: a/s.du nommé GHERAFA Brahim,astreint à résider à Ghardaia

REFERENCE: Votre lettre N°I46/A.C du 15 juin I942

Comme suite à votre lettre citée en référence, j'ai l'honneur de vous faire connaître que la libération du nommé

GHERAFA Brahim,

interné au centre de séjour surveillé de Djenien-bou-Rezg a été prononcée par arrêté du 30 septembre I942.

Toutefois, l'intéressé a été astreint à résider dans la localité de Ghardaia.

Notification de cet arrêté a été faite à M.le Commandant Militaire du Territoire d'Ain-Sefra par télégramme N°I334 du 30 septembre I942,pour exécution immédiate.

P. Le GOUVERNEUR GÉNÉRAL:
Le Directeur des Territoires du Sud,
SIGNÉ: FOUCHET

Rédacteur:.....
Rédaction:.....
Visa: 2I.IO
Expédition: 2I.IO

الملحق رقم 14: تقرير حول جنازة غرافة ابراهيم مؤرخ في 19 نوفمبر 1947.[1]

Ann. 021. CAOM. 4I.

Rapport : A/s. des obsèques de GHERRAFA Brahim.

Alger, le 19 novembre 1947.

J'ai l'honneur de vous faire connaître que ce jour ont eu lieu à Alger les obsèques du nommé GHARRAFA Brahim, employé de commerce, membre du Comité Fédéral du M.T.L.D. …

La levée du corps s'est effectuée à 12 heures précises au domicile de MOUFDI Zakaria, 8, rue du Divan à Alger, en présence de 1.500 à 2.000 personnes environs.

L'inhumation a eu lieu au cimetière mozabite de Sidi Ben-Nour près de Notre Dame d'Afrique. …

Des allocutions ont été prononcées au cimetière successivement par M. Zakaria, par un représentant de la collectivité mozabite, par deux professeurs libres (non identifiés) et par MESSALI Hadj qui avait attendu le convoi funèbre à l'entrée du cimetière.

M. MESSALI Hadj a, en quelques mots, retracé la vie du défunt, tout de dévouement à la cause Nationaliste. Il n'a pas caché ses regrets de voir partir si tôt un de ses meilleurs collaborateurs.

GUARAFA (sic), a-t-il dit en terminant le chef du P.P.A. : tu nous quittes, mais je te fais le serment que la mission que tu t'étais donnée sera poursuivie jusqu'à sa complète réalisation, c'est-à-dire jusqu'à l'Indépendance totale de notre Peuple. …

Les personnalités nationalistes suivantes ont assisté à cette inhumation : MM.

MEZERNA A. Député M.T.L.D. ; LAHOUEL Houcine, Adjoint au Maire d'Alger; ASSELAH Hocine, idem; MESTOUL, idem.; BOUCHAKOUR, idem; BASTA, idem ; REBAH Lakhdar, Conseiller Municipal d'Alger ; DJOUZI Med. Idem; SEGHIR, idem; BENZEREG, idem; ABDELTIF, idem; SEBAH Youcef, idem; BOUDJROUDI, idem et le Cheikh ZAHIRI, directeur du Maghrib El-Arabi.

Aucun incident à signaler.

Signé : Le Commissaire Divisionnaire de la PRG. Chef du District d'Alger.

Signé COSTES G.

Préf. d'Alger, Cabinet SLNA. (Service des Liaisons Nord-Africaines). N° 11-9.

Copie conforme transmise à SLNA. Central d'Alger (3). 5 nov. 1947.

1 المصدر: صالح بن دريسو، مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية: تر مصطفى حمودة، ebox Editions، مطبعة الافاق، بني يزقن، غرداية، الجزائر، 2012، ص 175.

الملحق رقم 15 :

صورة للافتة شارع غرافة ابراهيم في حي باب الواد بالجزائر العاصمة،

وتم تصحيف لقب غرافة فيها.

صورة للافتة شارع الشهيد ابراهيم غرافة في مدينة سكيكدة

الملحق رقم 01	شهادة ميلاد غرافة ابراهيم صادرة من بلدية غرداية
الملحق رقم 02	تقرير مراقبة تحركات مصالي الحاج مؤرخ في 1936/08/14
الملحق رقم 03	رسالة من قائد الأمن مؤرخة في 1937/12/02 حول تركيبة اللجنة الفيدرالية لحزب الشعبي الجزائري لعمالة الجزائر
الملحق رقم 04	بيان بالتهم الموجهة لغرافة وزملائه سنة 1937
الملحق رقم 05	صورة لغرافة ومفدي يقودهما البوليس السري غير مؤرخة، وصورة ثانية للمحاكمة
الملحق رقم 06	صور المعتقلين على الصفحة الأولى من جريدة الأمة لسان حال (ح ش ج) عدد 20 سبتمبر 1937.
الملحق رقم 07	صورة لغرافة وزملائه في قفص الاتهام نشرتها جريدة إيكو دالجي بتاريخ 1937/11/03
الملحق رقم 08	مقال في جريدة الأمة (عدد ديسمبر 1937) حول محاكمة غرافة وزملائه
الملحق رقم 09	بطاقات تضامن مع المعتقلين، نشرتها جريدة الأمة في جانفي 1938
الملحق رقم 10	تقرير من قائد الشرطة الخاصة حول تحركات غرافة ابراهيم بعد خروجه مباشرة من سجن ميزون كاري (الحراش) في 27 أوت 1938
الملحق رقم 11	مقال في جريدة الأمة (عدد مارس 1939) عنوانه: أبطال القضية الجزائرية
الملحق رقم 12	صورة لقرار وضع غرافة تحت الإقامة المحروسة في معتقل جنين بورزق، صادر من والي الجزائر في 30 أفريل 1940
الملحق رقم 13	رسالة من الحاكم العام حول فرض الإقامة الجبرية على غرافة في مدينة غرداية مؤرخة في 23 أكتوبر 1942
الملحق رقم 14	تقرير حول جنازة غرافة ابراهيم مؤرخ في 19 نوفمبر 1947
الملحق رقم 15	صورة للافتة شارع غرافة ابراهيم في حي باب الواد بالجزائر العاصمة وصورة للافتة شارع الشهيد ابراهيم غرافة في مدينة سكيكدة

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الأرشيف:

1 وثيقة معلومات صادرة من أمن عمالة الجزائر حـــول غرافـــة ، د ر، 1937/12/13، 4i131، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة.

2 وثيقة معلومات صادرة من أمن عمالة الجزائـــر حـــول غرافـــة ، در، 1937/12/13، 4i131، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة.

3 تقرير رقم: 3697، غ م، (ANOM) ينظر: ملف التقارير الأمنية حول مفدي زكريا، مكتبة مفدي زكريا ببني يزقن، غرداية

4 رسالة من قائد الأمن لعمالة الجزائـــر، رقـــم: 1078، 26 /02/ 1935، 4i1031، (ANOM)، موضوعه: مراقبة مقاهي الأهالي.

5 تقرير من قائد ملحقة غرداية رقـــم: 54، 1937/04/03، (ANOM)، موضـــوعه : رحلة بعثة الشبيبة الوطنية الجزائرية الى تونس، ملف تقارير حول مفدي زكريا، مكتبـــة مفدي زكريا ببني يزقن، وقد وصف في التقرير بأنه صاحب دعاية نشطة، وشيوعي.

6 تقرير من مدير الأمن، رقم: 5874، 09/29/ 1936م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: مراقبة مصالي، وثيقة من صفحة واحدة.

7 تقرير من مدير الأمن، رقم: 6367، 1936/10/19م، 1f، (ANOM)، موضـــوعه: مراقبة مصالي، وثيقة من صفحة واحدة

8 تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 594، 1937/01/22م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ن ش إ)، وثيقة من صفحة واحدة.

9 تقرير من مدير الأمـــن لعمالـــة الجزائـــر، رقـــم: 500، 01/27/ 1937م،9h47، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ن ش إ)، وثيقة من صفحة واحدة.

10 تقرير مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 1444، 03/09/ 1937م، 4i5، (ANOM)، موضوعه: مراقبة فرع الجزائر لأحباب الأمة، وثيقة من صفحة واحدة.

11 تقرير من الحاكم العام للجزائر، رقم: 4728، 03/15/ 1937م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: فرع الجزائر لأحباب الأمة، وثيقة من صفحة واحدة.

12 تقرير صادر من غرفة الاتهام الثانية، د ر، غ م، 9h49، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحتين.
13 تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 5307، جويلية 1937، 4i6، (ANOM)، موضوعه: تأسيس فروع (ح ش ج)، وثيقة من أربع صفحات.
14 تقرير من والي الجزائر، غ م، 1937/12/09، 4i5، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من 6 صفحات.
15 تقرير من محافظ الشرطة، رقم: 777، 1937/07/26م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.
16 تقرير من النائب العام لدى محكمة الاستئناف للجزائر العاصمة، د ر، 1937/08/27م، 1f، (ANOM) موضوعه: توقيف قادة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.
17 تقرير من مدير الأمن لعمالة الجزائر، رقم: 7476، 1937/11/03م، 1f، (ANOM)، موضوعه: وقائع المحاكمة، وثيقة من صفحتين.
18 نسخة من سجل محكمة الجزائر، رقم: 4863، 1937/11/04م، 1f، (ANOM)، موضوعه: المحاكمة، وثيقة من صفحتين.
19 بيان صادر من (ح ش ج) ، د ر، غ م، 4i4، (ANOM)، موضوعه: اعتقال قادة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.
20 تقرير من نائب مسؤول الأمن في عمالة الجزائر، رقم: 6034، 1937/09/03، 4i4، (ANOM)، موضوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.
21 تقرير مدير السجن للجزائر العاصمة، رقم: 2176، 1937/10/01م، 1f، (ANOM)، موضوعه: إضراب المعتقلين عن الطعام، وثيقة من صفحة واحدة.
22 تقرير من مدير السجن، رقم: 2228، 1937/10/07م، 4i5، (ANOM)، موضوعه: الفحص الطبي للمضربين عن الطعام، وثيقة من صفحة واحدة.
23 تقرير من مدير السجن، رقم: 2245، 1937/10/09م، f1، (ANOM)، موضوعه: الفحص الطبي للسجناء بعد إيقافهم عن الإضراب، وثيقة من صفحة واحدة.

24 تقرير من مدير السجن لميزن كـــاري (الحـــراش)، رقـــم: 1940، 1938/08/17، 1f، (ANOM)، موضوعه: اطلاق سراح غرافة، وثيقة من صفحة واحدة.

25 تقرير من قائد الشرطة الخاصة، رقـــم 5941 ، غ م، 4i4، (ANOM)، موضـــوعه: مراقبة (ح ش ج)،وثيقة من صفحتين.

26 تقرير من قائد الشرطة الخاصة، رقـــم: 6610، 1938/08/30 ، 4i5، (ANOM)، موضوعه: تحرير غرافة، وثيقة من صفحتين.

27 تقرير من قائد الأمن، رقم: 6132، 1938/08/30، 4i4، (ANOM)، موضـــوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.

28 تقرير من قائد الأمن، د ر، 1938/09/10، 4i6، (ANOM)، ، موضوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.

29 رسالة من المحافظ المركـــزي للشـــرطة، رقـــم: 11836، 1938/09/19، 4i131، (ANOM)، موضوعها: مراقبة غرافة ابراهيم، وثيقة من صفحة واحدة.

30 تقرير من قائد الأمن رقم: 7055، 1938/10/03، 4i4، (ANOM)، موضـــوعه: مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.

31 وثيقة معلومات، د ر، 1938/11/21، 4i131، (ANOM)، موضوعها: مراقبـــة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة

32 تقرير من مدير الأمن، رقم: 1648، 1939/02/20، 4i4، (ANOM)، موضوعه : مراقبة (ح ش ج)، وثيقة من صفحة واحدة.

33 تقرير من قائد الشرطة الخاصة، رقـــم: 9008، 4i5، 1938/10/02، (ANOM)، موضوعه: تفتيش مقرات وأعضاء (ح ش ج)، وثيقة من 09 صفحات.

34 قرار من والي الجزائر، د ر ، 1940/04/30، 9h68، (ANOM)، موضوعه: فرض الإقامة المحروسة على غرافة ابراهيم، وثيقة من صفحة واحدة

35 بطاقة شخصية حول غرافة ابراهيم، اصدرها مركز المعلومات والدراسات، CIE، رقم: 1450، 1941/11/22 ، 9h123، (ANOM)، وثيقة من صفحة واحدة.

36 تقرير من القائد العسكري لأراضي الجنوب، رقـــم: 597، 1942/04/24، 4i131، (ANOM)، موضوعه: تقديم رأي سلبي بشأن تسريح غرافة، وثيقة من صفحة واحدة.

37 تقرير من القائد العسكري لأراضي الجنوب، رقـــم: 57، 1942/05/20، 9h123، (ANOM)، موضوعه: تسريح غرافة، وثيقة من صفحة

38 رسالة من الحـــاكم العـــام للجزائـــر، رقـــم: 7788، 1942/10/23م، 9h123، (ANOM)، موضوعها: مراقبة غرافة، وثيقة من صفحة واحدة.

39 قرار صادر من سفير فرنسا (الحاكم العام للجزائر)، رقـــم: 2913، 1943/04/23، 4i131، (ANOM)، موضوعها: إلغاء فرض الاقامة الجبرية على غرافة، وثيقـــة مـــن صفحة واحدة.

40 تقرير من مدير الأمـــن عمالـــة الجزائـــر، رقـــم: 5531، 1947/11/19، 4i131، (ANOM)، موضوعه: جنازة غرافة ابراهيم، وثيقة من صفحتين.

ثانيا : المصادر :

أ. غير المنشورة :

- بوجناح سليمان بن يحي "الفرقد": **كشكول الفرقد**، نسخة عبد الرحمـــان حـــواش، مرقون

ب. المنشورة

باللغة العربية :

1- عباس محمد: **رواد الوطنية: شهادات 28 شخصية وطنية**، دار هومة، الجزائر، 2009، ص9

2- عبدون محمود: **شهادة مناضل من الحركة الوطنية** ، منشورات دحلب ، الجزائر،2013

3- فخار حمو عمر: **ابراهيم بن بابا بوعروة :الشيخ بابا ثامر حياته وآثاره**، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، 2003

4- فرحات عباس: **ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر رحال، منشورات الجزائر للكتب، الجزائـــر، 2011

5- قداش محفوظ ، محمد قنانش : **نجم شمال افريقيا 1926-1937: وثـــائق وشـــهادات لدراسة التيار الوطني**، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2013

6- قنانش محمد: **الحركة الاستقلالية في الجزائر مابين الحربين 1919 – 1939م**، الشـــركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

7- مصالي الحاج: **مذكرات مصالي الحاج 1898-1938م**، تر محمد المعراجي، منشـــورات ANEP، الجزائر، 2007

8- النوري حمو محمد عيسى : **دور الميزابيين في تاريخ الجزائـــر قـــديما وحـــديثا**،ج1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، غ م

باللغة الأجنبية :

1- Berkani Mohamed Arezki : **L'Histoire de Djenien-Bou-rezg** : **Trois Années de Camp**, Koudia, Setif, 1965

2- Mohamed Mestoul Mohammed : **Messali à Alger 1936**, Messali Hadj 1898-1998, parcours et témoignages, Casbah Editions, Alger ,2006

ثالثا: المراجع

أ .باللغة العربية:

1- أجرون شارل روبير: **تاريخ الجزائر المعاصرة : من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، تر: محمد حمداوي، ابراهيم صحراوي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ج2

2- بالحاج صالح : **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910–1939**، منشورات بن مرابط، الجزائر،2015

3- بلاح بشير:**كرونولوجيا الجزائر من 1830 إلى 2000**،دزاير انفو، الجزائر، **2013**

4- بلعزو العربي: **اللاجئون الإسبان في الجزائر خلال (1936–1962م)**، دزاير أنفو، 2013

5- بلوفة عبد القادر جيلالي: **حركة الانتصار للحريات الديموقراطية (1939–1945)**، دار الالمعية، الجزائر، 2011

6- بن خليف عبد الوهاب: **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دار طليطلة، الجزائر، 2009

7- بن دريسو صالح ، **مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية**: تر مصطفى حمودة،ebox Editions، مطبعة الافاق، بني يزقن، غرداية، الجزائر، 2012

8- بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013

9- بوصفصاف عبد الكريم: **جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الوطنية 1931–1945**، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1981

10- بوعزيز يحي : **السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830-1954**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

11- بوعزيز يحي: **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912 – 1948**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991

12- بومعقل محمد: **عشائر وألقاب الاباضيين الجزائريين**، ط5، 2014

13- بينيامين سطورا: **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898 – 1974م**، تر: صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1998

14- حمداوي محمد ، صحراوي ابراهيم ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ج2

15- جلال يحي: **السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1960**، دار المعرفة القاهرة، مصر، 1995

16- جندلي محمد: **عنابة في سياق وعمق الجغرافية:مبعث الحركة الوطنية بالجزائر وامتدادها إلى عنابة**، ج3، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر. 2008

17- حمودة مصطفى :**مفدي زكريا وانتاجه الأدبي إلى قيام الحرب العالمية الثانية 1908-1939م**، ج1، مطبعة الافاق، غرداية، الجزائر، 2012

18- الخطيب احمد: **الثورة الجزائرية**، دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 1970

19- الخطيب أحمد: **جمعية علماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

20- الخطيب احمد: **حزب الشعب الجزائري**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

21- خليفة بن عمارة : **تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى**، تر: بوداود عمير، دار القدس العربي، 2016

22- الدسوقي ناهد إبراهيم: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر "الحركة الوطنية في فترة ما بين الحربين 1918 – 1939"**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001

23- زوزو عبد الحميد: **الدور السياسي للهجرة الى فرنسا بين الحـــربين 1914– 1939**، دار هومة ، الجزائر، 2013

24- زوزو عبد الحميد: **محطات في تاريخ الجزائر: دراسات في تاريخ الحركـــة الوطنيـــة والثورة الجزائرية**، دار هومة، 2004

25- دبوز محمد علي : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، عـــالم المعرفـــة، الجزائـــر، 2013، ج2

26- صاري الجيلالي ، قداش محفوظ: **الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية 1900 – 1945**، تر عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

27- عبد القادر حميد: **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر، 2007

28- العلوي محمد الطيب: **مظاهر المقاومة الجزائرية (1830–1954)**، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، 1994

29- عمامرة رابح تركي: **جمعية علماء المسلمين الجزائريين التاريخيـــة 1931–1956م: و رؤسائها الثلاثة**، المؤسسة الوطنية للنشر، 2004م

30- عمورة عمار: **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962**، دار المعرفة، الجزائـــر، 2006، ج2

31- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ، دار البصائر، ط6، الجزائـــر، 2009، ج2

32- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار البصائر، الجزائـــر، 2009، ج3، ط6

33- أبو القاسم سعد الله: **خلاصة تاريخ الجزائر: المقاومـــة والتحريـــر1830–1962**،دار الغرب الاسلام، بيروت ، لبنان، 2007

34- قداش محفوظ: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، تر: امحمد بن البار، دار الامة ، الجزائر 2011 ج1

35- قداش محفوظ: **جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830 – 1954**، تر: محمد المعراجي، منشورات ENEP، الجزائر، 2008

36- قنان جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية الجزائرية، 1994

37- المدني احمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية

38- مريوش احمد: **الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية**، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007

39- مقلاتي عبد الله: **المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1954** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2014

40- مهساس احمد: **الحركة الثورية في الجزائر: من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة**، تر: الحاج مسعود مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003

41- ناصر محمد صالح : **الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا و زعيما**، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017

42- ناصر محمد صالح : **أعلام وأقلام**، دار ناصر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2017

43- ناصر محمد: **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007

44- ناصر محمد: **مفدي زكريا شاعر النضال والثورة دراسة ونصوص**، ط3، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2014

رابعا : المذكرات والرسائل الجامعية:

أ باللغة العربية

1- محمد شبوب: **الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) :دراسة سياسية اقتصادية واجتماعية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: بلقاسمي بوعلام، السنة الجامعية: 2015/2014

2- مصطفي حمودة: مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الثورة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي، اشراف د محمد زمري، السنة الجامعية 2010-2009

3- ب. باللغة الأجنبية:

1- Salah BENDRISSOU, **Implantation des Mozabites dans L'Algérois enter les deux-guerres**, Thése de doctorat, Université de Paris VIII, Vincennes Saint-Denis, janvier 2000 Tome 1

خامسا : القواميس والمعاجم والموسوعات :

أ. باللغة العربية:

1 – بهوني زهية ، عبد الرحمان دحماني وآخرون: **موسوعة العلماء والأدبـــاء الجزائـــريين**، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر 2014

2 – عاشور شرفي: **مَعْلَمَة الجزائر** ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009

3 – محمد بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي ، ط2، بيروت، لبنان، 2000،ج2

4 – **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق ، بيروت، لبنان،2007، ط 28

ب. باللغة الأجنبية

1- Binjamin Stora **: Dictionnaire Biographique de militants Nationalistes Algériens**, éditions L'Harmattan, PARIS,1985
2- **Le Petit Larousse Illustré** , edition Larousse, Paris, France,1997

سادسا : الملتقيات والمهرجانات العلمية:

1- Jean-Louis Planche : **aux origines de l'étoile nord-africaine à Alger**, actes du colloque du 27 février au 1 mars 1987, Etoile nord-africaine et le mouvement national algérien, éditions ENEP, Alger, 2000

سابعا : الشهادات الشفوية:

1- مقابلة شخصية مع حفيد غرافـــة ابـــراهيم الســـيد: معـــروف عمـــر، بتـــاريخ 2018/01/10، غرداية

2- مكالمة هاتفية مع قريب غرافة من أمه السيد أولاد بهون محمد بن كاسي، جرت يوم 2018/03/31.

الفهـــرس

مقـــدمة.....02

الفصل الأول: أوضاع الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين: نصف قرن من القمع والظلم

المبحث الأول: الجزائر من 1900 إلى 1918: المخاض الصعب.....10

1. سياسة السلطة الاستعمارية في الجزائر: تجذر النظام الاستعماري.....10
2. تزايد هجرة الجزائريين إلى الخارج: رحلة الاسترزاق.....13
3. الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى: ضحايا في أتون الحرب.....16

المبحث الثاني: الجزائر من 1918 – 1939م: تبلور الحركة الوطنية.....19

1. أوضاع الجزائريين بعد الحرب اجتماعيا واقتصاديا: التردي والتراجع.....19
2. المشاريع الفرنسية والمؤتمر الإسلامي: سياسة الإلهاء.....22
3. اتجاهات الحركة الوطنية: التنوع في الاطار الوطني.....26

المبحث الثالث: الجزائر 1939 –1947: التعنت الاستعماري يواجه المطالب الوطنية.....30

1. الجزائر في الحرب العالمية الثانية 1939-1945: انسداد الأفق السياسي.....30
2. انزال الحلفاء في نوفمبر 1942: الأمل الزائف.....33
3. مجازر 08 ماي 1945 وانعكاساتها على الحركة الوطنية: نكث الوعود.....36
4. استئناف العمل السياسي بعد ماي 1945: تبلور مسار.....39

الفصل الثاني: غرافة ابراهيم مناضلا سياسيا في الحركة الوطنية: الالتحاق بمدرسة النضال

المبحث الأول: خطواته الأولى في العمل السياسي: تلمس الطريق.....43

1. مولده ونشأته: الأصل والموئل.....43
2. عضويته في جمعية الوفاق: أداء الواجب الاجتماعي.....47
3. انضمامه إلى حزب نجم شمال إفريقيا: بداية رسالة.....50

المبحث الثاني :اللقاء الأول مع الزعيم الوطني مصالي: تأكيد الاختيار.....54

1. ملامح من بدايات نشاطه الوطني: الوطنية المتقدة.....54
2. غرافة ورفاقه يستقبلون مصالي الحاج: عودة الملهم.....57

3. نشاطه أثناء إقامة مصالي في الجزائر: الإخلاص للزعيم الوطني.....60

المبحث الثالث : غرافة يؤكد الولاء للفكرة الوطنية: الإصرار على الاستمرار.....64

1. إعادة هيكلة النجم في الجزائر: التأسيس الفعلي.....64

2. نشاطه في جمعية أحباب الأمة: مواصلة المهمة.....67

3. غرافة في حزب الشعب الجزائري: حزب في خدمة أمة.....70

الفصل الثالث: نشاط المناضل غرافة ابراهيم من 1937 إلى 1947

المبحث الأول: غرافة في قفص الاتهام مع قيادي حزب الشعب: الرد الاستعماري.....75

1. عودة مصالي للجزائر: إعادة التنظيم.....75

2. مشاركته في مظاهرة 14 جويلية 1937: إثبات وجود الحزب.....78

3. إلقاء القبض على غرافة ضمن قيادة حزب الشعب الجزائري: ثمن الحرية.....81

المبحث الثاني: غرافة في السجن: من السجن الكبير إلى السجن الضيق.....84

1. المحاكمة: يوم المرافعة عن الحرية.....84

2. ردود الفعل على اعتقال ومحاكمة قادة ح ش: الغضب في صفوف الأنصار.....87

3. غرافة وزملائه في السجن: التنكيل الاستعماري.....90

المبحث الثالث: غرافة في المرحلة الأخيرة من حياته: أيام المعاناة.....94

1. خروجه من السجن احتفاء الرفاق بالمناضل الوطني.....94

2. نشاطه بعد خروجه من السجن: إصرار على إتمام الرسالة.....98

3. في معتقل جنين بورزق: ذروة الظلم الاستعماري.....102

4. وفاته: وفاء المناضلين.....106

خـــاتـــمة.....110

الملاحق.....114

قائمة المصادر والمراجع.....132

الفهرس.....143

الملخـــص :

غرافة ابراهيم (1890-1947): ولد غرافة ابراهيم سنة 1890 بغرداية، بـــدأ نشـــاطه الوطني في الثلاثينيات القرن الماضي، احتج وزملائه بشدة على الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر، مناضل وطني من سنة 1932 حسب التقارير الأمنية، كان عضوا في خلية نجم شمال إفريقيا ســـنة 1933 بشهادة لحول حسين، استقبل مصالي الحاج ضمن قيادة حزب نجم شمال إفريقيـــا لـــدى عودته إلى الجزائر في 02 أوت 1936.

اتخذ محله في حي البحرية مكانا لالتقاء المناضلين الوطنيين والمتعاطفين الفرنسيين مع الشيوعية الفرنسية المدافعين عن حق الجزائريين في المساواة والحرية، عضو في اللجنة الاستشارية لنجم شمال إفريقيا بعد عودة مصالي، أمين مال جمعية أحباب الأمة.

عضو اللجنة التنفيذية لحزب الشعب الجزائري، ألقي القبض عليه في 27 أوت 1937 مـــع قيادي حزب الشعب الجزائري، وحكم عليه في يوم 4 نوفمبر 1937 بسنة واحدة سجنا، أضرب عن الطعام في سجن بربروس مع زملائه من قيادي حزب الشعب الجزائري للمطالبة بحق السجن السياسي الذي ناله وزملائه في 20 جويلية 1938، خرج من الســـجن يـــوم 26 أوت 1938، واستأنف نشاطه في قيادة حزب الشعب الجزائري، ومثله في اجتماع المؤتمر الإسلامي في ســـبتمبر 1938، عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري السرية في سنة 1940.

وضع سنة 1941 تحت الإقامة المحروسة لمدة 12 شهرا في معتقل جنين بورزق الواقع في الجنوب الوهراني، بعد خروجه من المعتقل فرضت عليه الإقامة الجبرية في مدينة غرداية حتى أفريل 1943.

توفي غرافة في نوفمبر 1947، حضر جنازته عدد كبير من الوطنيين الجزائريين، وألقى كـــل من مصالي الحاج ومفدي زكريا كلمة تأبينية بالمناسبة.

RESUME :

GHERAFA Brahim (1890-1947) :

Né en 1890 à Ghardaïa, Résidant à Alger, Son petit magasin servit de lieu de réunion des militants communistes français et des nationalistes algériens, et devient membre de la commission consultatives de l'ENA d'Algérie mise en place après le retour de Messali en 02 aout 1936 .il devient trésorier des Amis d'El Ouma d'Algérie, à la suite de la dissolution de l'organisation nationaliste. Membre du comité directeur du PPA, Arrêté le 02 aout 193 avec Messali, Zakaria, Lahoual, Khalifa, Il est condamné à un an de prison en 4 novembre 1937, En prison à Barbarouse il entame avec d'autres dirigeants du PPA une grève de la faim pour obtenir le statut de prisonnier politique, Libéré le 26 aout 1938, et reprend sa place dans la direction en représentant le PPA à la réunion du congrès musulman en septembre 1938, Membre du comité central du PPA clandestin en 1940.

Il fut interné durant 12 mois, de 1941 à 1942 à Djénine Bou-Rezg au sud d'Oran puis à Ghardaïa.

Gherafa mourut en 1947, il fut inhumé au cimetière Mozabite de Sidi-Benour, Messali n'a pas manqué à cette occasion de tenir un discour, Lui rendant hommage, Ces obsèques se déroulèrent en présence d'une foule massive des algériens.

SUMMARY :

GHERAFA Brahim (1890-1947) :

Born in 1890 at Ghardaia, living in Algiers, his small shop served the french communist militants and algerian nationalists, then became a member at consultative commission of ENA after the back of Messali on August the 02, 1937. He became a treasurer of EL OUMA of Algeria just after the breakup of the national organization , then a representative member in the PPA. He had been arrested with Messali, Zakaria Lahoual and Khalifa in August 02, 1936 and condamned for 01 year in a jail on November, 04 1937. In the jail on Barbarous he leaded a strike of famine with some members of PPA in order to get a status of a political prisonner. Liberated on August ,26 , 1938 and took again his place in the PPA . He had been stucked for 18 months , from 1941 till 1943 at Djenin Bou-Rezg at the south of Oran and then at Ghardaia

Gherafa died in 1947, he was buried in the burial ground's mozabite of sidi benour. Messali didn't miss this occasion to take part and give a speech honouring Mr Gherafa . This funeral was full of Algerians.